بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الخرطوم

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

توظيف السياق في الدرس اللغوي

دراسة لنيل درجة الدكتوراة

Context functionality within linguistic lesson

اعداد الطالب/ الصادق محمد آدم

إشراف/ أ. د. الحبر يوسف نور الدائم

نوفمبر 2007م

O

قال تعالى:

((يريد الله بِكُم الْيسر وَلَا يريد بِكُم الْعسر))

"البقرة : 185"

((وما يلَقاها إِلا الَذِين صبروا وما يلَقاها إِلا ذُو حظ عظِيمٍ))

فصلت(35)

صدق ا العظيم

الإهداء

إلى الوالد والوالدة،

حزمٌ فى لين وحنانٌ متدفّق

وإلى الأشقاء *والشقيقات* ،

بلابلُ دوحٍ تصدحُ صفاءً ووداً

وإلى الصاحبةِ والولدِ عشرةُ عمرٍ،

ورياحينُ قلبٍ،

تزرعُ جنباتِ الدارِ فرحاً وحبوراً

الوفاء والعرفان

الشكر الجزيل أُزجيه فى المفتتح إلى من عرفته فى رحاب العلم فقدرته، وفى مجال البحث والتمحيص فأكبرته، إلى استاذى القدير وأستاذ الاجيال، الحبر البروفسير / الحبر يوسف نور الدائم، فقد وجدتُ فيه الاستاذ الحفى بأبنائه، والمرشد الحكيم لطلابه، فكان لإرشاده وتوجيهه الفضل الأول بعد ا سبحانه وتعالى فى إتمام هذا البحث، فجزاه ا خيراً وحفظه زخراً للعلم وطلابه.

واستتبع الشكر لكل المكتبات التى استقيتُ منها مادة هذه الدراسة، أخص منها: مكتبات جامعة الخرطوم وجامعة أُم درمان الإسلامية وجامعتى أم القرى بمكة المكرمة والملك عبد العزيز بجدة .إذ من ا على الباحث فيسر له السفر إلى أرض مهبط الوحى فأفاد من مكتبتيهما، فنهل من معينهما الصافى ومن أوعيتهما المتيسرة والمكتظة بالعلم والمعرفة.

ولا أنسى نفراً كريماً قدم من الإعانة ما استطاع وذلل من الصعاب ما تيسر، وأخص بالذكر منهم، الاستاذة الفاضلة / إمتثال الطيب عبد الرحمن، والاستاذ الكريم /الطاهر ابراهيم بشير، بجامعة النيل الازرق، والدكتور/ صديق ابراهيم الفكى، بجامعة ام القرى، والشكركذلك للاستاذ النبيل/ محمد على الزاكى وللشاب النشط/نصر الدين أبكر محمود، اللذين قاما بلوازم الطباعة ، وللأخوين الصدوقين /حمد السيد أبو النور وجمال جعفر الذىن قاما بترجمة ملخص البحث، و ولجميع أعضاء قسم اللغة العربية بجامعة النيل الازرق، وللجامعة نفسها التى رعت هذه الدراسة، ولكلية الآداب بجامعة الخرطوم التى منحتنى هذه الفرصة، ولكل من لم تسعفنى الذاكرة باستحضاره، وفقنى ا فى رد بعض الجميل إليهم، والشكر والمنة والفضل فى المبتدأ والمختتم العزيز الكريم.

قائمة المحتويات

ملخص الدراسة

حظى المعنى بمكانة خاصة عند النظرية السياقية، إذ اتخذ منحى وظيفياً؛ وذلك من خلال ربطه بالاستعمال اللغوى، فمعنى الكلام يرتبط من جانب بالبعد الداخلى للغة، ومن جانب آخر فإنّه يرتبط بالبعد التداولى بمتغيراته المتنوعة؛ لذا ينظر المنهج الوظيفى إلى اللغة فى إطار استخدامها الفعلى فى المجتمع، انطلاقاً من وظائفها وخاصة وظيفتها فى التواصل، فهى ظاهرة اجتماعية يوظفها الافراد لأداء المعانى بما يحقق أهدافهم وغاياتهم.

فالمنهج السياقى لا يكتفى بالنظر اللغوى الخالص فى عملية التحليل، وإنّما يستند إلى البعد التداولى للغة، بما يمثله من معطيات اضافية ووقائع خارجية تكتنف المادة اللغوية الخاصة وتلابسها، وتؤثر فى بنيتها تركيباً ودلالة؛ الأمر الذى يقتضى دراسة الوظائف العامة والخاصة التى يؤديها كل تركيب لغوى، ومن ثم ايجاد تلك الوظائف ضمن اطار كل من المفاهيم أو المعانى العامة.

فالمعنى هو مجموع الوظائف التى تقوم بها الصيغة اللغوية، وهذه الوظائف هى: الوظيفة الصوتية، والوظيفة الصرفية، والوظيفة النحوية، والوظيفة المعجمية، ومن ثم الدلالة السياقية، والمقصود بذلك أن المعانى على هذه المستويات جميعها هى وظائف تؤديها الاشكال اللغوية، وهى فى مجموعها تؤدى المعنى الدلالى.

وعليه فإن السياق لا بد أن يعود ليتبوأ مكانته الطبيعية فى التحليل اللغوى، أذ إن النظرية اللغوية المحكمة القادرة على استكشاف حقائق اللغة لابد أن تضع فى اعتبارها الأهمية الكبيرة لعنصر السياق بنوعيه اللغوى وغير اللغوى فى التحليل الدلالى.

ABSTRACT

Linguistic performance connected and, therefore, assuming a functional course, meaning is favoured with a high profile within contextual theory. That is, discourse meaning is connected on the one hand, with internal dimension of language and, on the other, with current usage dimension with its variabilities.

Hence, functionalism embraces language in terms of actual performance/ usage within community, language being social phenomenon manipulated by individuals to meet their needs.

For that matter, taking account of situations, attitudes, and settings in semantic interpretation is a must, the trio being the elements on the basis of which the text unfolds.

Crystal clear, the aim of the study is emphasizing, as well as proving, context significance. Indispensable to referential interpretation, context, whether linguistic or situational, is much required by linguistic analysis.

Thus, context must both be implemented in running, processing, or guiding the meaning, and takes its place in linguistic analysis. A rigorous linguistic theory, capable of pointing out linguistic nuances, must take into consideration the ultra-significance of the context element in analysis.

بسم ا الرحمن الرحيم

الفصل الأول

السياق مفهومه ومجالاته

محتوى الفصل

الفصل الثانى

توظيف السياق فى الدرس الصوتى

المبحث الاول:

السياق الصوتى المفهوم والمجال

المبحث الثانى:

دراسة السياق الصوتى

المبحث الثالث:

صور السياق الصوتى

المبحث الرابع:

مصطلحات السياق الصوتى

المبحث الخامس:

قيمة السياق الصوتى

المبحث السادس:

توظيف السياق الصوتى

الفصل الثالث

توظيف السياق فى الدرس الصرفى

المبحث الاول:

الاطار العام للدرس الصرفى

المبحث الثانى:

توظيف اللواصق فى الدرس الصرفى

المبحث الثالث:

توظيف السياق فى درس السوابق

المبحث الرابع:

توظيف السياق فى درس المقحمات

المحث الخامس:

توظيف السياق فى درس اللواحق

الفصل الرابع

توظيف السياق فى الدرس النحوى

المبحث الاول :- توظيف السياق في درس قرينة الإسناد

المبحث الثاني :- توظيف السياق في درس قرينة التخصيص وتشمل :-

1- قرينة التعدية

2- قرينة الغائية

3- قرينة المعية

4-قرينة الظرفية

5- قرينة التقوية

6- قرينة الملابسة

7- قرينة التفسير

8- قرينة الإخراج

9- قرينة المخالفة

10- قرينة النسبة

11- قرينة التبعية

المبحث الثالث :- توظيف السياق في درس قرينة العلامة الإعرابية

المبحث الرابع :- توظيف السياق في درس قرينة الرتبة

المبحث الخامس :- توظيف السياق في درس قرينة الصيغة

المبحث السادس :- توظيف السياق في درس قرينة المطابقة

المبحث السابع :- توظيف السياق في درس قرينة الربط

المبحث الثامن:- توظيف السياق في درس قرينة التضام

المبحث التاسع :- توظيف السياق في درس قرينة الاداة

المبحث العاشر:- توظيف السياق في درس قرينة الزمن

الفصل الخامس

توظيف السياق فى الدرس الدلالى

- المبحث الاول:

الدلالة تعريفها وأنواع

- المبحث الثانى:

توظيف السياق فى درس التضاد

- المبحث الثالث:

توظيف السياق فى درس الترادف

- المبحث الرابع:

توظيف السياق فى درس المشترك

- المبحث الخامس:

توظيف السياق فى درس المثل

- المبحث السادس:

توظيف السياق فى درس التعبير الاصطلاحى والسياقى

الفصل السادس

توظيف السياق فى الدرس الأسلوبى

المبحث الاول:

مفهوم السياق الأسلوبى ومجالاته

المبحث الثانى:

توظيف السياق فى الدرس الاسلوبى القديم والحديث

المبحث الثالث:

توظيف السياق فى درس أسلوب البيان

المبحث الرابع:

توظيف السياق فى درس أسلوب المعانى

المبحث الخامس:

توظيف السياق فى درس أسلوب البديع

المقدمة

الحمد الذى جعل مِن آياته اختلاف الألسنة والألوان، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله الذى أُوتى معجزة البيان، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الرجوع إلى الملك الديان.

وبعد:

فقد احتفى القدماء من اللغويين والبلاغيين والأصوليين والمفسرين، وغيرهم فى دراسة المعنى بالسياق، وعدوه المحك الاساس لفهم المعنى وتحليل العبارة؛ وذلك بالتفاتهم الى أن المعنى منه ما هو تركيبى للكلمات حال تركيبها، ومنه ما هو معجمى حاصل للمفردات اللغوية.

وللوصول إلى المعنى فى صورته الشاملة لا بد أن نستخدم الطرق التحليلية التى تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة، وهى: الصوتيات، والصرف، والنحو، أى: الفروع الخاصة بتحليل المعنى الوظيفى، ثم المعجم، وهو خاص بالمعنى المعجمى.

لذا اتخذت هذه الدراسة هذه الفروع محاور لها، فجعلت الفصل الأول مدخلاً وتمهيداً للارضية التى وقف عليها بساط البحث. ثم دخل البحث فى خضم الدراسة، فتناولتُ الفصل الثانى بعنوان " توظيف السياق فى الدرس الصوتى " وتعنى به الدراسة سبك الاصوات بعضها الى بعض فى تأليف دقيق، فتجرى فى سلاسة وعذوبة كالجداول لا تعثر فيها ولا كلفة ولا حوش فى اللفظ ولا زيادة ولا فضول. فكان من أول اهتماماته أن حدد البحث مصطلحات السياق الصوتى ممثلة فى المماثلة والمخالفة والملاءمة والادغام ...الخ. وقد تبين من خلال المادة العلمية أن مصطلحات السياق الصوتى، عرفت بالتلاؤم والالتحام والتناسب، وقد تولى البحث معالجة كل هذه المصطلحات على النحو الذى تقتضيه طبيعته من الشرح وبيان الكيفية التى يتحقق بها السياق الصوتى، والقيمة الجمالية التى تظهر بمراعاته. ومن ثمّ الكشف عن مظاهر السياق الصوتى فى النص الادبى والقرآنى. فقد نشأت دراسات قائمة أصلاً على أثر السياق فى تحديد القيمة الصوتية للرمز، وأصبحت تعتمد على السياق الصوتى فى معرفة فصاحة اللفظة

من عدمها. كما أنّ هناك قانوناً معروفاً فى اللغات بعامة، وهو أن الاصوات قـد يؤثر بعضها فى بعض وفقاً لمتطلبات السياق؛ وذلك حين تتجاور داخل الكلام. لذا ضمت هذه الدراسة فى هذا المحور الظواهر الـصوتية التـى تمثـل الركـائز الاساسية فى الدرس الصوتى كظاهرة التأليف والادغـام والاعـلال والابـدال والتسكين وغيرها، مبينة اثر السياق فى درسها.

أما المحور الثالث الذى تناولته الدراسة، فهو بعنوان " توظيف السياق فـى الدرس الصرفى ". حيث تناول البحث توظيف السياق فـى دراسـة الـسوابق واللواحق والمقحمات. فالمعانى الوظيفية التى تعبر عنها المبانى الصرفية تتـسم بطبيعتها بالتعدد والإحتمال. فالمبنى الصرفى الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى ما دام غير مرتبط بسياق ما، فإذا ارتبط المبنى بسياق ما أصبح نصاً فـى معنى واحد بعينه تحدده القرائن اللفظية والمعنوية وقرينة السياق الحالية.

أما المحور الرابع فقد تناول " توظيف السياق فى الدرس النحوى" بقرائنه المتعددة، فالسياق النحوى شبكة من العلاقات القواعدية التـى تحكـم الوحـدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية، المعنويـة منهـا كالتعديـة والتخـصيص والتقويـة والملابسة، واللفظية منها كالإعراب والرتبة والمطابقة والتضام وغيرها.

ثم ترادفت الدراسة متتابعة فتناولت فى محورها الخامس "توظيف السياق فى الدرس الدلالى" ، حيث بينتْ أن السياق هو المحدد الدلالى الاول للمعنى، وهو الذى يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعانى المتنوعة التى فى وسعها أن تدل عليها، فأماطت اللثام عن التضاد والترادف والمشترك، كما قامت بدراسة المثل والتعابير الاصطلاحية والسياقية مستندة ومتكأة فى كل ذلك علـى السياق الذى يلف اللفظة .

أما المحور السادس والاخير فقد تناول " توظيف الـسياق فـى الـدرس الاسلوبى" ، فقد فطن البلاغيون إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعيـة، وأنّهـا شـديدة الارتباط بثقافة الشعب الذى يتكلمها، وأن هذه الثقافة فى جملتها يمكـن تحليلهـا بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التى يسمون كلاً منها مقامـاً.

فقامت الدراسة على ضوء ذلك بتغطية موضوعات البلاغة بفروعهـا الثلاثـة – البيان والمعانى والبديع – وتحليلها وفق النظرية السياقية.

خطة الدراسة:

تتطلب الدراسات اللغوية دائماً أن تكون خطة دراستها علـى نمـط معـين معروف، وقد سارت هذه الدراسة على ذلكم النمط، وهو دراسة اللغة بمحاورهـا الاربعة التى هى: المحور الصوتى، والصرفى، و النحوى التركيبى، والـدلالى، وقد تطلبت الدراسة محوراً خامساً، وهو المحور الاسلوبى الذى تعرض لأهميـة توظيف السياق فى الدرس البلاغى القديم.

وبهذا اقتضت طبيعة الموضوع أن يجىء البحث فى تمهيد وستة فصول، حمل الفصل الأول عنوان: "السياق مفهومه ومجالاته، تناولتُ فيه تعريف الـسياق فـى اللغة والإصطلاح، وتطرقت إلى أنواعه، والدراسـة التاريخيـة لتطـوره علـى الصعيدين العربى والاوربى.

وعليه تتلخص معالم خطة هذه الدراسة على النحو التالى:

الفصل الأول: السياق مفهومه ومجالاته.

الفصل الثانى: توظيف السياق فى الدرس الصوتى.

الفصل الثالث: توظيف السياق فى الدرس الصرفى.

الفصل الرابع: توظيف السياق فى الدرس النحوى.

الفصل الخامس: توظيف السياق فى الدرس الدلالى.

الفصل السادس: توظيف السياق فى الدرس الاسلوبى.

وهناك خاتمة حملت أهم ما توصلتْ اليه هذه الدراسة.

منهج الدراسة:

المنهج االذى سارتْ عليه هذه الدراسة فى إنجاز هذا العمـل هـو المـنهج الوصفى التحليلى التطبيقى الذى يصف الظاهرة كما هى مع تحليلهـا ومـن ثـم تطبيقها على النصوص خاصة النص القرآنى الشريف؛ مما أعطى ظاهرة السياق موضوع الدراسة صبغة التأصيل والتقعيد.

صعوبات الدراسة:

واجهت الباحث بعض الصعوبات التى تمثلت فى عدم تفرغه تفرغاً تامـاً لإنجاز هذا العمل مما أدى الى ضياع فى الجهد، وتشتت فى الفكر، بين مطالـب الدراسة ومطالب العمل إذ من المعروف أنّهما لا يتناسـبان إلاّ عكـسياً يتحقـق أحدهما على حساب الآخر.

كما أن بعض المكتبات وبسبب فرضها رسوماً على الباحثين فى شكل بطاقـات مع غلاء ثمنها ومحدودية زمنها قد ضاعف المشاق على الباحث، وجعل مرتاض هذه المكتبات لا يستطيع ولوجها الاّ بشقّ الأنفس.

المبحث الأول

نظرية السياق ومكانتها فى الدرس اللغوى

تمهيد

دراسة المعني تضرب في جذورها بعيداً جداً في أعماق التاريخ، في الشرق والغرب، فمشكلة اللفظ والمعني قد دُرست دراسة مستفيضة في الثقافة العربية وغير العربية علي السواء، نظراً إلي أن المعني يهم مختلف قطاعات المعرفة، وإذا كانت دراسة المعنى لم ينهض بها إلا اللغويون من الأدباء والنحاة والبلاغيون، فإن النظر في المعني موضوع شارك فيه علماء ومفكرون من ميادين مختلفة، منهم الفلاسفة والمناطقة، وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، وأسهم فيه علماء السياسة والاقتصاد ....الخ. لكن علماء أصول الفقه في الدرس العربي أول من اشتغل بمشكلة اللفظ والمعني تاريخياً، نظراً إلي ارتباط المعني بالحكم الفقهي الذي يراد فهمه أولاً ثم تطبيقه ثانياً. فالمعني اللغوي من شأنه أن يشغل المتكلمين جميعاً، علي اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية، لأن الحياة الاجتماعية تلجئ كل متكلم إلي النظر في معنى هذه الكلمة أو تلك، أو هذا التركيب أو ذاك، وهكذا أدلي كل متكلم تقريباً بدلوه في هذه المشكلة الخطيرة([1]).

وقد نجم عن اشتراك اللغويين وغير اللغويين من أصحاب العلوم والأفكار المختلفة، فى موضوع تحليل الدلالة أن ظهرت نظريات كثيرة، ومناهج عدة في ما يتعلق بتحليلها من حيث تحصيلها وماهيتها ودراستها.

ويعد اللسانيون المعني الذي يتحدد علي لسان المتكلم من خلال السياقات المختلفة قبل أن يأخذ مكانه في معجم اللغة جزءاً هاماً في تصورنا لمفهوم الكلمة، كما يعد اللسانيون اللغة نظاماً يتصف بالاعتباطية Arbitrary علي مستوي الدال والمدلول أي: الكلمات والمعاني، لأنّه لا توجد علاقة طبيعية بين الكلمة وما تدل عليه([2]).

---

[1] - محمود السعران . علم اللغة مقدمة للقارئ العربى . دار الفكر العربي ، 1962 . القاهرة ، ص : 286 .
وأنظر : د. فوزي الشايب .
محاضرات في اللسانيات . وزارة الثقافة والأردنية . 1999 ، ص : 43.

[2] - كريم ذكى حسام الدين . التحليل الدلالي اجراءاته ومناهجه. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة. ط1 / 92

إن تحليل المعني اللغوي لكلمة ما يتحقق بدراستها دراسة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، يتمثل الجانب الأول في كونها مركبة من أصوات منظمة انتظاماً معينـاً. ويتمثل الجانب الثاني من معني الكلمة في كونها اسماً أو فعلاً أو حرفاً. ويتمثـل الجانب الثالث، في تحليل خصائصها النحوية من حيث جواز وقوعها في مواقـع معينة من الجملة، وارتباطها بغيرها من الكلمات التي تسبقها أو تلحقهـا، ويـأتي الجانب الرابع لتحديد دلالتها في سياقات محددة تحديداً دقيقاً.

وهنالك صعوبات كثيرة تواجهنا في سبيل تحليل الدلالة، يقول بلومفيد: " إنّنـا إذا أردنا أن نحدد معني من المعاني، يجب أن تتوافر لدينا معرفة علمية دقيقة عن كل شيء في عالم المتكلم، ولكن مدي المعرفة البشرية محدود جداً بالنسبة لهذا الأمر، ونحن لا نستطيع أن نعرف معني أحدي المباني اللغوية بشكل دقيق، إلاّ إذا تعلـق المعني بأحدي المواد المحسوسة التي توافرت لدينا المعرفة العلمية عنها, فنستطيع أن نُعرف أسماء المعادن بالرجوع إلي الكيمياء، أو علم المعادن، فنقـول مـثلاً : معني كلمة (ملح) هو كلوريد الصوديوم، ولكن ليس لدينا طرق لتعريـف كلمـات مثل : الحب ، الكره، لأنّها تتعلق بمواقف لم تصنف تصنيفاً علمياً دقيقاً، وأمثـال هذه الكلمات لها الأغلبية العظمي في ميدان اللغة"([1]).

ويستطرد بلومفيلد قائلا: " ... إن من الصعوبات التي واجهناها في تحديد المعني، اختلاف وجهات النظر الخاصة، فطيف الشمس يُعرفه علمـاء الطبيعـة تعريفـاً يخالف التعريف المألوف الذي درجت عليه اللغة العادية، التي تري فـي الطيـف ألواناً متعددة، الأحمر، الأخضر، الأصفر، .... الخ ومن هذه الصعوبات كـذلك تعدد المواقف التي تستعمل فيها الكلمة المراد معناها. ثم نجد الصعوبات الخاصـة بمزاج المتكلم، وحالته النفسية والثقافية. وصعوبة أخري هي استعمال الكلمات في غير الموقف التي اعتاد أكثر الناس استعمالها([2]).

---

1 - التحليل الدلالى إجراءاته ومناهجه:93
2- المصدر السابق : 94

وهنالك صعوبة أخري تقابلنا في تحديد المعني، وتتمثل في أنّه لا توجد كلمة تمتلك بالضبط نفس المعني مرتين، لأن كل حدث كلامي يعتبر من بعض النواحي حـدثاً فريداً يشمل مشاركين يتغيرون بشكل متواصل ومعاني غير ثابتة([1]).

كما نجد أن هذه الصعوبة ترجع إلي أن ثمة عناصر غير لغوية تكون ذات دخل كبير في تحديد المعنى وهي ما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف تتـصل بالمتكلم والمخاطب معاً مما لا تسجله المعاجم، كما في قول رابعة العدوية([2]) فـي مخاطبة الذات الالهية:-

أحبك حبين حب الهوى   وحباً لأنّك أهلٌ لذاك

فأما الذي هو حب الهوى   فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهلٌ له   فكشفك لي الحجب حتى أراك

فهنا لونان من الحب: حب الهوى، وحب الأهلية، ولن نجد له بالطبع إشارة في أي معجم من المعاجم اللغوية([3]).

كما أنّنا لن نجد هذا الموت الذي تحدث عنه الشاعر قائلا([4]):

لا تحسبن الموت موت البلى   وإنّما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا   أفظع من ذا لذل السؤال

هذا وقد وردت كلمة الموت في القرآن الكريم بدلالات مختلفة، إلي جانب الدلالـة الأساسية أو المركزية للكلمة، والتي تعني مفارقة الروح للجسد، كما فـي قولـه تعالي: ((حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطّون))([5]).

ومنها جدب الأرض، في قوله تعالي: ((وا أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها))([6])، وقوله تعالي: ((والذي أنزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة

1- نيدا . نحو علم الترجمة . ترجمة ماجد النجار . ص : 1.5

[2] - هى بنت إسماعيل العدوية البصرية ، ولقبها ابن خلكان بأم الخير، وذكر أنها مولاة آل عتيك ، فخذ من قبيلة الأزد، كانت فى أول أمرها تعزف بالمعازف ثم تابت وقضت حياتها بالبصرة كأنها مسجونة وماتت بها فى سنٍّ لا تقل عن ثمانين سنة، وذلك فى عام 185 هـ (8.1م)

[3]- علم اللغة . محمود السعران : 292" وانظر: تفسير الألوسي - (ج 3 / ص 11)

محبة الخواص المتبعين للأخلاق الذين يحبونه إجلالاً وإعظاماً ولأنه أهل لذلك ، وإلى هذا القسم أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : " نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه "

[4] - دلائل الاعجاز :75/1. والحيوان :219/1. والبيان والتبيين: 172/1.

5 سورة الانعام : 61

6 سورة النحل : 65

ميتا))([1]). ومنها الضلال عن التوحيد، في قوله تعالي: ((أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس))([2]). وقوله تعالي: ((كيف تكفـرون بـا وكنتم أمواتاً فأحياكم))([3]).

نستنتج من السياقات السابقة أن الكلمات ليس لها معان ثابتة لا تتغير، وإنّما لها استعمالات، وأن هذه الاستعمالات تخرج بها عن محيط اللغة الساكن إلي الكـلام المتحرك، وأن معني الكلمة يكمن في استخدامها. لذا قال الفيلـسوف الألمـاني لا تبحث عن الكلمة بل أبحث عن استعمالها([4]).

ومن هنا أكد اللسانيون من أصحاب المدرسة الاجتماعية، ومـنهم فيـرث firth دور السياق في تحديد المعني، واهتموا بالتحديد الفعلي للكلمة فـي إطـار مجتمع بعينه. ورأى أصحاب هذه المدرسة أن هذا الاستعمال يحكمه أمران:

الأول: السياق اللغوي، الذي لا ينظر إلي الكلمات بوصفها وحدات منعزلة، أي: أن الكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخري في السلسلة الكلامية.

الثاني: السياق غير اللغوى أو الموقف الذي يقال فيه الكلام، أي: الظروف التـي يحدث فيها الكلام([5]).

ولكي نأكد ما نقول نأخذ مثالاً وهو الفعل (أكل) لننظر إلي معانيه المتعددة مـن خلال السياقات المختلفة، في مجتمعين أو بيئتين لغويتين متباينتين، فنعرضـه أولاً في خلال السياقات القرآنية الآتية:

- ((وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فـي الأسـواق))([6]) بمعنـي: التغذية للإنسان.
- ((أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون))([7]) بمعني الافتراس للحيوان.
- ((يا قوم هذه ناقة ا لكم آية فذروها تأكل في أرض ا))([1]). بمعني الرعـي للحيوان.

---

1 سورة الزخرف : 11
[2] سورة الانعام : 122
3 سورة البقرة : 28
4 - الفيلسوف هو : فتجنشتين . Wittgenstin ، أنظر : التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه ، ص : 95 .
5 - دور الكلمة في اللغة : 62
6 - سورة الفرقان : 7
7- سورة يوسف : 13

- ((وما دلهم علي موته إلاّ دابة الأرض تأكل منسأته))([2]). بمعني القرض للحشرات.

- (أيحبُ أحدُكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه))([3]). بمعني الغيبة للإنسان.

- ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ....)([4]). بمعني الاختلاس للإنسان.

- ((حتى يأتينا بقربان تأكله النار))([5]). بمعني الاحتراق للجماد.

لقد استطعنا من خلال السياق اللغوي، تحديد المعاني المختلفة للفعل "أكل" الذي ورد في سياقات قرآنية متعددة، وقد لا يكون السياق اللغوي كافياً، لتحديد دلالات الكلمة، بل لابد من السياق الاجتماعي، لذا فإن فهم القارئ لهذه الآيات، لابد أن يصاحبه شيء آخر، وهو الانتماء إلي البيئة العربية الإسلامية، أو المجتمع الإسلامي.

والفعل السابق"أكل " نفسه قد يرد في سياقات أخرى، وفي مستوى لغوى آخر يتعلق ببيئة عربية معينة، وهي البيئة السودانية مثلاً، أو المجتمع السوداني خاصة، فيكون له مدلولات أخرى تفارق المدلولات السابقة؛ وذلك نتيجة لتغيير السياق الاجتماعي الذى قيلت فيه، ونمثل له بالعبارات السودانية الآتية:

- أكل طعامه.
- الزول ده أدوه علقة فأكلها: احتملها.
- أكل الناس جرى : سبقهم وفر منهم.
- أكلوه ناس السوق: خدعوه وسلبوه ماله.
- أكلوه أولاده :تقاسموا ما عنده من مال.
- أكلته الزراعة:أنفق كل ما عنده من مال دون أن يجنى شيئاً منها.
- أكل الحرام: فعل ما يوجب الحرام.
- أكل نارو براه: تحمل الامر بمفرده.
- الأرض أكلها الماء:إمتلأت بالماء حتى درجة الغرق.

1- سورة هود : 64

2 - سورة سبأ : 14

3- سورة الحجرات : 12

4- سورة النساء : 1.

5- سورة ال عمران : 183

إن فهم هذه العبارات، يتوقف علي فهم الظروف والملابسات التي يستعمل فيها الفعل "أكل" ولن يستطيع شخص فهم المعاني المختلفة لذلك الفعل من خلال السياق اللغوي وحده، بل لابد أن يكون سودانياً، أو عاش في المجتمع السوداني، وبين الجماعة اللغوية التي تستخدم هذه العبارات، وعايش هذه السياقات بالتجربة.

عناصر السياق غير اللغوى:

يتكون السياق غير اللغوى من ثلاثة عناصر:

أولا :- شخصية المتكلم، والسامع، ومن يشهد الكلام معهما، ودور المشاهد في المشاركة أو المراقبة.

ثانيا:- العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، المتصلة بالحدث، ويشمل الزمان والمكان.

ثالثا :- أثر الحدث اللغوي، الإقناع أو الفرح أوالألم([1]).

وتتطور فكرة السياق وتأخذ شكلاً أكثر تحديداً، عند اللساني الانجليزي "فيرث firth" الذي رأى دراسة المعني من خلال إطار منهجي، يقوم على تحليل الدلالات التي تتركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، ولكي نصل إلي دلالة أي كلمة، أو نص لغوي يجب أن نلتزم بما يلي:

أولاً: تحليل السياق اللغوي صوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً.

ثانياً: بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام .

ثالثاً: بيان نوع الوظيفة الكلامية، مدح، هجاء، طلب.

رابعاً: بيان الأثر الذي يتركه الكلام، كالاقتناع، والتصديق، أو التكذيب، أوالفرح أوالألم([2]).

وبناء علي ذلك فإنّنا لا يمكن أن نحدد دلالة كلمة ما ووصفها وصفاً كاملاً إلاّ من خلال سياق أعلي أو أوسع higher or boarder context. لذا يحتل السياق مكانةً عظمي بين مناهج تحليل النصوص، إذ يفيد منه اللغويون في مقارباتهم النصية، للوقوف علي مفهومات أو تفسيرات تسبر أغوار النص، ومحاولة

1- كمال بشر . التفكير اللغوي بين القديم والحديث : ص : 122

[2] - نفس المصدر:122

استجلاء السمات الأسلوبية لمنتج النص فضلاً عن الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية المحيطة بولادة النص([1]).

إن مراعاة هذه الاعتبارات المختلفة تمثل الاتجاه الصحيح والـضروري في الكشف عن المعني وتحليله، وتطبيق هذا المـنهج ينبغـي أن يـصدق علـي النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي، كمـا ينبغـي أن يـصدق علـي النصوص ذات المقام المنقضي، والذي يمكن أن يُعاد بناؤه بالوصـف التـاريخي ومن هنا تأتي قيمة السياق في دراسة كتب التراث العربـي، فالاكتفـاء بـالمعني الحرفي أو معني المقال أو معني ظاهر النص، يعتبر دائماً السبب فـي قـصور الفهم،([2]) فالمقام ليس إطاراً ولا قالباً، وإنّما هو جملة من المواقـف الاجتماعيـة المتحركة، ومن ضمنها المتكلم والسامع والكلام وغير ذلك مما له اتصال بالمتكلم، وهذا أمر يتخطي مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كـل جوانـب عمليـة الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والغايات والمقاصد([3]).

فالمقام هو الرصيد الحضاري للقول، وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه، ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلاّ إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله. ولا يقتصر تحليل الدلالة علي ذلك فحسب، بل يمتد ليشمل الـسمات شـبه اللغويـة " Para linguistic feather's" التي تتمثل في الأداء الصوتي " vocal performance " مثل النبر stress والتنغيم intonation والتعبير الجسدي body expression الذي يشمل تعابير الوجه والحركات الجسمية([4]).

لذا يقول تمام حسان: " ومعني هذا أنّنا حين نفرغ من تحليل الوظائف علي مستوي الصوتيات والنحو والصرف، ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفـردات ومعانيها على مستوى المعجم، لا نستطيع أن ندعي أنّنا وصلنا إلي فهـم المعنـي

1- مصطفى أحمد قمبرا . السياق ودوره في تحليل النصوص ، مجلة الرافد دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، العدد : 83 ، جمادى الاولي : 1425 ، يوليو 2..4 ، 88 .

2 - اللغة العربية معناها ومبناها : 372

3 - نهادي الموسوي ، نظرية النحو العربى ، ص : 84 – 85

4- د. كريم زكي حسام الدين . الارشادات الجسمية ودورها في التواصل ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ، 1985

الدلالي، لأن الوصول إلي هذا المعني يتطلب فوق ما تقـدم ملاحظـة العنـصر الاجتماعي الذي هو المقام"([1]).

فالسياق هو المناخ أو الجو العام الذي يتم فيه الحدث الكلامي، فهو يـشمل الزمان، والمكان، والمتكلم، والسامع، والأفعال التي يقومون بها، ومختلف الأشياء، والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي، ويتسع السياق ليشمل المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع، لكل ما له علاقة بفهم المنطوق، كما يتسع ليـشمل القبـول الضمني من قبل المتكلم والسامع لكل الأعراف التي لهـا علاقـة بالموضـوع، والاعتقادات والمسلمات السابقة([2]).

والسياق هو المحدد الدلالي الأول للمعنى وهو الذي يفرض قيمة واحـدة بعينهـا على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها. والـسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلام من الدلالات الماضية التي تدعها الـذاكرة تتـراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية، وعليه فالمعني أو الدلالة هبة السياق، وبدون السياق تكون الكلمات جثثاً هامدة، لا معني لها، ولا حياة، فالسياق هو الماء الذي تحيا به الكلمات، ومن هنا كان الشعار الذي رفعه أصحاب نظرية الـسياق: "أعطني السياق الذي تجد فيه الكلمة وسأخبرك بمعناها"([3]).

إن المعني أو الدلالة حسب هذه النظرية يمكن تمثيله بالمعادلة الآتية:

(الدلالة تساوي السياق القابل للملاحظة).

والنظرية السياقية هذه تتمتع بجاذبية ظاهرة بالنسبة لأي شـخص يتـوق للمثـل الأعلي للموضوعية العلمية؛ ذلك أنّنا إذا درسنا المعنـى عـن طريـق الأفكـار والمفاهيم أو الحالات الذهنية الداخلية، فستصبح دراسة المعنـي خـارج نطـاق الملاحظة العلمية، وعليه فبدلاً من ذلك ينبغي لنا أن ندرس المعني عـن طريـق الحالة والاستعمال، والسياق، أي: الارتباطات الخارجية القابلة للملاحظة لـسلوك اللغة.

---

1 - اللغة العربية معناها ومبناها : 342

[2] - فوزي حسين الشايب . محاضرات في اللسانيات . منشورات وزارة الثقافة الاردنية ، ط ، 1999 ، ص : 461

[3] المصدر السابق : 461

ولقد حققت هذه النظرية بعض المنجزات، وأسهمت بنصيب لا بأس بـه فـي معالجة قضية المعني أو الدلالة، فقد فجرت ثورة في طريق التحليل الأدبي ومكّنت الدراسة التاريخية للمعني من الاستناد إلي أسس حديثة أكثـر ثباتـاً، ووضـعت مقاييس لشرح الكلمات. ولو قُدر لهذه النظرية أن تطبق بحكمة وعنايـة لـشكّلت القاعدة الصلبة، وحجر الأساس لعلم الدلالة.

وخلاصة القول في هذا التمهيد أن السياق من حيث هو بعمومـه يمكـن أن يشمل الدلالات كافة على اعتبار أن ما هو لغوي منها ينتمي إلي السياق اللغـوي، وما هو غير لغوي من الدلالات غير اللفظية ينتمي إلي سياق الموقـف، وهـذان النوعان من السياق وما يشملانه من الدلالات اللغوية وغيـر اللغويـة همـا مـا يتعاضدان فيشكلان ما يسمى النص؛ ذلك أن النص: "منجز لغـوي ذو علاقـات ترابطية فيما بين مكوناته المتتابعة، وذو غرض بلاغي، وبينه و بـين الموقـف علاقة حضور متبادل"([1]).

لذا فإن عملية تحليل اللغة ووصف تراكيبها لا ينبغـي أن تكـون شـكلية خالصة، إذ اللغة ظاهرة اجتماعية يوظفها الإفراد لأداء المعني وفـق مقاصـدهم وغاياتهم في ظروف مقامية محيطة، الأمر الذي يقتضي مراعاة السياق بنوعيـه، لما له من أثر كبير في بنية اللغة تركيباً ودلالةً.

---

[1] _ استيفن اولمان. دورة الكلمة في اللغة : 61

المبحث الثاني

السياق في اللغة والاصطلاح

أولاً: السياق في اللغة:

ذهب ابن فارس إلى أن " السين والواو والقاق" أصل واحد، وهوحـدو الـشىء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امراتى صداقها، واسقته. والسوق مشتقة من هذا؛ لما يساق من كل شىء، والجمع اسواق. والساق للانسان وغيره والجمع سوق، وانما سميت بـذلك لان الماشـى ينـساق عليها"([1]).

وجاء في اللسان([2]): السياق من سياق الإبل وغيرها، يسوقها سوقاً وسـياقاً، وهو سائق وسواق، قال تعالي: ((وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد))([3]).

والسياق: المهر، وساق إليها الصداق والمهر سياقاً، وأسـاقه، وإن كـان دراهـم ودنانير، لأنهم كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً.

وتقول: رأيت فلاناً يسوق سوقاً، أي: ينزع نزعاً عند الموت. ويقال: فـلان في السياق، أي: في النزع. والسياق: نزع الروح. وأصله (سواق)، فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق.

وقال الزمخشرى([4]): " سوق ": ساق النعم فانساقت وقدم اليك بنو فلان … فأسقتهم إبلاً. قال الكميت:

ومقل أسقتموه فاثرى   مائة من عطائكم جرجورا ([5])

ومن المجاز: ساق ا إليك خيراً. وساق إليها المهر. وساقت الـريح الـسحاب. وأردت هذه الدار بثمن فساقها ا إليك بلا ثمن. وهو يسوق الحديث أحسن سياق،

---

[1] -2ابن فارس.مقاييس اللغة:117/3

[2]- ابن منظور . لسان العرب ، مادة : " سوق "

[3]- سورة " ق " : 21

[4] الزمخشري . أساس البلاغة ، ط1 ، 1979 ، دار صادر ، مادة " سوق "

[5] - الجرجور العظام من الإبل. انظر: درة الغواص في أوهام الخواص - (ج 1 / ص 35)

وفى المثل " إليك يساق الحديث "([1]). وهذا الكلام مساقه إلي كذا. وجئتك بالحديث علي سوقه، أي: علي سرده. وسياق الكلام: أسلوبه ومجراه، يقال: وقعـت هـذه العبارة في سياق الكلام، أي: في مدرجة فيه ([2]).

وتجمع كلمة " سياق ": علي سياقات. وسـياق الـشيء : مجـراه وتتابعـه، وسياق الكلام والأمر والأفكار: المقامات التي يقع فيها، أو الظـروف وتتابعاتهـا الأسلوبية "([3]).

السياق في الاصطلاح :-

ليس من اليسير أن يجد الباحث تعريفاً شافياً جامعـاً ومانعـاً لمـصطلح السياق، علي الرغم من استعمال هذه الكلمة كثيراً، وفى شـتي مجـالات الفكـر والعلوم. ومعظم ما وجدته في تعريف السياق بوصفه مـصطلح لا يتعـدي تلـك الومضات الخاطفة التي تشير إلى أقسامه أو عناصره، فالسياق بمعناه العام الـذي يشمل اللغة وغير اللغة هو مفهوم يصعب تحديده وذلك لان معظـم المعـاجم لا تفرد تعريفاً كافياً وشافياً لكلمة السياق مجردة عن نعوتها، كالـسياق اللغـوي، أو سياق الحال.

وعليه فالسياق يمكن أن نفهمه بمضمونه لا بمصطلحه، ولعله لهذا الـسبب أعطت بعض القواميس السياق معني القرينة الحالية؛ وذلك لان القرينـة الحاليـة اللفظية هي قرينة منظورة في اللفظ أو النص المعين([4]).

---

[1]- مثل يضرب عند الإساءة في السؤال والاستعجال به قبل أوانه أنظر : زهرة الاكم في الامثال والحكم ، للحسن اليوسى ، ط 1 / 81 تحقيق : محمد حجي المقرى،احمد بن محمدالمقرى التلمسانى ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب .دار صادر - بيروت ،1968.تحقيق:د. احسان عباسن،ص:175/6

[2]- أنظر : المنجد في اللغة والاعلام ، مادة : " سوق "

[3]- أنظر المعجم العربي الاساسي : 654

[4]- أنظر : عبد الرحمن طه . البحث اللساني السيمائي ، الرباط ، كلية الادارة والعلوم الانسانية ، 1984 ، ص : 3.2 – 3.1

ونظراً لعدم كفاية النصوص لتوضيح معني السياق بمفهومه العـام، نجـد مـن الباحثين من يستعين علي تعريفه بضرب الأمثلة([1]).

وبما أن كلمة السياق "context" استعملت حديثاً في معان مختلفة، فإن المعني الذي يهمنا هنا، هو معناها التقليدي، بأوسع معاني هذه العبارة. فينبغي أن تشمل كلمة السياق بهذا المفهوم: الكلمات والجمل السابقة واللاحقة، كما ينبغي أن تشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات وعناصر أخرى غيـر لغويـة متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة.

إذن هناك ثلاثة عناصر مهمة يمكن أن تـشكل مجتمعـة تـصوراً لمفهـوم السياق([2]).

أ- الألفاظ بشكلها وتركيبها.

ب- المعاني المفردة والمركبة .

ج- المقام " أو الموقف اللغوي ".

والسياق علي هذا التفسير نوعان([3]):

الأول: السياق اللغوي linguistic context، ويقصد به، النص الذي تـذكر فيـه الكلمة، وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة، تفيد في الكشف عـن المعنـي الوظيفي للكلمة، وهذه العناصر هي: " الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية".

والثاني: سياق الحال contextual situation ، ويقصد به الظـروف المتعلقـة بالمقام أو الموقف اللغوي الذي تنطق فيه الكلمة، أو بتعبير آخر، دراسة الكلمة في المحيط الذي تقع فيه. وينعته بعضهم بقوله: " ما يصاحب اللفظ مما يساعد علـي توضيح معناه "([4]).

[1] - أحمد ماهر . ابن القيم اللغوي . الاسكندرية ، ص : 192

[2] - أنظر : رمزي البعلبكي . معجم المصطلحات اللغوية . دار الملايين ، ط1 ، بيروت ، مادة " سياق "

[3] - مصطفى النحاس . من قضايا اللغة ، الكويت ، جامعة الكويت ط1 ، 1415 – 1995 ، ص : 81

[4] أنظر المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، ص : 116

المبحث الثالث

السياق اللغوي وقرائنه

Linguistic context

أولاً: مفهوم السياق اللغوي

السياق اللغوي هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) وما يحتويه من قرائن تساعد علي سبل كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفيـة، وهـي تسبح في نطاق التركيب([1]).

والسياق اللغوي يتطلب بحث اللغـة بمـستوياتها جميعـاً: الـصوتية، والصرفية، والنحوية، التركيبية، والمعجمية، والدلالية، للوقوف علي ذات الكلمـة وما هيتها.

وقد عنيت دراسات كثيرة في القديم والحديث بالشكل التركيبي في الـسياق اللغوي، وتحليل أركانه وتصنيفها، حسب الأقسام، وطبقاً لمعيار الدراسة والهدف. فحين عالج القدماء ما يتعلق بدلالة حروف المعاني، ذهبوا إلي أنها لاتـدل علـي معني في ذاتها،([2]) وإنما تكتسب معانيها بالنظر إلي سـياقها اللغـوي ومقامهـا الحالي، في إطار تفسير المعني المجمل من السياق أو المقام.

وقد وجد السياق اللغوي عناية خاصة عند عبد القاهر الجرجاني، علي نحـو ما نجده في دراسة المعني، علي مستوي التراكيب اللغوية، أو ما سـماه بنظريـة النظم التي بين أصولها في كتابه (دلائل الإعجاز)(واسرار البلاغة)، حيث تبين من تلك الدراسة، أن هناك أثراً للنظم في تحديد قيمة الكلمـة ودلالتهـا، وبيـان الانسب من الطرق التي تؤدي وتوصل إلي المعاني.

وقد قدم الجرجاني فى ثورته المنهجية في البحث اللغوي، مرتكزات تنبع من الدلالة وتصب فيها، وأهمها: استناده إلي النص القرآني، والي كلام العـرب فـي

---

[1]- د. عبد القادر عبد الجليل . الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية . دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط1، 2..2 ، 1422
ص : 213

[2]- أنظر : مغني اللبيب لإبن هشام ، حروف المعاني للزجاجي ، معاني الحروف للرماني ، كتاب الحروف للمزني .

تحليله، وهذا هو المنحي الوصفي في البحث اللغوي، باعتبار أن هذا المنحي يُعنى باستنباط الاحكام من نص لغة يتكلم بها ابن سليقة هذه اللغة. كما رفض الجرجاني استخراج العنصر اللغوي من البيئة وعزله، والنظر إليه من خلال هذه العزلة، بل أدرك بفكره الثاقب أهمية السياق الذي وردت فيه تلك البنية، يقول:

"هذا ما ينبغى للعاقل أن يجعله علي ذكر منه أبداً وأن يعلم أن ليس لنـا إذا نحـن تكلمنا في البلاغة والفصاحة، مع معاني الكلم المفردة، شغل، ولا هي منا بـسبيل، وإنما نعمد إلي الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب "([1]).

وقد فرق الجرجاني بين مستويين من المعاني:

احدهما: المعاني الحقيقية أو المعاني المعجمية.

ثانيهما: المعاني المجازية، أو معاني العلاقات.

وأطلق علي النوع الأول: المعني، وعلي الثاني: معني المعني، يقول: " وإذ قد عرفت هذه الجملة، فها هنا عبارة مختصرة، وهي إنا نقول: المعنـي ومعنـي المعني، ونعني بالمعني المفهوم من ظاهر اللفظ، الذي تصل إليه بغيـر واسـطة، وبمعني المعني: أن تعقل من اللفظ معني أخر".([2]) وذلك يعتبر تفريق منـه فـي مستويات الدلالة اللغوية.

وقد تنبه الشراح القدماء إلي أهمية السياق اللغوي في تعيـين المقـصود مـن الالفاظ، وفي تحديد المراد من دلالاتها المتعددة، كألفـاظ الإضـداد والمـشترك والالفاظ العامة. ففي مثل هذه الحالات نجد الشراح يتكئون علي معطيات الـسياق اللغوي في تحديد المقصود من دلالات هذه الالفاظ، منبهين علي ذلك بقولهم "وهو ها هنا كذا...". كما كان بعض الشراح بعد شرحهم لبعض الالفاظ يشفعون ذلـك بإيراد بعض الشواهد علي ذلك التفسير، ومن الواضح أن اختيار الشواهد، يتم علي أساس مراعاة سياقها اللغوي، يقول الانباري في شرحه لفظة (عال): " فأما الفعل (عال) فقد ورد في شعر مزرد بن ضرار، يصف حال رجل وامرأته، خدع رجل ابنهما واشتري الإبل منه بغنم ".

---

1 - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز . تعليق .ا حمد محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 141. ، 1989 ، ص : 263 .

2 - المصدر السابق ص: 77/1

وعالا وعاما حين باعا بأعنز   وكلبين لعبانية([1]) كالجلامد([2])

وجاء في شرحه: (عالا) افتقرا، يقال: عال الرجـل يعيـل إذا افتقـر. قـال الشاعر([3]):

لما يدري الفقير متي غناه .. وما يدري الغني متي يعيل

أي: متي يفتقر. وقال تعالي: ((ووجدك عائلاً فاغني))([4])، يقال عـال يعيـل، إذا افتقر، وعال يعيل إذا تبختر في مشيه))([5]).

فقد فسر الشارح دلالة الفعل (عال)، في بيت مزرد بالافتقار، ثم أورد شاهدين علي ذلك، أحدهما قرآني، والاخر شعري.

فأما الشاهد القرآني فهو قوله تعالي، مخاطباً نبيه محمد صلي ا عليه وسلم: ((ووجدك عائلاً فاغني)). ونستطيع أن نقرر أن الشارح قد عين المقـصود مـن لفظ (العائل) في هذه الآية علي أساس اعتباره لسياقها، ويتمثل هذا السياق في قوله تعالي: (فاغني)، فإن هذا القول يمثل قرينة لفظية تعين أن يكون المقـصود بلفـظ (العائل) في الاية هو(الفقير) وذلك؛ لأن الكلام موجه للإخبار عن تغيير من حـال إلي ضده، فإذا كان الضد الذي غير إليه الحال هو الغني، (فاغني) فلا بد أن يكون الحال الذي تغير هو الفقير (عائلا)، وعلي ذلك فقد وضع هذا السياق اللغوي حداً أمام الاحتمالات الدلالية الاخري، لهذا اللفظ، إذ إنه اسم فاعل من الفعـل (عـال) وهذا الفعل يحتمل أن يكون واوي العين أو يائيها، وله علي كل احتمال دلالتـان: فاما (عال – يعيل)، فيدل علي([6]):

---

[1] - معجم البلدان - (ج 4 / ص 22)
لعباءُ: بالفتح ثم السكون وباءٍ موحد وألف ممدودة. اسم لسبخة معروفة بناحية البحرين بحذاءِ القطيف على سِيف البحر فيه حجارة مُلس سمبت بذلك لأنها لعَبَ فيها كل واد أي سال والنسبة إليها لعباني كالنسبة إلى صنعاءَ صنعاني وتنسب إليها الكلاب.

[2] - معجم البلدان - (ج 4 / ص 22)
قوله لَعبانية يعني نوقاً شَبهَها في صلابتها بحجارة اللعباءِ، ولَعباءُ أيضاً ماءُ سماءٍ في حزم بني عُوَال جبل لغطفان في أكناف الحجاز، وهناك أيضا السدُ وهو ماءُ سماءِ. قال كُثَير:
فأصبحْنَ باللعباء يَرمين بالحصا ... مدَى كل وَحشِي لهُن ومُستَمِي" وانظر: الفضليات: 9/1.

1- هو أحيحة بن الجلاح .انظر: [3] - تفسير الطبري - (ج 14 / ص 192)(تفسير القرطبي - (ج 8 / ص 1.6)
يقال: عال الرجل يعيل إذا افتقر.)

4 سورة الضحي : 8

5 أبو القاسم بن محمد . شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كارلوس لاين ، مكتبة المثني ، بغداد ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ، 192. ، ص : 13.

[6] - تفسير القرطبي - (ج 2. / ص 99)

أ – الافتقار.

ب- التبختر في السير.

وأما (عال – يعول) فيدل علي:

أ – الجور والميل.

ب – قيام الرجل علي عياله.([1])

فاسم الفاعل "عائل"-منفرداً – يصلح أن يكون بأحـدي هـذه الـدلالات الأربع([2])، ولكن ورود القرينة اللفظية: " فاغني" إلي جواره، قد جعل دلالته علي الفقير هي الدلالة المقصودة.

أما الشاهد الشعري، فهو قول الشاعر:

لما يدري الفقير متي غناه . ..... وما يدري الغني متي يعيل

ونستطيع إن نقرر هنا ايضاً أن الشارح في استشهاده بهذا البيت علي ورود الفعل "عال – يعيل" بمعني افتقر، قد اعتبر السياق اللغوي لهذا البيت.

ويتمثل هذا السياق في قول الشاعر في الشطر الأول: " لما يدري الفقير متـي غناه "، وفي قوله في الشطر الثاني: " وما يدري الغني ..." فإن هذا وذاك يمثلان قرينة لفظية تعين أن يكون المراد من قوله: "يعيل " هو الافتقار، لا التبختر فـي السير، إذ انه هو المقابل للغني.

ثانيا : قرائن السياق اللغوي:

لايستطيع الباحث المتصل بالدراسات النحوية أن يـبخس مـا بذلـه الأقدمون من مجهودات ضخمة، في حقل الدراسات النحوية، ولا أن ينكر تفـانيهم في الحفاظ علي اللغة العربية لغة القرآن، ولا أن يقال من شأن هذا التراث اللغوي القيم الذي خلّفوه. غير انه لايخفى علي المـتفحص أن يـدرك أن معظـم تلـك الدراسات النحوية قد اتجهت إلي الاهتمام بظاهرة الإعراب، وانصرفت انـصرافاً كبيراً إلي العامل، و ما يتركه في أواخر الكلم من الاثار، لكن الإعراب ليس هـو

يقال: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر.

1 أنظر اللسان ، مادة " عول " : 13 / 51.

2 د . عبد القادر محمد حسن جبل . في علم الدلالة ، دراسة تطبيقية في شرح الانبارى للمفضليات ، دار المعرفة الجامعية ، 1997 ، ص : 72-73

المحور الرئيسي فى بيان المعني النحوي، بل توجد بجانبه قرائن أخـري لاتقـل أهمية عنه في أداء المعني النحوي، وإن كان النحويون لم يركّزوا عليها كثيراً في بحوثهم، أو لم يسلطوا عليها الاضواء كما فعلوا مع قرينـة الإعـراب، إلاّ أننـا لانستطيع أن نقول إنهم أهملوها، فذلك ما لم يحدث، لكن وضعهم لنظرية النحـو علي أساس من العمل والعامل والمعمول، وجهت الاهتمام الاكبر الي الإعراب.

وربما الذي دفعهم الي ذلك، هو أن معظم الاخطاء التي دفعت الي البحـث في النحو، كانت اخطاء ترجع في الاكثر الي الإعراب أكثر من غيره من القرائن الاخري كالصيغة والرتبة والتضام .... الخ.

" فالنحو القديم علي كثرة ما ألّف فيه ما يزال يحتاج الي تناول جديـد فـي منهجه، جديد في استكمال موضوعاته، جديد في ترتيب أبوابه ومسائله، وتنقيحها، ومن ثم كانت دراسة العلاقات النحوية وقرائنها، وعلاماتهـا، ماديـة كانـت أو معنوية، أو مقامية تعتبر – بحق – حجر الاساس في بناء نحوي متكامل، يعـالج كثيراً من القضايا النحوية المستعصية، ويساير المناهج الحديثة، ويبعد عما أقحـم علي النحو من مسائل الفلسفة، وعلل الكلام " ([1]) .

إن فروع اللغة تتعاون معاً لبيان المعني بشعبه المختلفة، الاصـوات، الكلمـات، الجمل، وكل مرحلة لها فرعها المعين. والفروع اللغوية المختلفة هذه – بتعاونهـا معاً توضح لنا المعني المقالي، أو جانب المقال في اللغة، وهو الجانب الذي عُنـي به النحويون، وأولوه عناية فائقة، علي تفاوت في ذلك الاهتمام بين القرائن بعضها والبعض الآخر.

والقرائن نوعان: مقامية ومقالية.

فالقرائن المقالية تشتمل علي جانبين هما:

أ- القرينة اللفظية: وترجع الي صورة التركيب.

ب- القرينة المعنوية: وترجع الي المضمون، وما يحتويه التركيب مـن معانٍ وهذا بطبيعة الحال لايمكن أن يتم بمعزل عن الـسياق، إذ لـيس المعنـى النحوى منعزلاً عن النص أو يمكن أن يكون كذلك؛ ولذلك ينبغى النظر دائماً الـى

1 ـ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص : 16

السياق بوصفه الجديلة المزدوجة المفتولة باحكام، من المفردات والنظام النحـوى معاً، والمنصهرة فى بوتقة الاختيار بينهما، بحيث تتكون دلالة الكلمة الحقيقية فى سياق بعينه وتكون جزءاً من دلالة الجملة كلها، ومن هنا تكـون دلالـة الكلمـة حصيلة لاجتماع المعنى النحوى والمعنى المعجمى فى سياق مخصوص([1]).

اولاً: القرائن اللفظية:

1 – قرينة الاعراب : تعتبر القرينة الإعرابية من أوفر القرائن حظاً فى اهتمـام النحاة، حيث جعلوا الإعراب نظرية كاملة، سموها (نظرية العامل) وتحدثوا فيـه عن الحركات الظاهرة والحركات المقدرة، ثم تحدثوا عن الحروف ونيابتها عـن الحركات، كما تحدثوا عن الإعراب المحلي والتقديري. ثـم اختلفـوا فـي هـذا الإعراب، هل كان في كلام العرب ؟ وكان لقطرب ([2]) كلام في انكار أن تكـون اللغة العربية قد اعتمدت حقيقة علي هذه العلامات في تعيين المعاني النحوية : من فاعليه ، ومفعوليه ، واضافة ...الخ.

والحق ان القرينة الاعرابية بمفردها قاصرة عن تفسير المعـاني النحويـة، وذلك لأن المعربات التي تظهر عليها الحركات، اقل من مجموع ما يمكن وروده في السياق من الكلمات. فهناك الاعراب بالحذف، والإعراب المقـدر للتعـزر أو الثقل، أو لاشتغال المحل، وهناك المحل الاعرابي للمبنيات، والمحـل الاعرابـي للجمل. وكل هذه الإعرابات لاتتم بواسطة الحركة الاعرابية الظاهرة، ومن هنـا كان الاتكال على العلامة الإعرابية واعتبارها كبري الدوال أو المحـدد الـدلالي الوحيد علي المعني النحوي عملا يتسم بكثير من المبالغة([3]).

2 – قرينة الصيغة: وضع النحاة واللغويون صيغاً للافعال، وصـيغاً للاسـماء والصفات. والمعروف أن الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل، يطلـب فيهـا أن تكـون أسماء، والمصادر من بين الاسماء تكون مفعولاً مطلقاً، ومفعولاً لأجله، ويكـون الخبر والنعت والحال صفات. فلو جاء فعل في موضع الاسم، فإنه يكون في هـذه

---

[1] - د.محمد حماسة .النحو والدلالة ،ص:173

2 - أنظر : الاشباه والنظائر ، للسيوطي ، وأنظر : أحياء النحو ، لابراهيم مصطفي ، 51 ، ومن أسرار اللغة . ابراهيم انيس ، ص : 22.

واللغة العربية معناها ومبناها : 225 .

3 - من قضايا الادب واللغة ، د . عبده بدوي ، مؤسسة الصباح الكويت ، 14.1 – 1981 ، ص : 183

الحالة محكياً، ويعتبر اسماً كالاسماء الاخري، كما يحدث عندما نعرب عبارة مثل: (ضرب فعل ماض) إذ يصير (ضرب): مبتدأ، و(فعل): خبر، و(ماض) نعت، لأن (ضرب) هنا حُكي وقُصد لفظه فصار اسماً([1]). علي أن هناك صيغاً ذات أثر نحوي في السياق، فقد ذكر الصرفيون أن (فَعل) و(أَفْعل) من معانيهما: التعدية، نحو: قومت زيداً، وقعدته، وأقمت زيداً وأقعدته وأقرانّـه، ([2]). (وفاعـل) مـن معانيها التشارك بين اثنين فاكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعـلاً، فيقابلـه الآخر بمثله، فحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية، فاذا كان أصل الفعل لازماً، صار بهذه الصيغة متعدياً، نحو: ماشيته، والأصـل، مـشيت ومشي. وهذا بخلاف(تفاعل) التي تدل علي التشريك بين اثنين فاكثر، فيكون كل منهما فاعلاً في اللفظ ، مفعولاً في المعني، نحو: تخاصم زيد وعمرو([3]).

ومن الصيغ الصرفية التي تنبئ عن المعني النحوي: (فَعُل، يفْعُل) من أفعال السجايا، نحو: شَرُف يشْرُف، وكَرُم، وعظُم، وانْفَعل، وتَفعّل، من أفعال المطاوعة، نحو: قطعته فانقطع، وكسرته فانكسر، ونبهتّه فتنبه، وكسرته فتكسر، فجميع هـذه الصيغ معناها اللزوم. ومن هنا تكون الصيغة قرينة دالة علي أن الفعل لا يـصل الي المفعول به.

كذلك صورة الفعل مبنياً للمعلوم أو مبنياً للمجهول قرينة علي أن ما بعده فاعل أو نائب فاعل، فالفعل المبني للمعلوم، هو ما ذُكر فاعله، نحو: ضرب زيـد عمـراً، والمبني للمجهول ما ذُكر معه فاعله وأنيب عنه غيره ، نحو: "ضُرب زيد". ومثله الوصف المعتمد على اسم الفاعل واسم المفعول، يدل علي أن المرفوع بعده فاعل أو نائب فاعل، نحو: أقائم الزيدان ؟، أمظلوم أخوك ؟، والاول من فعـل مبنـي للمعلوم، والثاني من فعل مبني للمجهول، وإذا ثُنيتْ الصيغة، فقيل: أقائمان الزيدان ؟، كان الوصف خبراً مقدماً، والزيدان مبتدأ مؤخراً، لأن المطابقة لازمـة بـين المبتدأ والخبر .. ولا تلازم بين الفعل والفاعل([4]).

1- اللغة العربية معناها ومبناها : 21.

2 شذي العرف : 41 – 43

3 المصدر السابق : 42 – 45

[4]- الصادق محمد آدم. البعد الدلالى والبلاغى للترخص فى قرينة المطابقة عند امن اللبس .رسلة ماجستير مخطوطة جامعة الخرطوم ،مكتبة السودان ،ص:77-78

3 – **قرينة التضام:** ونعني به ايثار ضميمة لضميمة أخري دون غيرها، فالفعل يتضام مع الفاعل، والمفعول، وقد يتضام معهما جهة مخصصة للحدث، كما يتضام الحال ليبين هيئة الفاعل أو المفعول ووقت حدوث الحدث، أو التمييز الذي يتضام ليحدد ذات المميز أو النسبة.

والتضام قد يكون بطريق اللزوم، كتضام الصلة مع الموصول، أو الجار مع المجرور، أو المضاف مع المضاف اليه، أو بطريق غير لازم كتضام المفاعيل مع الجملة الفعلية، أو غير المفاعيل من جهات الاختصاص أو التخصيص الأخـرى كالحال أو الاستثناء ..... الخ .

وقد يكون التضام بطريق التنافى أو السلب، أي: عدم مجئ ضميمة لوجود ضميمة أخري، وهو كل ما ذكره النحويون من الحذف الواجب ([1]).

ولا شك أن التضام يعتبر مبرراً لقبول مسائل التقدير، والذكر والحذف، فى اللغة العربية، لأن الحذف والاستتار إنما يكونان للعناصر التي تطلبهـا عناصـر اخري، فيكون هذا التطلب أساساً لقبول تقدير المستتر أو المحذوف. وتتضافر معه بالطبع عناصر أخري كسبق الذكر عند الحذف، وكدلالة الفعـل عنـد الاسـتتار، يقول ابن مالك:([2])

وحذف ما يعلم جائزكما تقول زيد بعد من عند كما

وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد استغني عنه إذ عرف

ويقول في موضع آخر: ([3])

وبعد فعل فاعل فان ظهر فهو والا فضمير استتر

4- **قرينة الرتبة:** من القرائن اللفظية التي عُني بها النحاة، وذلك لاهميتها في الكشف عن المعني النحوي، وهي عبارة عن علاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما من الآخر علي معناه. فقد تعرض لها النحـاة فـي كثير من الابواب النحوية، وقسموها إلي قسمين:

---

1 - د . محمد صلاح الدين مصطفي بكر . النحو الوصفي من خلال القران 24/1 ، وأنظر : اللغة العربية معناها و مبناها : 216

2- ابن عقيل . شرح بن عقيل علي علفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج1 / 243 – 244

3- المصدر السابق:76/2

أ- الرتبة المحفوظة كتقدم الفعل علي الفاعل أو نائب الفاعل، وتقدم الشرط علي الجواب

ب- الرتبة غير المحفوظة كالتي بين المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به. وبينوا ما قد يطرأ علي الرتبة غير المحفوظة مما يحتم حفظها، كما في نحـو: ضرب موسي عيسي، أو عكسها، كما في نحو: في الارض صاحبها([1]).

يقول ابن مالك:([2])

ونحو عندي درهم ولي وطر	ملتزم فيه تقدم الخبر
كذا إذا عاد عليه مضمر	مما به عنه مبيناً يخبر
كذا إذا يستوجب التصديرا	كأين من علمته نصيرا
وخبر المحصور قدم أبدا	كما لنا الا اتباع أحمدا

5 – قرينة الاداة: تعتبر الاداة قرينة لفظية هامة فـى الدلالـة علـى المعنـى، والادوات علي نوعين:

أ – أدوات تدخل علي الجمل، مثل: النواسخ، وأدوات النفي، والتوكيد والاستفهام والنهي والتمني والترجي والعرض والتحضيض والقسم والشرط والتعجب والنداء

ب – وأدوات تدخل علي المفردات، مثل، حروف الجـر، والتحقيـق والتقليـل والابتداء والنواصب والجوازم التي تجزم فعلاً واحداً

ولكل أداة من هذه الادوات ضمائمها الخاصة، فهي تتطلب بعدها شـيئاً بعينـه، فتكون قرينة متعددة الجوانب، حين تدل بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامها مـع الكلمات الاخري، وبما قد يكون متفقاً مع وجودها من علامـات إعرابيـة علـي ضمائمها وهذا التعدد من جوانب الدلالة بقرينة الاداة يجعلها في التعليق النحـوي قرينة لفظية هامة جداً ([3])

ولاهمية قرينة الاداة في توظيف الدلالة ناتي بهذا المثال لتوضيح الفرق بـين المفعول به والمفعول معه في الجملتين الاتيتين:

1 - نفس المصدر : 1 / 239

2- المصدر نفسه:24/1.

3 - اللغة العربية معناها ومبناها : 225

" فهمت الشرح" في مقابل " فهمت والشرح " ، " أنشدت زيداً قصيدة " في مقابل " أنشدت وزيداً قصيدة " نجد أن الفتحة بمفردها لم تغن فتيلاً في تمييز المعنيين، ولا هي والرتبة معاً، لاتحادهما في البابين. وإنما كانت الواو هي مطية المعية هنا، فلا يفهم معني المعية بغير الواو، فصارت هي القرينة الوحيدة والمحدد الدلالي الاكبر في الدلالة علي المفعول معه، وأصبح عدمها قرينة المفعول به، ومثل ذلك ما تفيده أداة الاستثناء من فرق بين النفي والقصر في نحو: " ما قام زيد " مقابل " ماقام الاّ زيد "([1]).

6 – **قرينة المطابقة([2]):** المطابقة باب هام، وقرينة لها شأنها في تماسك السياق، ولا يخلو منها سياق، فالمفرد لابد أن يرجع اليه الضمير مفرداً، والمثني مثني، والجمع جمعاً، والمذكر مذكراً والمؤنث مؤنثاً وهكذا.

فإننا قد نعمد الي الاتيان بجملة اسمية فنذكر المبتدأ في أول الكلام مثلاً، ثم نفصل بينه وبين الخبر بكثير من الضمائم، ثم نأتى بالخبر في آخر التركيب، لكننا لا يصعب علينا أن ندرك ان هذه الضميمة هي الخبر دون غيرها من الضمائم الاخري، وذلك لأن تماسك السياق بواسطة المطابقة هو الذي يساعدنا في تمييز الضمائم وأبوابها النحوي.

7 – **قرينة الربط([3]):** تحدث النحاة عن قرينة الربط في جملة الصلة، والخبر والحال، والنعت، ودور هذه القرينة في الترابط السياقي للجملة، وبينوا أن الاجوبه تحتاج الي روابط حرفية، مثل: الفاء، واللام، وإذا المفاجاة، حتي يعلم بهذه القرائن أنها أجوبة، كما تحدثوا عن الضمير العائد.

ثانيا : القرائن المعنوية:

تختص بالجانب المعنوي من جانب المقال، وتسمي بقرائن التعليق المعنوية، وهي علاقات قائمة بين الكلمات في السياق، وهي علاقات تصورية تنبني عليها معاني

---

1 أنظر : شرح المفصل : 2 / 599

2- أنظر : البعد البلاغي والدلالي للترخص في قرينة المطابقة ، ص : 11

3 - د . عثمان الفكي بابكر . قرينة الربط .جامعة الخرطوم.مخطوطة بمكتبة السودان ، ص : 28

النحو وأحكامه، ويحتاج لفهمها إلي عمليات فكرية معقـدة، وهـذه العلاقـات أو القرائن هي:

1 – قرينة الاسناد: تتعلق هذه القرينة وتهتم ببيان المسند والمسند اليه، وذلـك فيما بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل أو نائب الفاعـل، والوصـف المعتمـد ومرفوعه، نحو: زيد قائم، قام زيد، ضرب عمرو، أقائم الزيـدان ؟ أمـضروب العمران ؟، ويعتبر الاسناد أساساً للكلام عند عبد القاهر الجرجـاني اذ يقـول: " لايكون كلام من جزء واحد، وانه لابد من مسند ومسند اليه "([1]).

2 – **قرينة التخصيص أو التقييد:** معني التخصيص: هو تخصيص الحدث ببيـان من وقع عليه _ بالمفعول به _ أو ببيان وقته، ومكانه، _ بالمفعول فيه _ أو ببيان سببه _ بالمفعول لأجله او ببيان المصاحب وقت الحدث،- بـالمفعول معـه- أو ببيان نوع الفعل او عدده، _ بالمفعول المطلق_ أو ببيان هيئته _ بالحال أو ببيـان ذاته_ بالتمييز وقرينة التقييد هذه سميت بذلك، لانها تقيد الحدث في الاسناد، كمـا يفهم من تمثيل عبد القاهر، حيث يقول: " وذلك ان من شأن هذه المعاني أن تتناول ما تتناوله بالتقييد وبعد أن يسند إلي شئ"([2]).

وتشمل هذه العلاقة:

أ- الادوات الداخلة علي الجمل، مثل: أدوات النفـي والاسـتفهام، والـشرط، والجزاء، وذلك انك إذا قلت ما خرج زيد، وما زيد خارج، لم يكن النفي الخـارج "بما" متناولاً الخروج علي الاطلاق، بل الخروج واقعاً من زيد ومسنداً اليه " ([3])

أ- المكملات التي تعتبر قيوداً في الجملة، مثل: المفعول به، والمفعول المطلق، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والحال، والتمييز، والاستثناء.

3 – قرينة التبعية([4]): وتتمثل في النعت، والتوكيد، وعطـف البيـان، والبـدل وعطف النسق.

---

1 دلائل الإعجاز : 6
2 المصدر السابق : 541
3 المصدر السابق : 531
4 اللغة العربية معناها ومبناها : 2.4

4 – قرينة النسبة:([1]): وتكون بالاضافة بالجر بالحرف، وهي تسمية كوفية، أي نسبة المجرور للجار، فحرف الجر يفيد معنى معيناً، كالظرفيـة فـي (فـي) أو الانتهاء في (إلي) أو الابتداء في (من) أو التشبيه في (الكـاف) فيـضفي بـذلك المعني علي المتعلق بذلك المجرور.

والملاحظ في هذه العلاقات المعنوية أنها قد ضمت المعاني النحويه فـي تقسيمها الثلاثي المعروف: فعلاقة الاسناد تضم المرفوعات، وعلاقة التقييد تـضم المنصوبات، وعلاقة النسبة تضم المجرورات.

وتسمي هذه القرائن المعنوية بقرائن التعليق([2])؛ لأن التعليق معناه: ارتبـاط الضمائم بعضها ببعض في التركيب علي صورة خاصة، وهي ما سماه عبد القاهر الجرجاني (النظم) the arrangement، إذ يقول: " فلا يجد الانسان صواباً فـي العبارة أو خطأ، الاّ وهو معني من معاني النحو، قد أصيب بـه فـي موضـعه، ووضع في حقه، أوعومل بخلاف هذه المعاملة، واستعمل في غير ما ينبغي له"([3])

تبين لنا مما سبق أن التحليل النحوي يعتمد علي مجموعة من العناصـر أو القرائن اللغوية_ اللفظية والمعنوية الحالية _ وأن العناصر تمثـل علاقـات ودلائل تفهم من السياق أو المقام ويتضافر بعضها مع بعـض لتوضـيح المعنـي النحوي.

وفائدة القول بالاعتماد علي القرائن في فهم المعني النحوي، أنه ينفي عـن النحو كل تفسير ظني أو منطقي لظواهر السياق.

ولعل من المناسب – بعد الحديث عن القرائن وأثرها في الكشف عن المعني النحوي – أن نشير اشارة سريعة الي الفرق بين المعني النحـوي المـستفاد مـن السياق وبين المعني الدلالي، فالاول: يخضع للعلاقات القائمة بين الكلمات، والادلة المتوفرة في السياق علي الوجة الذي تقدم. أما المعني الدلالي فيخضع للعلاقـات العرفية بين المفردات ومعانيها، كما يخضع للعلاقات الاجتماعيه، والمقـام الـذي يقال فيه النص أوالجملة، وذلك مصداق قول البلغاء: " لكل مقام مقال " ، " لكـل

---

1 اللغة العربية معناها ومبناها ، ص : 2.1
2 - أنظر : المعني النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة ، ص : 174
3 - دلائل الإعجاز : 82 – 83

كلمة مع صاحبتها مقام "([1]). ولذا فنحن نقول عن زيد في قولنا " لم يضرب زيد " أنه فاعل، مع أن الفعل لم يقع، لكن القرائن الموجودة في السياق، من كونه اسـماً مرفوعاً، وقع بعد فعل مبني للمعلوم، تعطيه معني وظيفياً نحوياً، هـو الفاعليـة. كذلك نقول في: " ضُرب اللصُ "، اللص: نائب فاعل، مع أنه لم ينب عن الفاعـل في شئ، غير أنه وقع موقعه وأخذ إعرابه، فهو في الحقيقة مفعول به، وقع موقع الفاعل.

ومعني ذلك أن قول النحويين: " الإعراب فرع المعني" إنما يقـصدون بـه المعني الوظيفي النحوي، لا المعني الدلالي([2]) وهذا هو السبب في اننا – أحياناً – نعرب جملاً لانفهم معناها الدلالي، وإنما نفهم معناها النحوي بواسـطة القـرائن المختلفة الموجودة في السياق، كما في قول المجنون بن جندب([3])

محكوكة العينين معطاء القفا   كانما قدت علي متن الصفا

تمشي علي متن شراك أعجفا   كانما ينشر فيه مصحفا

فـإن أبـا العـلاء العمـاني لـم يـستطع تفـسير ذلـك، ولـم يـستطع ذلك أبو عبيدة، ولا الاصمعى، ولا أبو زيد. وقال أبو زيد: إنه كلام مجنـون، ولا يعرف كلام المجانيين الا مجنون ([4]).

وعلي هذا كان إعراب: " ضرب زيد " لايختلف عن إعـراب " جـاء عمـرو، بالرقم من اختلاف المعني الدلالي لكل منهما، لأن كلاً من المثالين يحتوي علـي نفس العناصر والوظائف التركيبية التي في الآخر.

ومعني هذا أن ما يهم النحوي هو موقع الكلمة في السياق، وبيان علاقتها بما قبلها وما بعدها، ليتضح معناها الوظيفي، أما الحركة الإعرابية، فهي احـدي

---

1 - أنظر : السكاكي . مفتاح العلوم . ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1983 ، ص : 168

2- المعني النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث ، ص : 188

[3] - المزهر - (ج 1 / ص 45)قال أبو العلاء العماني الحارثي: لرجل يرقّص ابنته:
محكوكة العَيْنَيْن مِعْطَاءُ القَفَا ... كأنما قدّت على متن الصفا
تمشي على متن شِراك أعْجَفَا ... كأنما تَنشر فيه مُصحفا
فقلت لأبي العلاء: ما معنى قول هذا الرجل؟ قال: لا أدري قلت: إن لنا علماء بالعربية لا يَخْفَى عليهم ذلك، قال: فأْتهم، فأتيتُ أبا عُبيدة فسألته عن ذلك فقال: ما أَطْلَعَني اللّه على عِلْم الغيب فلقيتُ الأصمعي فسألتُه عن ذلك، فقال: أنا أحسب أن شاعرها لو سُئل عنه لم يَدْرِ ما هو، فلقيتُ أبا زيد فسألتهُ عنه، فقال: هذا المرقّص اسمه المجنون بن جندب، وكان مجنوناً، ولا يَعْرف كلامَ المجانين إلاّ مجنونٌ، أسألتَ عنه أحداً قلت: نعم، فلم يعرفه أحدٌ منهم.

4-- انظر: السيوطى. المزهر:45/1.

القرائن الموجودة في السياق للكشف عن المعني النحوي، فإذا لـم تتحقـق هـذه الحركة لاي سبب من الاسباب فلا داعي لتقديرها، لانها ليست موجـودة أصـلاً، وليس من حقنا أن نقدرها، وإنما قدر النحاة لها حركة قياساً علي الصحيح" وحسب المعرب أن يقرر الواقع، دون أن يخمن ماذا يكون آخر هذه الكلمة المقـصورة أو المنقوصة، لأن اللغة ليست ملك يده، ولا هي سائرة في نظام منطقي مرسوم([1]).

فالإعراب جزء من النحو وليس هو النحو، فهو عبارة عن ضبط أواخـر الكلمات بناء علي تصور المعاني النحوية، فاعلية ومفعولة واضافية وتبعية... الخ فليس اختلاف الحركات في الإعراب سببه اختلاف العوامل كما يري النحاة، وليس سببه المتكلم كما رأي ابن مضاء([2])، أو لأن الحركـات الإعرابيـة ذات معـانٍ محددة، كما يري الاستاذ ابراهيم مصطفي، ([3])، وإنما سـببه طبيعـة العلاقـات السياقية، وبناء التراكيب في اللغة علي التمييز والفرق بين المعاني، وذلـك فـي ضوء القرائن المختلفة _ المعنوية واللفظية والحالية _ المتوفرة في السياق

فاذا قلنا: ما أحسنُ زيدٍ ؟ في مقام الاستفهام، يجب أن تغيره في مـا أحـسن زيداً ! في مقام الاستحسان، وفي: ما أحسنُ زيد، في مقام النفي وإذا قلنـا نحـن السودانيين نُكرم الضيفَ، في مقام الاختصاص، يجـب أن نغيـره فـي: نحـن السودانيون نكرم الضيف، في مقام الاخبار وإذا قلنا لن يقوم زيد بنصب الفعـل، يجب أن نغيره في: يقومُ زيد: تحقيقاً لعدم المماثلة بين ما هو مسبوق بلن، وما هو خلو منها، لأن اللغة بنيت أساساً علي الفهم والتمييز.

1- عبد المجيد عابدين . المدخل الي دراسة النحو العربي ، ط ، 1951، الشبكشي ، القاهرة ، ص : 121

2 ابن مضاء القرطبي . الرد علي النحاة . تحقيق د . شوقي ضيف لجنة التأليف ، ط ، 1366 ، 1947 ، القاهرة ، ص : 87

3 ابراهيم مصطفى . إحياء النحو . لجنة التأليف ، 1951 ، القاهرة ، ص : 5.

المبحث الرابع

السياق غير اللغوي ومجالاته

Non liquistic context

أولاً: تعريفه وتسميته:

يسمي بسياق الحال context of situation ، ويسميه الـدكتور كمـال بشر([1]) ب"مسرح اللغة " او السياق العام، أو المقام، أو سياق الموقف،أو الـسياق الاجتماعي، فهو – كما قلنا في تعريفه – مجموعة من الظـروف التـي تحـيط بالحدث الكلامي، ابتداء من المرسل، والوسط حتي المتلقـي أو المرسـل اليـه، بمواصفاتهم وتفصيلاتهم، المتناهية في الصغر([2]) وإذا كان السياق اللغوى الدلالى يتخذ الكلمة أو الجملة موضوعاً له؛ فإنه لا بد أن تتداخل العوامل الخارجية، أو ما يسمى سياق الموقف أو سياق الثقافة؛ لارتباط الكلمات بالخارج، بالقوة أو بالفعل، ولارتباط الجملة بقضية لها علاقة بالصدق أوالكذب بازاء ذلك الخارج، وبناء على ذلك؛ فإن الكلام لا ينطق بمعزل عن اطاره الخارجي؛ لذا قالوا: لكل مقام مقـال، وكان البلاغيون أكثر القوم احتفاء بهذا المنظور.

كما اهتدي العلماء خاصة الاصوليون منهم، في وقت مبكر من تـاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلي ما يحف بظاهرة الكلام من الملابـسات، كالـسامع، والمقام، وظروف المقال، وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط، والامثلة كثيرة علي أصالة هذا المبدأ الفني في التراث البلاغي فقد تحدث علمـاء القرآن عن اسباب النزول، وافردوه بالتأليف، وتحدث علماء الحديث عن أسـباب الورود، وتحدث الادباء والنقاد عن أسباب وظروف الانشاد ومن ذلك مـا أورده الجاحظ من أجوبة فيها توجيه لما نحن فيه. فمما نقله عن بعض أهل الهند قولهم: " جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بسمات القول، ولا يكلّم سـيد الامـة بكلام الامة، ولا الملوك بكلام السوقة ومدار الامر علي افهام كـل قـوم بمقـدار طاقتهم والحمل عليهم علي اقدار منازلهم "([3]).

---

1 - كمال بشر ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي

2 الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص : 214

3 - البيان والتبيين : 1/ 92 – 93

كما فطن المفسرون الي الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه، فكان فهمهم لهـذا الفرق تفريقاً منهم بين المعني المقالي والمعني المقامي.

وجانب المقام لا يقل عن جانب المقال، فاذا كان المقال هو الجانب التطبيقـي للموقف اللغوي، فإن المقام هو المثير والباعث للجانب المقالي، فالنص اللغوي اذا كان مكتوباً غير منطوق يفقد عنصرين مهمين من عناصر البحث، هما: المنطـق الفعلي والمسرح اللغوي أو موقف الكلام وما يتصل به من ظروف وملابـسات، ولكل من هذين العنصرين أهمية بالغة في البحث والدراسـة اللغويـة الحديثـة، فالموقف بالنسبة للكلام إطار عام ذو وحدات وعناصر متكاملة ومتفاعلـة، ومـا الكلام حينئذ الاّ عنصر واحد أو وحدة من هذه الوحدات.

فعزل الكلام وهو جانب المقال في المعني، عن الموقف وهو جانب المقام يحرمه دفء الجو الطبيعي ويحيله الي شئ مشوه ممسوخ أو شيء جاف جامد([1]).

فالموقف اللغوي أو المقام اسمان لمضمون واحد هو الحالـة التـي تـؤثر النطق بعبارة معينة دون غيرها وعدم مراعاة هذا المقام يجعل الكلام عبثاً.

ويري بعض اللغويين أن جانب المقام في الدراسة اللغوية، هو المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الاساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعني الثلاثة([2])، وهو الوجه الذي تتمثـل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال([3]).

" وبهذا يكون اللغويون العرب عند اعترافهم بالسياق غير اللغوي _ فكـرة المقام _ متقدمين ألف سنة تقريباً علي زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتـي (المقـام والمقال) باعتبارهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعني، يعتبر الآن فـي الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصـر فـي دراسـة اللغة"([4]).

---

1 دراسات في علم اللغة : 129
2 تقصد بوجوه المعني الثلاثة :
الوجه الاجتماعي وهو الغرض الذي جاء من اجله الكلام علي هذه الصورة
الوجه السياقي ، وهو الصورة التي عليها الكلام
الوجه المقامي ، وهو غريب من الوجه الاول
3 اللغة العربية معناها ومبناها : 337 – 338
4 المصدر السابق : 337

ثانياً: مجالات السياق غير اللغوي:

1 – السياق العاطفي : emotional context

إن الكلمة قد توقظ في الذهن شحنة يحددها السياق، وهو فـردي يتعلـق بحالات نفسية متباينة الدلالة حتي يكشف السياق العاطفي عن مكنوناتها بواسـطة القرائن، عن طريق الجريان والتحول المصاحب.

وتخضع درجات الانفعال العاطفي إلي مقاييس، تـصنف حـسب القـوة، والضعف مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الانفعال.

ويسجل الترادف([1]) synonymy، صورة هذه الظاهرة، فنحن نقرأ فـي الوسط الاسري، هذه الكلمات "الزوجة، العقيلة، الحرمة، المراة، الحليلة، القرينـة، إلي جانب مسميات الازواج أنفسهم لزوجاتهم، مثل: العزيزة ، الحبيبة، الاميـرة، البطة وكل هذا بمعني الزوجة ولكن لكل واحدة منها نصيباً معينـاً فـي الـسياق العاطفي([2]). فأصحاب الطبقة العالية يستخدمون "العقيلة"، وأهل الريف "الحرمـة". حيث يجد كل متحدث أو مستخدم، تبعاً لحالات عاطفية متعددة، رغبة في استخدام كلمة ما دون أخري، طبقاً لحالته النفسية ،الرضا – السخط، فإذا كان فـي حالـة نفسية جيدة قد يناديها بالاميرة أو العزيزة ، أما اذا كان في حالة سخط مثلاً، قـد يدعوها بلفظ المرأة مجرداً عن كل وصف جميل فلو أخذنا مثلاً الكلمـات "رقـد، هجع، نام" وقرأنا للحصري قوله([3]):

يا ليل الصب متي غده	أقيام الساعة موعده
رقد السمار وأرقه	أسف للبين يردده

فإن "رقد" تمتلك ظلاً عاطفياً خاصاً في هذا السياق، ولا يمكـن اسـتبدالها كقيمة ارتكازية في التسلسل الدوري circularity عند ايراد المعني في المعجم الا بقرينة دالة لما تحمله من الوان، وصبغات عاطفية تساير حالة الوصف التـي أزمع الشاعر علي كشف معطياتها

---

1 مثل : العشق ، الهيام ، الوله ، الوجد ، الحب .

2 الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص : 223

3 - المصدر السابق : 223

فالسياق العاطفي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تاكيداً أو مبالغة، أو اعتدالاً، فكلمة (love) الانجليزية غير كلمة (like) رغم اشتراكهما في أصل المعني، وهو الحب، وكذا (يكره) (يبغض) في اللغة العربية([1]).

وعنصر القيمة العاطفية يساهم كذلك في تحديد معني الكلمة، خاصة الكلمات الفلسفية والسياسية، والدينية، كالوجودية والاشتراكية، والمسيحية ومن مثل: سارتر، ماركس، المسيح، وكذلك الكلمات التي تشير إلي الاشياء المادية، كالكتاب، الزجاجة، الكرسي، بالنسبة لرجل الدين، ومدمن الخمر، وأستاذ الجامعة([2]).

فمثل هذه الكلمات تحمل قيمة عاطفية، عند أشخاص بعينهم، وتتخذ دلالات معينة لديهم دون سواهم. وقد يحدث أن يجتمع شخصان في مكان واحد وفي زمان واحد، ويسمعان كلمة واحدة، من شخص واحد، وفي أحوال مشتركة ... لكن استجابة هذا نحو الكلمة لا تكون مطابقة لاستجابة ذاك، ومرجع هذا إلي أن لكليهما تكوينه النفسي وظرفه العاطفي، وينتج عن هذا، أن فهم هذا لهذه الكلمة ستلونه ايحاءات، وظلال من المعاني، غير الايحاءات والظلال التي تلون فهم الثاني لنفس الكلمة.

2 - السياق الثقافي: context of culture

يحدد السياق الثقافي درجة المحيط الذي تعيش بداخله الوحدات المستعملة، وغالباً ما يكون المحيط اجتماعياً. وقد ساهم السياق الثقافي في توضيح كثير من النصوص الشعرية، خاصة الجاهلية منها. فقد تعرض الشراح – أحياناً – للعادات المتأصلة في ثقافة المجتمع للاستعانه بها علي فهم بعض الابيات فهماً صحيحاً، ومن ذلك قول الانباري في شرح قول الحادرة الذبياني([3]):

---

1 - مصطفي أحمد قمبرا . السياق ودوره في تحليل النصوص ، مجلة الرافد ، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، العدد : 83 ، جمادى الاولي : 1425، يوليو 4..2 ، ص : 9.

2 - التحليل الدلالي – إجراءاته ومناهجه ، ص : 1.1

3 - شرح الانبارى للمفضليات : 56 و-المفضليات - (ج 1 / ص 3)

أَسُمَّيَ وَيْحَكَ هل سمعتِ بِغَدْرَةٍ ... رُفع اللّوَاءُ لنَا بِها في مَجمعِ

إنَّا نَعِفُّ فلا نُرِيبُ حَلِيفَنَا ... ونكُفُّ شُحَّ نُفوسِنا في المَطْمَعِ

أسمي ويحك هل سمعت بغدرة ... رفع اللواء لنا بها في مجمع

يقول الانباري:" ويقال: إن لكل غادر لواء، فيقول: هل كان منا ما يرفع بين الناس ويشهر". والغادر، كأنما رفع له بغدره لواء، نصب له في الناس ليعرفوه به. كما قال زهير([1]):

وتوقد ناركم شرراً ويرفع ... لكم في كل مجمعة لواء([2])

وكانوا في الجاهلية إذا غدر الرجل رفعوا له بسوق عكاظ لواء ليعرفّوه الناس ".

فلو إننا تناولنا بيت الحادرة، وحاولنا أن نفهمه منفصماً عن سياقه الثقافي، وهو ما أشار إليه الشارح من ارتباطه بثقافة أو عادة جاهلية قديمة، لجاء فهمنا له فهماً ناقصاً، بل ربما مغلوطاً أيضاً. أو ليس يمكن أن نفهم في هذا المقام إن الشاعر يسال محبوبته، إن كانت قد سمعت عن قيام قومه بعمل غادر، كانت مغبته أن رُفع لهم لواء النصر والمجد لا بسبب غدرهم، وإنما رفع لهم بسبب أعمالهم الجليلة الماجدة ؟.

فهذا فهم يمكن أن يرد علي ذهن القارئ الذي لم يقف علي تلك الثقافة أو العادة الجاهلية المتصلة بهذا البيت.

ولكن وقوفنا علي هذه الثقافة يجعل فهمنا له فهماً كاملاً وسديداً. وقد زادنا التبريزي وضوحاً حين قال: " كان الواحد منهم إذا غدر ، .. وأرادوا أن يتحاماه الناس، ضربوا رجلاً في رابية، أو جعلوا علي يده لواء في سوق عظيمة من أسواقهم، وينادي من تحت اللواء: هذا لواء فلان الغادر، وهذا كما كانوا يشهرون مثله بإيقاد النار في اليفاع "([3]).

ونلاحظ بعد ذلك تناقض دلالة قوله "رفع اللواء " فهو علي الفهم الأول: لواء النصر والمجد، وعلي الفهم الثاني: لواء الخزي والغدر والتشهير.

---

[1] - شرح ديوان الحماسة - (ج 2 / ص 49)
وكانت العرب إذا أرادت تشهير غدر غادر حتى يتجنبه الناس أوقدت ناراً في يفاع هضبةٍ، ونصبت لواء عند مجمع لهم أو سوقٍ عظيمة، وينادون: هذه نار فلان الغادر ولواؤه !! يشهرون أمره ويقبحون صورته على هذا يحمل قول زهير:
وتوقد ناركم شزراً ويرفع ... لكم في كل مجمعةٍ لواء

[2] - ـلسان العرب - (ج 8 / ص 53)
والمَجْمعة الأَرض القَفْر والمَجْمعة ما اجتَمع من الرِّمال وهي المَجامِعُ

3 - التبريزي . شرح المفضليات ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار النهضة ، مصر ، 1 / 12.

وعلي ذلك، فقد كان تعرض الشارح للعنصر الثقافي المتضمن في قوله (رفع اللواء) سبباً في فهمنا للمعني الدلالي لهذا (المقال) فهماً كاملاً وصحيحاً، كما انه يوضح لنا كيف أن "تفريغ" المقال من العنصر الثقافي يجعله ناقص الدلالة.

3 – السياق الاجتماعي : community context

الدرس اللغوي الاجتماعي، مبحث متطاول قائم علي النظـر إلـي اللغـة، مركوزة في سياق اجتماعي يلفها. وقد قيل إن أول من اجترح مـصطلح سـياق الحال أو السياق الاجتماعي، هو عالم الاجتماع البولندي (مالينوفكسي) ثم تلقفـه عنه فيرث firthe، رائد الدرس اللغوي الاجتماعي في العصر الحديث([1]). فبلور نظريته جانحاً إلي تفسير مصطلح سياق الحال، مصرحاً بـأن هـذا المـصطلح يستغرق ما هو لفظي، وما هو غير لفظي ومن ذلك الحديث عن شخوص الحـدث الكلامي، والاحداث غير الكلامية المتصلة بالحدث الكلامي والأشـياء المتـصلة بالكلام والموقف دون إغفال للمستويات اللغوية البنيوية([2]).

والحق إن هذه النظرية تنظر إلي اللغة علي أنها نمط مـن أنمـاط الـسلوك الإنساني، كما تري أن للغة وظيفتين:

أولاهما: أنها تعالج فكرة، أو تدور حول موضوع ما.

ثانيتهما: أن لها وظيفة اجتماعيه تؤديها([3]).

ومن المقولات التي يتعاطاها السياقيون، أن الكلمات لامعني لها خارج مكانها من النظم، كل ذلك باعثه التعويل علي سياق الحال الذي يهب الكلمـة أو الجملـة معني سياقياً، قد يفارقها إذا ما ورد في سياق آخر. ويقـررون أيـضاً أن اللغـة بالفعل، والمعني بالاستعمال([4]).

ونمثل لذلك بعبارة (الحمد)، فإننا قد نقف علي معانٍ سياقية، وإيحـاءات معنوية متباينة بتباين سياق الحال، وما تشتمل عليه هذه الكلمة من مكان، وزمـان وشخوص، وبيئة، وموقف، وأثر لهذا الحدث – الكلام - وفق السياقات الاتية.

---

1 - أنظر : مهدي أسعد عرار ، الدرس اللغوي الاجتماعي عند الإمام الغزالي. مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المجلد 78 ، 2 / 315

2 - المصدر السابق : 2 / 315 – 316

3 - أنظر: استيفن اولمان . دور الكلمة في اللغة . ترجمة كمال بشر ، مكتبة الشباب، القاهرة، 1962، ص : 62

4 - المصدر السابق : 62

أ – السياق الأول: قد يقولها صاحبها منكراً علي غيره فعلة ما في مقام ما، كـأن يكونا يأكلان معاً، فإذا انفض احدهما قبيل الآخر، فانه سيحمد ا علي هذه النعمة، ولكن الثاني خاصة إذا كان مضيفاً له، سيقولها بصيغة المتعجب المنكر: (الحمـد ؟) وذلك طلباً من ضيفه علي تناول المزيد من الطعام. وهكذا يبدوا إن عبـارة (الحمد) حمالة لمعنيين في ذلك المقام، أي: أنها في سياقها ذلك قد أدت معنيين، ولعل هذا لا يمكن تجليته إلا بالإتكاء علي قرار مكين، وهو سياق الحال.

ب – السياق الثاني: وقد يعرض لنا مسرح لغوي ثان، شخوصهما غير ذينكمـا المتقدم بيانهما، فلنا أن نتخيل أن ثم شيخاً يتحلق حوله مريدوه هاتفين (الحمـد) أو قد ينطق لها مسبح ذاكر، وهي في هذا السياق، ذات دلالة جلية عينتهـا تلـك المواقف، إذ جاءت شكراً وتقديراً واعترافاً بفضل المنان الكريم.

ج - السياق الثالث: وقد يقولها آخر في مسرح لغوي ثالث، جواباً لمن يسأله عن حاله، فيقولها، منكساً رأسه متثاقلاً مع نغمة تنم عن الحزن والكآبة، وهنا سـياقها يدل علي أنها ذات معني مفارق للمعاني الأول، ولا شك أن المتلقي لا يفهمها علي أنها شكر ، أو غيرها من المعاني السالفة الذكر، لذا، قد يردف ذلك بقوله مالك يا رجل ؟ ماذا بك ؟ خير إن شاء ا ؟ ما الذي الم بك ؟. مع أن (الحمد ا) في دلالاتها لا تعني علي ما فهمه ذلك الشخص. لذا فسياق الحال هو الذى يحدد دلالة الكلمة وهذا لا يكون الا فى اطار المجتمع.

المبحث الخامس

توظيف السياق في الدرس اللغوي العربي

اللغة في ظاهرها أصوات تعبر عن معانٍ، لذا يقوم جوهر البحث اللغـوى علي دراسة العلاقة بين عنصري اللفظ والمعنى، لأن كل متكلم أو سـامع إنمـا يدور في فلك الألفاظ ومعانيها؛ ولأن كل معرفة لا تعدو أن تكون أفكاراً أو معاني تحملها الألفاظ، لذلك كانت الألفاظ بمعانيها محوراً لدراسـات شـتي، قـام بهـا بالإضافة الى اللغويين، الأدباء، والنقاد، والفقهاء، والفلاسفة، وعلماء الاجتمـاع، وعلماء النفس، والأنثربولوجيون، ورجال القانون والسياسة؛ لأن هـذه القـضايا تعتبر من مشكلات الفكر الإنساني عامة، ولا يختص بها الدرس اللغوي وحده.

وتأكيداً لتلك الفكرة نقوم بدراسة قضايا اللفظ والمعني داخل سياقهما، عنـد كل من الأصوليين والنحويين والبلاغيين والمفسرين، والنقاد واللغويين.

أولاً: توظيف السياق عند الأصوليين:

إذا كان الاهتمام بدلالة الألفاظ في سياقها من أجل دراسة المعني، قد بـدأت متأخرة فى الدراسات الأوربية، وذلك حتى أواخر القرن التاسع عـشر، وأخـذت تنال حظها شيئاً فشيئاً منذ أوائل القرن العشرين، حتى أصبحت في أيامنا هذه قمة للدراسات اللغوية عندهم، فإنها قد بدأت عند المسلمين مبكرة؛ وذلك منذ بدء البحث في مشكل الآيات القرآنية، وإعجازها، وتفـسير غريبهـا، واسـتخراج الأحكـام الشرعية منها، فكان علماء الفقه والأصوليون من أوائل من احتضنوا مثـل هـذه الدراسات، والتي تدور حول الألفاظ ومعانيها، فلا تجد أثراً أصولياً إلاّ وتجد بـين يديه بحثاً لغوياً حول هذه الأدوات التي هي مناط الحكم([1]).

وإدراكاً من الأصوليين لأهمية قضايا اللفظ والمعنى وقيمتهما الدلاليـة فـي خدمة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، ولحفظ نقاء اللغة وصفائها عكفوا علـي دراسة هذه القضايا.

وقد كانت قضية المعنى والاختلاف في تحديده سبباً هاماً من أسباب اختلاف الفقهاء، في الفروع حتى صار منهم المالكي، والشافعي، والحنبلي، والحنفي وغير

1 - عبد الكريم مجاهد . الدلالة اللغوية عند العرب . دار الضياء للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ص : 9

ذلك([1])؛ وكانت سبباً من أسباب اختلافهم في أصول الدين حتـى صـار مـنهم، الاشعرى، والجبري والقدري، والجهمى، والرافضي الشيعي، والخارجي، وغيـر ذلك([2])، وقد أدرك أحد اللغويين القدماء خطورة قضية المعني، وخطورة الاختلاف بين المذاهب الإسلامية، فحاول أن يلم أطراف القضية ويحصر أسباب الخـلاف، فكان نصفها أسباب تتصل بقضية المعني، يقول: " إن الخلاف عرض لأهل ملتنـا من ثمانية أوجه، كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها، الأول: اشتراك الألفاظ في المعاني، الثاني: الحقيقة والمجاز، والثالث: الإفراد والتركيب، الرابـع: الخصوص والعموم، الخامس: الرواية والنقل، السادس: الاجتهاد فيما لا نص فيه، السابع: الناسخ والمنسوخ، الثامن: الإباحة والتوسيع"([3]).

وأصول الفقه هو العلم بالقواعد التي ترسم المناهج لاستنباط الأحكام العلمية من أدلتها التفصيلية([4]). فهو يقوم علي دعامتين هما: الأدلة والأحكام.

وأدلة الاصولى: شرعية أولاً، وهي المبادئ التي يقوم عليها التشريع. وثانياً: أدلة لغوية تقتضي معرفة دلالة الألفاظ العربية ومعانيها، ليعرف المقـصود مـن نصوص الكتاب والسنة، ومن هنا جاء اهتمام الأصوليين باللغة([5])، وهم " أول من عُني بمشكلة اللفظ والمعني تاريخياً، وذلك لارتباطها بالحكم الـذي يُـراد فهمـه وتطبيقه، إذ الحكم في عامة أمره لا يخاطب الوجدان، إنما يخاطب العقل الذي هو مناط التفكير ودعامة الإقناع ووسيلة الفهم"([6])؛ لذا حظيت الألفاظ العربية ومعانيها ودلالاتها بنصيب كبير من العناية، لأنها ركيزة عملهم ومنـاط الحكـم الـشرعي ودليله، فتتبعوا اللفظ مفرداً، ومركباً، ومعلقاً، ومقيداً، وخاصاً وعاماً، أمراً ونهياً، حقيقةً ومجازاً، وفصلوا القول في المعني، من ظهوره وخفائه، وكيـف نتعـرف

---

[1] - الفروق اللغوية - (ج 1 / ص 28) الفرق بين الاختلاف في المذاهب

[2] - أخبار العلماء بأخيار الحكماء - (ج 1 / ص 4.)

(أن الأمة اختلفت فِي آرائها ومذاهبها ومقالاتها أصنافاً فِيهَا وفرقاً كالمعتزلة والمرجئة والشيعة والسنية والخوارج)

3 - ابن السيد البطليوسى . الإنصاف في التنبيه علي أسباب الاختلاف بين المسلمين في أرائهم . ص : 1. – 11

4 - محمد أبو زهرة . أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1377 ، 1958 ، ص : 6

[5] - بقول أبو حيان فى البحر المحيط - (ج 1 / ص 16) وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ فُنُونٍ : عِلْمِ النَّحْوِ : وَهُوَ عِلْم مَجَارِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ رَفْعًا ، وَنَصْبًا ، وَجَرًّا ، وَجَزْمًا .

وَعِلْمُ اللُّغَةِ : وَهِيَ تَحْقِيقُ مَدْلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَوَاتِهَا .

وَعِلْمُ الْأَدَبِ : وَهُوَ عِلْمُ نَظْمِ الْكَلَامِ ، وَمَعْرِفَةُ مَرَاتِبِهِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ ."

6 - د . السيد الخليل . دراسات في القران الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1972 ، ص : 47

المقصود منه، وسجلوا أدق الفروق بملاحظتهم مراتـب المعـاني فـي الألفـاظ، ووضعوا القواعد لفهم النصوص واستنباط الأحكام.

والمعني أصلي في اللفظ، وهو عند الشاطبى " الدلالة الأصلية أو المعنـي الافرادي"([1]). أو تبعي يفهم من السياق وهو دلالة اللفظ عند النظم والتركيب.

ولا خلاف بين الأصوليين في صحة اعتبار المعني الأصلي في الدلالة علي الأحكام، كما يقرر الشاطبي([2])، وكأن الأصوليين يترددون فـي صـحة اعتبـار المعني التبعي علي الأحكام، من حيث أنه يحمل معـاني زائـدة علـي المعنـي الأصلي، وهم حقاً لا يستغنون عن أخذه بعين الاعتبار، لأنه كما يذكر الشاطبي([3]) " الجهة الثانية "الدلالة التبعية " يستفاد بها أحكام شرعية وفوائد عملية ليست داخلة تحت الدلالة بالجهة الأولي "الدلالة الأصلية ".

لأن هذه المعاني الزائدة هي التي قد تكون مقصودة، أو هي التي يستدعيها المقام، أى: مقام المتكلم وسياق الكلام. يقول ابن القيم الجوزية: "الألفاظ لم تقـصد لذواتها، وإنما هي أدلة يُستدل بها علي مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عُمل بمقتضاهـ سواء كانت بإشارة، أو كتابة، أو بإيماء، أو دلالـة عقلية، أو قرينة حالية "([4]).

وما ذكره بن القيم هو عناصر السياق التي يُستعان بها فـي الوصـول إلـي المعني وتحديده. ويقول في موضع آخر: السياق يرشد إلي تبيين المعني، وتعيـين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العـام، وتقييـد المطلـق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة علي مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلي قوله تعالي: ((ذق إنك أنت العزيز الكريم))([5]). كيف تجد سياقه يدل أنّه الذليل الحقير"([6]).

---

1 - الشاطبى . الموافقات في أصول الأحكام . تعليق : محمد الخضر حسين ، تصحيح : محمد منير ، المطبعة السلفية ، مصر : 1341 ، 2 / 44 – 57

2 - الموافقات : 2 / 63

3- الموافقات : 2 / 63

4- ابن قيّم الجوزيّة ، إعلام الموقّعين عن رب العالمين . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1 ، المكتبة البخارية ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1374 ، 1955 ، 1 / 218

5 - سورة الدخان : 49

6- ابن قيّم الجوزيّة : بدائع الفوائد: 4/ 9 – 1.

وهكذا يتنبه الأصوليون إلي سياق الكلام، وحال المتكلم ويأخـذونهما فـي الاعتبار في تقرير المعاني. وهناك أصوليون آخرون غير ابن القـيم الجوزيـة، عرفوا قيمة السياق، بل منهم من سبقه كالشافعي، الذي يقول: "ومن الخطاب مـا يبين سياقه معناه"([1]). كذلك تنبه إلي حال المتكلم وتأثيرها علي المعنـي القاضـي عبد الجبار الأسد أبادي، حيث يقول: "اعلم أنّه من حق المواضعة في أن تـؤثرفي كونه "يقصد الكلام " دلالة، وإن كان لابد مع المواضعة في اعتبار حال المتكلم في كونه دلالة "([2]).

وابن تيمية يري أن من أسباب الخلاف في الاستدلال بالآيات القرآنية، عـدم النظر إلي السياق، يقول في معرض تصنيفه للمفسرين: " قوم فسروا القرآن مـن غير نظر إلي المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به، راعوا مجرد اللفـظ من غير نظر إلي ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام "([3]).

وهكذا بمراعاة السياق يكتسب المعني التركيبي أهمية قـصوى فـي تحديـد الدلالة، واستنباط الحكم. ولنأخذ الإمام الغزالي كنموذج لنـري توظيفـه لقرينـة السياق في دراسته الأصولية.

السياق عند الإمام الغزالي:

للإمام الغزالي سهم نافذ في الدرس اللغوي الاجتماعي، وعلي رأس ذلـك سياق الحال، الذي له سهمه في الإبانة عن مقاصد الكلم ورسوم التعبير، فقد كـان الإمام يفزع إلي سياق الحال الذي يفصل في تشكيل المعني، أو ترجيحه، ومن ذلك التفاتته علي نحو معجب، إلي فضل العادة في الابانة، وطبقة المـتكلم، والقـرائن السياقية الهادية إلي المتعين، ولغة الجسم والوجه والشمائل، واستشراف المسكوت عنه من المنطوق به، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، جنح الإمام إلي عـد سـياق الحال والأنظار الخارجية، وما يكتنف الموقف الكلامي من ملابـسات وأحـوال،

1- محمد ابن ادريس الشافعي . الرسالة . تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط1 ، مطبعة الباني الحلبي ، مصر ، 1358 ، 194. ، ص : 62

2 - القاضي عبد الجبار الأسد أبادي . المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تحقيق : أمين الخولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 138. ، 196. ، 16 / 437

3- ابن تيمية الحراني . دقائق التفسير " الجامع لتفسير ابن تيمية . جمع وتحقيق : الدكتور السيد الجليند ، ط1 ، دار الأنصار ، القاهرة ، 1398- 1978، 67/1

محتكماً عريضاً للحكم علي العموم أو الخصوص، وجعل استرفاد الحال فيـصلاً ناسخاً للاحتمال، كتردد دلالة التراكيب بين الحقيقة والمجـاز، أو تـشاكل هـذه التراكيب في وجه ظاهري موهم مع تباينها تبايناً يعينه السياق([1]).

فالإمام الغزالي ممن تمثلوا نظرية السياق، فكانت من حجارة الأساس التـي تؤطر للمعني لينبني عليها، بل لتكون فيصلاً ومحتكماً في كثيـر مـن مواضـع معالجاته. وعلي صعيد لغوي أخر يتنبه الإمام إلي أن دلالة الحدث الكلامي الكلية لا تُستقي من الألفاظ وحدها، ذلك أن ثم محددات دلالية أخري كلاميـة وغيـر كلامية تشارك في توجيه المعني وتعيينه، يقول: " فاعلم أن كل من طلب المعاني أولاً من الألفاظ، ضاع وهلك، وكان كمن استدبر الغرب وهو يطلبه"([2]). وفي مقام آخر عرج علي مباحث، مضمونها ما يقتبس من الألفاظ لا من حيث صيغتها، بل من حيث فحواها وإشارتها، ومن ذلك ما يؤخذ من إشارة اللفـظ لا مـن اللفـظ، فالمتكلم قد يفهم بإشارته وحركته في اثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللفظ، وقد رسم هذا بالإشارة " ([3]).

وما كان أكثر هذا الملحوظ في كلامنا و مخاطباتنا اليومية، ومن مثل ما تقدم تعريج الغزالي علي مبحث عنوانه: " فهم غير المنطوق به مـن المنطـوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده"([4]).

وقد ساق بيان هذا المبحث، وهو أن الدلالة المسكوت عنها، قد تكون أولي من المنطوق به، وذلك نحو قوله تعالي: ((ولا تقل لهمـا أف))([5]). يقـول: " فلفـظ التأفيف المذكور، ههنا يدل علي تحريم الضرب، بل يكون ذلك اسبق إلي الفهم من التأفيف المذكور، إذ التأفيف لا يكون مقصوداً في نفسه، بل يقصد به التنبيه علـي منع الإيذاء بذكر أقل درجاته، فهنا المسكوت عنه هو الأصل في القصد الباعـث علي النطق بالتأفيف"([6]).

---

1 - أنظر : د. مهدي أسعد عرار . الدرس اللغوي الاجتماعي عند الإمام الغزالي . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد "78" ، الجزء الثالث ، ص : 313

2- المستصفي للغزالي : 1 / 55

3- نفس المصدر : 2 / 22.

4- نفس المصدر : 2 / 217 – 225

5 - الإسراء : 23

6- المستصفي : 2 / 352 – 353

والمفارقة التي تسترعي الخاطر في مثال الإمام أنّه ساق سياقاً مقامياً مغايراً لسياق قول الحق تبارك في علاهـ، وذلك للإبانة عن تلون الدلالات اللغوية بتلون المقامات السياقية، إذ انّه قد ترد علي السامع بهذا الأمر "((ولا تقـل لهمـا أف)) قرينة لا تحرم الضرب، أو القتل ... إذ الملك قد يقتل أخاه المنازع لـه، فيقـول للجلاد: أضربه واقتله، ولا تقل له أف"، ولولا أن تلكم الآية قد جاءت في سـياق أو مقام تعظيم الوالدين وتبجيلهما، لما فهمنا منع الضرب والقتل من التـأفيف"([1]). "ومستصفي القول في الذي تقدم آنفاً أن "لا تقل لهما أف"، محتملة مترددة لا تتعين دلالتها الكلية إلا باسترفاد سياق يلفها " ([2]) .

السياق عند المفسرين:

علم التفسير، علم يعرف به فهم القرآن الكريم، وتوضيح معانيه، لاستخراج ما فيه من أحكام، وهو علم له أصوله وقواعده وضوابطه. وقد وضع المفسرون شروطاً في المفسر منها: أن يكون متقناً لمجموعة من العلوم من بينهـا، علـوم العربيـة والقراءات والحديث والفقه وغيرها([3]).

ويعتبر علم العربية ومعرفتها في مقدمة الشروط التي يجب أن تتوفر فـي المفسر، يقول السيوطي: " وعليه بمراعاة المعني الحقيقي والمجازي، والتـأليف، والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخى بين المفردات، ويجب عليـه البـداءة بالعلوم اللفظية ... بدءاً بالألفاظ المفردة، فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثـم يـتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعني المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات([4]). فهذا النص قد أكـد أهميـة ملاحظة السياق اللغوى المتمثل فى تحقيق الالفاظ المفردة، ثم النظـر إليهـا فـى سياقها، وهى فى التركيب ثم التعرض إلى السياق الاسـلوبى الخـاص بالبيـان والمعانى والبديع ، وأخيراً مراعاة السياق غير اللغوى المتمثل فى الاشارات. وقال الزركشى فى البرهان: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذى سيق لـه

1- نفس المصدر : 2 / 353

2- المستصفي : 2 / 223

3- السيوطي ، الحافظ جلال الدين ، الاتقان في علوم القران ، ط1 : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، 2 / 51. – 513

4- نفس المصدر : 2 / 524

وإن خالف أصل الوضع اللغوى لثبوت التجوز" . فهذه عبارة صريحة تلزم المفسر بالنظر إلى السياق ولا يتعلق بالوضع اللغوى للفظة المراد تفسيرها.

ونري أن لهذه القواعد التى ذكرها العلماء فـى شـروط التفـسير صـلة بعناصر السياق وذلك للاتي:

أولاً: إذا كان السياق كما يقول (اولمان): " ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب – بل القطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يـشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات([1])، فإن المفسرين رأوا للسياق القرآني جملة واحدة، لا ينبغي تفسير نص منه، بمعزل عن جميعـه، لأن: " ما أجمل منه في مكان، فقد فسر في مكان آخر، وما اختصر في موضـع، فقد بسط في موضع أخر منه " ([2])

وكذلك ما ذكر من شروط المفسر من ضرورة معرفته للناسـخ والمنـسوخ، واستعانته بالسنة، لأنها شارحة وموضحة لما أجمل من القرآن الكـريم، وكـذلك معرفته بأصول الدين والفقه، كل ذلك يدل علي اهتمام المفسرين بالـسياق العـام للنص القرآني.

ثانياً: إذا كانت معاني السياق اللغوي تكمن وراء التحليل علي المستويات الصوتية والصرفية والنحوية، بالإضافة إلي المعني المعجمي. فإن هناك شبهاً بين هذا وبين بعض ما ذكر من شروط المفسر السابقة، وذلك نسبة:

1 – لاهتمامهم بعلم القراءات، في التفسير لمعرفة كيفية النطق الصحيح، وترجيح بعض الوجوه علي أخري. لأن هذا العلم يوقف المرء علي اختلاف القـراء، فـي وجوه النطق بحروف القرآن وحركاتها، وتخفيف بعضها وهمـس للأخـرى([3]). فهذه الدراسة الصوتية يمكن أن نضعها في أول مراتب التحليل اللغوي.

2 – ما ورد من الاعتماد في عملية التفسير علي علم التصريف، وكذلك الاشتقاق، لهو نفسه التحليل علي المستوي الصرفي أو المورفولجي.

---

1 - استيفن اولمان . دور الكلمة في اللغة . ترجمة د . كمال بشر ، القاهرة ، مكتبة الشباب ، 199. ، ص : 62

2- السيوطي ، الاتقان : 2 / 497

3 - الشيخ عبد الرحمن الكعك . أصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1986 ، ص : 428

3 – ما ذُكر من ضرورة معرفة النحو، والمعاني، والبيان، والبديع، فيـه دلالـة واضحة علي اهتمامهم، بما في التركيب اللغوي والنظم من معانٍ، وهـذا يقابـل مرحلة التحليل النحوي في نظرية السياق.

4 – كما يدل شرط معرفة مدلولات الألفاظ، علي اهتمامهم بالتحليل علي مستوي المعجم، لأخذ المعاني الصرفية الاعتباطية، كما يشير إلي ذلك المحدثون.

ثالثاً: اهتمام المفسرين بأسباب النزول، قال الواحدي: "لا يمكـن معرفـة تفـسير الآية، دون الوقوف علي قصتها، وبيان نزولها"([1]). وقال ابن دقيق العيد: "بيـان سبب النزول، طريق قوي في فهم معاني القرآن ". ولهذا أُثرعن جماعة من السلف كلمات تجعل من معرفة اسباب النزول واجباً على المفسر، فقد نقل عن السيوطى عنهم تحريم تفسير كتاب ا لمن جهل اسباب النزول([2]). كما أن نزول القرآن فى بيئة عربية وهى ذات نظام قبلى له انماط سوسيلوجية معينة، وذات مستوى عقلى معين يحتم على دارس القرآن الاطلاع على النظام الاجتماعى والعقلـى العربـى القديم؛ لأن القرآن مع عالميته وخلوده وصلاحيته الدائمة قد راعى البيئة التى نزل فيها فى بعض أحكامه وفى نسيجه اللغوى وفى انفتاحه المعرفـى علـى الـوعى البشرى فى عصره وفى كل العصور.

ولهذا فإن المفسرين لم يتعاملوا مع النص بعيداً عن الإحـداث والظـروف التـي لابست نزوله، بل ذكروا في مواضع كثيرة، أن استصحاب سبب النـزول يعـين علي فهم النص القرآني، ويزيل كل إشكالاته، وينطبق هذا تماماً مع فكرة سـياق الحال، أو العناصر المكونه للموقف الكلامي في نظرية السياق.

ولهذا جعل المفسرون من المعرفة بأسباب النزول أصلاً من أصـول تفسير القرآن الكريم، واستنباط الاحكام، لا يقومان الاّ به " وما المعرفة بأسـباب النزول إلاّ استيحاء للمقام لا مندوحة عنه لفهم المقال "([3])

1- السيوطي ، الاتقان : 1 / 84

2- السيوطى ،جلال الدين .لباب النقول فى اسباب النزول،دار احياء العلوم – بيروت ط198.،ص:2

3 - سعد مصلوح . الدراسات الاحصائية للاسلوب ، دار الفكر ، بيروت ، ص : 114

السياق عند اللغويين:

لم يقتصر اللغويون في عملهم علي النظر في بنية النص اللغوي، كما لو كان شكلاً منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به، كما يفصل البنيويون أو الشكلانيون أو التحويليون، من الدارسين في العصر الحديث، وإنما اخذوا مادتهم اللغوية – علي ما يبدو – من معالجتهم لها، علي أنها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، والذي قد تتغير صوره بتغير هذا المحيط وتلك الظروف كما فطنوا إلي أن الكلام له وظيفة ومعني، في عملية التواصل الاجتماعي، وأن هذه الوظيفة، وذلك المعني لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوص وأحداث.

فقد سلك علماء العربية في جمع لغتهم للدرس والتحليل والتقعيد، مسلك اللغويين الاجتماعيين، للكشف عن الحقائق اللغوية في إطار المجتمع وما ينتظمه من ثقافات وأنماط سلوك، وفقاً للبيئة الخاصة أو الحرفة أو الصنعة، أو الموقع الاجتماعي، وذلك المسلك هو ما يعرف الآن بالبحث الميداني([1]).

ولكي نؤكد وندلل علي ما قلناه في مسلك الأقدمين اللغوي نتناول العالم أبو الفتح عثمان بن جنى لنري طريقته في معالجة النصوص لاستخراج الدلالة منها.

السياق عند ابن جني:

يُعد ابن جني رائداً لنظرية السياق، خاصة سياق الحال، فالأصالة في هذا المجال – كما يري البعض – وكما يقرره الواقع إنما هي له، وليست للغوى الأنجليزى(firth)يقول ابن جنى: "والذي يدل علي أنّهم قد أحسوا، وأرادوا ما أردنا – يقصد اللغويين القدماء _ وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم من إرادته وقصده شيئان:

احداهما: حاضر معنا والآخر، غائب عنا، إلا أنّه مع أدني تأمل في حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب من وجوهها وتضطر إلي معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئاً أو استثقالها،

1- د . كمال بشر . علم اللغة الاجتماعية . دار غريب ، ط3 ، القاهرة ، ص : 74

وتقبله أو إنكاره، والإنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجـب بقائلـه وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة علي ما في النفوس "([1]).

فكأن ابن جنى يستعين في إستبيانه عما قصدته العرب بما يشاهده مـن أحـوال المتكلمين ووجوههم، ممن أتيحت له رؤيتهم في أثناء حديثهم، أو نستعين نحن بما نقله العلماء عن أحوال المتكلمين وسجلوه عمن لم يحضر حديثهم.

فهذه العبارة السالفة تصدق علي ما يعنيه فيرث firth، بالحدث غير الكلامي للمشاركين، بل إن في كلام ابن جني وضوحاً وتفصيلاً أكثر، خاصةً حين يقول: " الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة علي ما في النفوس". وكعادة ابن جنى فـي توضيح أفكاره يستشهد لها فيردف قائلاً: " الا تري إلي قوله"([2]).

تقول وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ([3])

فلو قال حاكيا أنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس " من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكرة، لكنه لما حكي الحال، " وصكت وجههـا " علـم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع انك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين"([4]).

وما أستشهد به ابن جني يتضمن أمرين:

أولهما: الحدث الكلامي المتمثل في السياق الصوتي، أي: النغمة المتعجبة المنكرة التي صدرت منها، وهي قولها: " أبعلي هذا .." أي: تستنكر هذا الأمر.

وأما ثانيهما: فهو الحدث غير الكلامى، وهو سياق الحـال، المتمثـل فـي قـول الشاعر: " وصكت وجهها بيمينها ". ولم يكتف ابن جني بذلك، بل رأى أن الحـال المشاهدة، أي: الحدث غير الكلامي، يمكن أن ينوب عن اللفظ، ويكون له تـأثيره

---

1 - أبو الفتح عثمان بن جني . الخصائص . تحقيق : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3 ، ج1/ 246 ، 14.6 – 1986

2- يقصد الشاعر نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي "العقد الفريد - (ج 1 / ص 3.) وتمام الابيات:

تقول وصكت وجهها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجلي وتبيني ... بلائي إذا التفت علي الفوارس

ألست أرد القرن يركب ردعه ... وفيهن سنان ذو غرارين نائس

إذا هاب أقوام تقحمت غمرة ... يهاب حمياها الألد المداعس

لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي وإني إن ركبت لفارس"

3- المتقاعس : الذي يدفع صدره الي الامام والخلف بصورة متوالية .وهو: قول العنبري لما ازدرته امرأته ورأته يطحن،

4 - ابن جنى. الخصائص : 1 / 246

في بيان المعاني النحوية، التي تترتب عليها المعاني الدلالية، كقوله: " ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة، ومن ذلك، تري رجلاً، قد سـدد سهماً نحو الغرض ثم أرسله، فتسمع صوتاً فتقول: القرطـاس وا ، أي: أصـاب القرطاس". وأصاب في حكم الملفوظ به البتة، ولم يوجد في اللفظ، غير أن دلالـة الحال عليه نابت مناب اللفظ به. وكذلك قولهم لرجل مهوٍ بسيف في يـده: زيـداً، أي: أضرب زيداً، وصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به"([1]).

فالحال المشاهدة وهو إرسال السهم، والهوى بالسيف، حدثان غير كلاميين، نابا مناب الحدث الكلامي، لأنهما جزء من سياق الحال، فاستغنى بهما عن الفعـل الناصب، إذ كانت لهما نفس الدلالة، وبالتالي نفس العمل. وتأكيداً علي شدة تعلقـه واهتمامه بهذه الحالة السياقية، يُنهي ابن جنى كلامه في صورة أمنية لو تحققـت لكان الغناء فيها عن كثير من الكلام، إذ يقول: " فليت شـعري، إذا شـاهد أبـو عمرو، وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسي بن عمر، والخليـل وسـيبويه، وأبـو الحسن، وأبو زيد وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد لـه مـن أغراضـها، الاّ تستفيد من تلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديـه الحكايـات، ولا تـضبطه الروايات فتضطر إلي قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف علي غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميـع مـن يحضر حاله صادقاً فيه، غير متهم الرأي والنحيزة والعقل "([2]).

فالإشارة جزء من السياق و ما تصاحبها، أي: الحدث غير الكلامي، أو بعبارة أخري، سياق الحال، وما يتصل به أبلغ عنده مـن العبـارة، أي: الحـدث الكلامي، حتى لو شفعت هذه العبارة بأغلظ الإيمان.

السياق عند النحويين:

اعتني النحاة بالمقام الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشيرين إلي تـأثير دلالة سياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس له، علي العناصر النحوية من

1- ابن جنى .الخصائص : 1 / 265 ، 285 .
2 المصدر نفسه : 1 / 249

حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما درسه ما يعرف بعلم المعاني، إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل.

فالوظيفة النصية تختص ببناء الحدث اللغوي(المقال)، وذلك باختيار الجمـل المناسبة للمقام، ولقوانين النحو، ولتنظيم المحتوي بطريقة منطقية تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها([1]).

كما راعي النحاة المقام بصورة أو بأخري، وإن لم ينصوا علي ذلك نصاً صريحاً، إلا في حالات محدودة، واعتمدوا عليه في كثير من الحالات، خاصة عند التقعيد، ووضع الضوابط العامة لمادتهم. وقد أشار بعضهم إلي سياق الحال، أو (لسان الحال) بعباراتهم، وأهميته، جاء في شرح: (شذور الذهب) قول ابن هشام: " إن الكلام تحصل به الفائدة، سواء كان لفظاً أو خطاً أو إشارةً أو ما نطـق بـه لسان الحال"([2]).

فالجملة العربية تتضمن أحياناً فراغات لا يملؤها إلا تبين السياق الـذي قيلت فيه، كقول سيبويه: " أو رأيت رجلاً يقول: اضرب شر الناس، فقلت زيداً ... استغنيت عن الفعل بعلمه انه مستخبر([3]). إذ يوجد قبل كلمة (زيداً) فراغ نحوي لم يملأه إلا السياق. فالنحو محدد من محددات الصواب والخطأ، ووظيفته تحديـد الوجه الجائز نحواً، بعلامة ملحوظة أو ملفوظة تشير إلي العلاقات النحويـة فـي الجملة، فنصب كلمة (زيداً) في المثال السابق، علامة تشير إلي ناصـب يفـسر الجملة نحواً ودلالة. وما كثرة الحذف السياقي في العربيـة إلا دليـل علـي دور السياق الكلامي الاجتماعي في إسقاط بعض العناصر النحوية.

فعلي العموم نجد أن الكوفيين قد تسمحوا في الحدود غير النحوية أحياناً، فنظروا إلي المعني والسياق، فنحوهم أقرب إلي مفهوم نحو السياق، مـن النحـو

---

1 أنظر : د . رشيد بلحبيب . أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعني ، مجلة اللسان العربي ، العدد : 47 ، ربيع أول 142.،
يونيو ، 1999 ، ص : 234 – 235 ، وأنظر : النحو والدلالة : 113 ، وأنظر : الدراسات الاحصائية للاسلوب : 118

2 ابن هشام . شذور الذهب . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1. ، 1978 ، ص : 38

3 سيبويه ، الكتاب . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار الكتب العلمية . بيروت ، ط1 ، 14.8، 1988 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص : 253

البصري، حتى أن بعض مصادره، كتب غير نحوية في الأصل كمعاني القـرآن للفراء، وشرح القصائد السبع الجاهليات لأبي بكر بن الانباري.

والنحو السياقي يحتاج إلي تحديث في معطياته ونتائجه وضوابطه، بـين مـرة وأخري، لأن السياق يخضع للتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، لأنها دراسة تزامنية وصفية، أي: أنّه – بالضرورة – نحو اجتهادي متجدد، ولعل سبب انزواء نحو الكوفيين، أن المتأخرين بعد القرن الرابع الهجري، لم ينتبهوا إلي هذه الصفة الطبيعية فيه([1])، على حين كان نحو جمهور البصريين، نحـو نـص ثابت، معزول غالباً عن السياق، ولا يستلزم بطبيعته، إعادة النظـر بـين مـرة وأخري. أما سيبويه فقد جمع خصائص الضربين: السياق والنص في نسيج لغوي لا نظير له في تاريخ العربية.

وعُنى المحدثون بالدلالة النحوية: نظام الجملة أو هندستها، وقالوا إن السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي جزء هام في دلالتها، وإذا لم نراع احدهما أصبح من العسير أن يفهم المراد الدقيق منها([2])، وهذا يعني أن اللغـويين المعاصـرين يـرون أن السياق مصطلح لغوي يقصد به تجاور الكلمات بعضها ببعض، وما يلحقهـا مـن مفردات، ويعتبرون العامل النحوي مظهراً سياقياً في تركيب الكلام مثله مثل باقي القرائن التي تعرضنا لها من قبل([3]). وهنا لابد مـن وقفـة للتأمـل والمقابلـة، فاللغويون المحدثون الذين اهتموا بعلم الدلالة، عدوا العامل النحوي مظهراً سياقياً، وقد سبقهم عبد القاهر الجرجاني لذلك، فهو يربط كل كلام بمقام استعماله، وعنده: أنّه لا يمكن أن نضع قاعدة واحدة عامة تستوعب كل االحالات، وانما لكل موقف ومقتضي حال تركيبي يتلاءم معه([4]).

ويوضح عبد القاهر موقفه، واهمية تركيب الكلام في السياق بقوله: " متـي رأيت اسم الفاعل، أو صفة من الصفات، قد بُدىء به، فجُعل مبتدأ، وجُعل الـذي

---

[1]نظرية التعليل فى النحو العربى بين القدماء والمحدثين ،ص:97-99
2 إبراهيم أنيس . دلالة الالفاظ . ص : 48
[3] انظر:،ص:23 وما بعده من هذا البحث.
4 دلائل الاعجاز : ص : 82

هو صاحب الصفة خبراً، فاعلم أن الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل أو الصفة خبراً "([1]).

ويقرر مذهبه بجلاء أكثر فى موضع آخر، حيث يقول: " اعلم ان هاهنا انت تري الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخـر، وهـو أن الألفاظ المفردة، التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها فـي أنفـسها ولكن لأن يضم بعضها الي بعض، فيعرف في ما بينها من فوائـد، وهـذا علـم شريف، وأصل عظيم "([2]). فعبد القاهر هنا لم يجاف النظريات اللغوية الحديثة، إن لم يكن أوضح منها، وأبين، فعنده أن تركيب الكلام وضم بعضه الـي بعـض ذو أهمية بالغة في الكشف عن دلالته.

وقد أشار الدكتور تمام حسان ايضاً الي الصلة بين التضام والمعنـي اللغوي الدلالي، ودور التضام في جلاء الدلالة([3]).. ولكي نوضح توظيف السياق في الدرس النحوي بصورة جلية نتناول ذلك عند امام النحاة سيبويه، فاذا استطعنا اثبات هذه الفرضية عنده علمنا تقدم علمائنا في هذا المجال.

السياق عند سيبويه:

لعل بحث الجانب السياقي عند سيبويه بما في ذلـك فكـرة المقـام مـن البحوث البكر التى يجب أن تنصرف اليها الهمم. يقول نهاد الموسـي: " وكنـت نظرت في سياق بحث مختلف في كتاب سيبويه، ألتمس فيها هذا العنـصر مـن عناصر التحليل، فوجدته منذ ذلك العهد المبكر يفزع إلي الـسياق، والملابـسات الخارجية، وعناصر المقام، ليرد ما يعرض في بناء المادة اللغوية مـن ظـواهر مخالفة ألي أصول النظام النحوي طلباً للاطراد المحكم، وهو يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملاحظات كثيرة مما تنبني عليـه الوظيفـة ومنـاهج (التوسـع) أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير)([4]).

---

1 - دلائل الاعجاز:82

2 - نفس المصدر :

3 اللغة العربية ومعناها ومبناها : 331 ، 342

4- نهاد الموسي . نظرية النحو العربي . ص : 88

وسيبويه يجمع في كتابه بين التفسير اللغوى وملاحظة السياق، ولا يقف عند الجانب الخالص المنسجم مع نظرية العامل، بل يتسع في تحليل التراكيـب الـي وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام " كما تنبه الي دور السياق فـي أمـن اللبس، وتحديد البناء الجواني المقصود من البناء البراني ذي الاحتمالات"([1]).

ويبلغ سيبويه من اعتبار موقف الاستعمال، أن يجعله فيصلاً فـي الحكـم بصحة التراكيب النحوية وخطئها ، ومن ذلك أننّا نراه يقف علي الجملة الواحـدة فيحكم عليها في موقف من الاستعمال بأنّها خطأ، وفي موقف من الاستعمال آخر بأنّها صواب، وهذه الجملة لو اكتفي بالنظرة الشكلية الذاتية جملة نحوية جـائزة، ولكن اللغة عنده لم تكن تنفك عن ملابسات استعمالها، ومقاييس اللغة عنده تـستمد من معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي([2]).

فسيبويه أدرك أن اللغة صيغ وأشكال يبدعها المتكلم، أو المنشئ، فتدب فيها الحياة بكل مضامينها وأبعادها، وليست عبارات مسكوكة، تحمل الطاقات التعبيرية حتي لو كانت في المعجم ، ولهذا فكل استعمال لأية صيغة من صيغ اللغة في الافـراد والتركيب ابتداء جديد – غالباً – في بعده السياقي غير اللغوي، لأن اللغة عـرض وليست جوهرا ، ولهذا قيل : (ليس هناك معني، إنما استعمالات شتي، فـالمعني كما يصل الينا في الخطاب يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات ضـمن السياق ذاته وتحدد بنية النظام الالسني هذه العلاقات([3]).

وقد نقل سيبويه أن من العرب من يقول: "قال فلانة" فيحذف علامة التانيـث من الفعل مع أن الفاعل مؤنث حقيقي غير مفصول عن الفعل، وفسر ذلك بقوله: " وإنما حذفوا التاء، لأنه صار عندهم اظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التـاء"([4]). فعناصر السياق هنا ثلاثة: فعل، وصورة مؤنثة، وفاعل يمثل الـصورة المؤنثـة، أي: هو نفسه. والعناصر المطلوبة لتحقيق السلامة النحوية في هذا التعبير ثلاثـة:

1- نهاد الموسى .نظرية النحو العربى: 9. – 91
2 د . رشيد بلحبيب . أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعني . مجلة اللسان العربي ، العدد : 47 ، ص : 234 ، ربيع أول 142. ، يونيو 1999
3.- بيار غيرو . علم الدلالة . ترجمة : أنطوان أبو زيد ، ط1 ، بيروت ، 1986 ، ص : 29
4- سيبويه. الكتاب : 2 / 38

فعل، وعلامة تانيث، وفاعل مؤنث، والعلامة عنصر اشـاري، فبـدلاً أن تـاتي ملفوظة مع الفعل جاءت ملحوظة مع الموقف السياقي لحـدوث الفعـل، فعلامـة بعلامة، واشارة باشارة.

وهذا يؤكد قول نهاد الموسوي: ان سيبويه أدرك ما يكون من انـدغام اللغة في نظامها الداخلي، الخاص بالحياة الاجتماعية في مجالها الخارجي العام، أو أدرك أن بين االلغة وسياقها الاجتماعي علاقة عضوية([1]).

وفي أمثلة سيبويه ما يدل علي أنّه ميز بين ضربين مـن النحو،احـدهما: النحـو السياقي، الذي يفسر صيغاً وتراكيب، يتداولها الناس فيما بينهم في عصرهم عنـد الاستعمال الحي للغة، تعبيراً عن التواصل بينهم، فيحذفون ويخففـون، ويقـدمون ويأخرون اعتماداً علي ملابسات الموقف الكلامي، وحـصر وظيفـة اللغـة فـي التواصل، فيكون الاستعمال اللغوي وسيلة لا غاية.

وأما النحو الآخر، فهو النحو النصي الذي يموت فيه السياق – غالباً – وتحيا القاعدة، وياتي الكلام علي قد القاعدة، وإن كان فيه توسع وحذف وتقـديم، ففـي الحدود التي تجيزها القاعدة النحوية، وهي فيه قاعدة معزولة عن السياق، مجـردة بصورة رياضية، لا يقوم النص إلاّ باتخاذها منهجاً ومعيـاراً([2])؛ لأن المـتكلم أو المنشئ عندما ينشئ نصه يستخدم اللغة استخداما فنياً، مقصوداً منه التواصل عبر النص، فلا يتخفف من قيود النحو، بل يتمثلها غاية تحمي فكرة نصه.

ونحو النص هو الذي غلب علي أعمال نحاة العربية، فاصبح نحوهم معياريـاً – في الغالب – فيه انحراف عن لغة الاستعمال الحي في بعض الجوانـب، أمـا سيبويه، فلم يفته تسجيل ملاحظ نحوية سياقية في دراسته.

السياق عند البلاغيين:

علي الرغم من أن اهتمام البلاغيين قد توجـه الـي الموضـوعات الثلاثـة المعروفة، البيان، المعاني، البديع، الاّ أن اعترافهم بفكرة المقام والمقال التي ميزوا فيها منذ ذلك الحين، بين السياق اللغوي، والسياق الاجتماعي، جعلت لهـم صـلة

1- نهاد الموسي . نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، دار البشير ومكتبة وسام ، الاردن ، ط2 ، 1987 ، ص : 99

2- كمال بشر . علم اللغة الاجتماعي ، ص : 72 – 73

وثيقة بالفكر اللغوي الحديث، إذ أن فكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حولـه علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الاساس الذي ينبنى عليه الـشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعني الثلاثة([1])، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والاحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال([2]).

وتتعدد المقامات في حياة الناس الاجتماعية، فهذا مقام فخـر، وذاك مقـام مدح، وذاك مقام دعاء، أو استعطاف، ولتعدد تلك المقامات، قالوا: " لكل مقام مقال "([3]). فالكلمة أو العبارة يختلف معناها بحسب مقامها الذي قيلت فيه. ولأن الكلمـة يتحدد موقعها فى الجملة والعبارة بما يجاورها من كلمات، ويتحدد معناها بعلاقاتها بتلك الكلمات، لذا قالوا: " لكل كلمة مع صاحبتها مقام"([4]).

فالعبارة الاولي تشير الي فكرة مهمة، هي عدم استخراج المعني من المقال فحسب، بل لابد من استصحاب معني المقام، أو الظرف الذي حدث فيه المقال.

أما العبارة الثانية، فهي توضح الصلة بين ظاهرة التضام، أو الرصف فـي اللغة العربية والمعني، وأن المواقف والمقامات الاجتماعية ترتبط دائما بتغيـرات يكون فيها التضام والرصف بين الكلمات مختلفاً، بأختلاف المقـام. وحـين قـال البلاغيون "لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صـاحبتها مقـام "([5])، وقعـوا علـي عبارتين من جوامع الكلم تصدقان علي دراسة المعني في كـل اللغـات، لا فـي العربية الفصحي فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات علي حد سـواء، ولم يكن "مالينو فسكي "، وهو يصوغ مصطلحه الشهير context of situation يعلم أنّه مسبوق الي مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها([6]).

والمقولتان تقرران من الوجهة العلمية مبدأ يـصح تطبيقـه علـي جميـع الاتجاهات والمدارس في العلوم اللسانية خاصة والانسانية عامة، هذا المبـدأ هـو

---

[1] - المعنى الوظيفى، والمعنى السياقى، والمعنى المعجمى.

2 اللغة العربية معناها ومبناها : 337

3 السكاكي . مفتاح العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1953 ، ط1 ، ص : 168

4 المصدر السابق : 168

5 مفتاح العلوم : 168 – 169

6 اللغة العربية معناها ومبناها : 372

وجود علاقة لا يمكن تجاوزها تنظيراً وتحليلاً بين المقال وما يكشفه من ظروف، ومواقف وسياق اجتماعي.

فبحكم ترابط المقال والمقام ترابطاً جدلياً، تصبح خـصائص الكـلام غيـر منفصلة عن السياق الذي يحتويه.

فكل من المقام والمقال متمم للآخر، وكل منهما يفتـرض الاخـر مـسبقاً، وتعتبر النصوص مكونات للسياق التي تظهر فيها، أما الـسياقات فيـتم تكوينهـا وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التـي يـستخدمها المتحـدثون، والكتاب في مواقف معينة([1]).

وقد اتضح من خلال ما سبق اعتماد النص والسياق أحدهما علـي الآخـر، وكيف أن للسياق علاقة مباشرة بتفسير الوحدات الكلامية علي مستويات مختلفـة ومتعددة، فالكلام لا يتأتي فصله بأي حال من الأحوال عن السياق الذي يعـرض فيه([2]).

ولهذا كله لا يجوز أن تُقرأ النصوص مجزأة منفردة، فلابد أن تُقرأ في اطار البنية العاطفية والإيقاعية ... والتصويرية .... الموحية بدلالتها في سياق النص. ولأن الامام عبد القاهر الجرجانى قد استطاع توظيف السياق فى الدرس اللغـوى بعامة فى نظرية النظم وقام بتطبيقها فى الدرس البلاغى على أفـضل مـايكون، تأخذه الدراسة نموذجاً فى الاسطر القادمة.

السياق عند عبد القاهر الجرجاني:

إن فكرة النظم عند عبد القاهر مستندة أساساً علي التفريق بين استعمال اللغة بقصد الاشارة، وبين استعمالها للتعبير عن الانفعـال، أو بعبـارة أخـري، التفريق بين الألفاظ التي تكتفي بمجرد الاشارة الي الصورة الباردة للشئ والألفاظ التي تعبر عن حقيقة الشئ([3]).

---

1 اللغة والمعني والسياق : 215

2 علم اللغة ، محمود السعران : 265

3 د . محمد زكي العشماوي . قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث . دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1984 ، ص : 14.4

فالالفاظ المفردة عنده هي مجرد علامات اصطلاحيه للاشارة الي شئ ما، وليست للدلالة عن حقيقة هذا الشئ، وما دام اللفظ المفرد مجرد إشارة، فإن اللفظة المفردة لايمكن أن تدل علي معني محدد، وانما تدل علي معني مجرد، وما دامت تدل علي معني مجرد، فهي تحتمل مئات المعاني، ومن ثم فلا معني لها. ولكن متي تـؤدي اللفظة معني محدداً ؟. تؤدي اللفظة معني محدداً اذا استخدمت في سياق.

فالسياق وحده هو القادر علي أن يمـنح اللفظـة المفـردة دلالتهـا المحددة، وهو وحده كذلك القادر علي أن يمنحها القدرة علي الحركة والعمل، فإن الذي يحدد قيمة الكلمة المفردة، والذي يحكم عليها بالصلاح او الفساد، بالجودة أو الرداءة، هو السياق الذي وردت فيه، لأنّه المجال الوحيد الذي يمكـن للفظـة أن تتحرك فيه وتعمل، وطبيعي أن الكلمة لا تكتسب القيمة الاّ وهي تتحرك وتعمـل وتؤدي وظيفة ما. فإن الوظيفة التي تؤديها، والعمل الذي تعمله هو الذي يحكم لها أو عليها.

يقول عبد القاهر: " اعلم أن هاهنا أصلاً تري الناس فيه في صـورة مـن يعرف من جانب وينكر من جانب آخر، وهو أن الالفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في انفسها، ولكن لأن ينضم بعضها الـي بعـض فيعرف فيما بينهامن فوائد "([1]).

ومن هذا النص يمكننا أن نستخلص حقيقة أن اللفظ المفرد لا يكتـسب معني محدداً، ولا يفيد فائدة خاصة، الاّ اذا أدي وظيفة في سياق. فالالفاظ تـستمد دلالتها من علاقاتها بالكلمات السابقة لها أو اللاحقة بها، وبما يمكن أن تكتسبه في مكانها الذي وضعت فيه من اشعاعات واضافات جديدة. ومن ثم كانـت الكلمـة المفردة مجرد إشارة الي الصورة الباردة للشئ، أما الكلمة المستخدمة في سـياق فهي شحنة من العواطف الانسانية، والصورة الذهنية والمشاعر الحية الي جانـب ما فيها من معني عقلي مجرد.

ويوضح عبد القاهر موقفه، ومن أهمية تركيب الكلام في سياق، بقولـه: " متـي رايت اسم فاعل أو صفة من الصفات قد بُدء به فجُعل مبتـدأ، وجُعـل الـذ هـو

---

1 دلائل الإعجاز : 415 – 416

صاحب الصفة في المعني خبراً، فاعلم أن الغرض هنا غير الغرض اذا كان اسـم الفاعل أو الصفة خبراً "([1]).

وهذا يعني السياق اللغوي باوسع مفهوم له لدي اللغويين المعاصرين، فهـم يرون أن السياق مصطلح لغوي يقصد به من جهة جوار الكلمات، وما يسبقها وما يلحقها من مفردات، وعادة يعتبر العامل النحوي في تركيب الكلام مظهراً سياقياً.

أما ما قصده اللغويون المحدثون من الـسياق بأنّـه مجمـوع العوامـل والظروف الاجتماعية، وخاصة الثقافية، التي تحيط واحاطت بالمتكلم والـسامع، فقد أدركه عبد القاهر، وذكره في غير موضع من كتابه دلائـل الإعجـاز. فـإن الاسس التي بني عليها عبد القاهر منهجه في دراسة المعني اللغوي، ربط الكـلام بسياقه، أو بعبارة أخري بمقام استعماله ومراعاة مقتضي حاله([2]).

فقد وضح لنا اذاً وضوحاً لا يدع للشك مجالاً، " أن الالفاظ لا تتفاضل مـن حيث هي الفاظ، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمـة معني اللفظة لمعني التي تليها، وما اشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ "([3]).

ويلفتنا الي النظر في الكلمة مجردة، أي: قبل دخولها في سـياق لغـوي، والنظر اليها بعد دخولها في السياق، وذلك بفضل موقعها من الـسياق المنظـوم، وأبعد من هذا فإن عبد القاهر يري أن احساسنا بقيمتها الجمالية، قد يختلـف مـن سياق لغوي الي سياق لغوي آخر. فقد تستعذب الكلمة وتحلو فـي سـياق، وقـد تستهجن هذه الكلمة بعينها أو يقل حسنها في سياق مغاير.

ويستشهد الامام علي ما يقول بكلمة (الأخدع) فقد وردت هذه الكلمـة فـي أكثر من سياق، وبدت حسنة مقبولة في بعضها، بينما كانت كدرة مـستهجنة فـي بعضها الآخر.

فقد استعملها الصمة القشيري ([1]) استعمالاً حسنا في قوله:

---

1 دلائل الإعجاز : 213

[2] -مفتاح العلوم - (ج 1 / ص 71)

أن مقتضى الحال عند المتكلم يتفاوت "مفاهيم إسلامية - (ج 1 / ص 71)

والاعتبار المناسب يقابل مصطلح "النظم" أو نظرية النظم التى طورها وأوفى بها الغاية الإمام عبد القاهر الجرجانى 474هـ."

3 دلائل الإعجاز : 46

تلفتُ نحو الحي حتي وجدتني   وجعت من الاصغاء ليتاً واخدعا([2])

وقد بدت علي هذا النحو من الحسن في قول البحتري:

واني وان بلغتني شرف العلا   واعتقت من ذل المطامع اخدعي ([3])

ولكن حسنها يتضاءل في بيت ابي تمام :

يادهر قوم من أخدعيك فقد   اضججت هذا الانام من خرقك ([4])

وتبدو هنا كدرة ثقيلة علي النفس .

وضرب عبد القاهر لنا مثالاً آخر ليعزز ما يقول بكلمة (شئ)، فانها تبدو مقبولة في سياق قول عمر بن أبي ربيعة:

وكم مالئ عينيه من شئ غيره   إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمي

بينما تبدو سمجة مستكرهة ([5]) في سياق قول المتنبي:

لو الفلك الدوار ابغضت سعيه   لعوقه شئ عن الدوران ([6])

وعلي أية حال، فهذا يؤكد صحة قوله، بأن الكلمة لا توصف بالحـسن أو القبح، من حيث هي لفظ مفرد، مكون من أصوات وحروف، وإنما توصف بذلك، حينما تدخل في سياق أو نظم، فتكتسب صفتها، التي يصح وصـفها بهـا وذلـك بالنظر إلي حالها مع أخواتها المجاورة لها في السياق أو النظم. فانّـه: " كمـا لا تكون الفضة والذهب خاتماً أو سواراً أو غيرهما من أصناف الحلي بانفسها، ولكن بما يحدث فيها من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعـال

---

1 - "من شعراء حماسة ابي تمام ، راجع شرح حماسة ابي تمام ، ج3 / 114 .وتجمع(اخدع) على اخادع ،قال الاخرك

وكنا اذا الجبار صعر خده   ضربناه حتى تستقيم الاخادع

[2] اظر:"الأغاني - (ج 2 / ص 117)

أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري ما حنث:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا ... وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا

3 من قصيدته في مدح الفتح بن خاقان ، راجع : ديوانه : 2/ 1241 ، تحقيق : الصيرفي ، ط1 ، دار المعارف ، مصر .

4 من قصيدته في مدح محمد بن الهيثم ، راجع : ديوانه ، تحقيق : عزام ، ط1 ، دار المعارف بمصر ، 2 / 4.5

5 دلائل الإعجاز : 48

6 ديوانه ، دار صادر ، ط1 ، ص : 477 ، بيروت

وحروف كلاماً وشعراً، من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته تـوفر معـاني النحو وأحكامه" ([1]).

وعلي هذا فإن الصورة في الكلام تتبدي في سياقه، وأن المفاضلة بين كلام وكلام تتم بالنظر الي السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي.

1 دلائل الإعجاز : 488

المبحث السادس

توظيف السياق في الدرس اللغوي الغربي

الدرس اللغوى الغربى صاغ فكرة السياق فى شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع انواع المعنى: من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية. ووضع لها من المعايير والاجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التى تتناول المعنى بالتحليل والتفسير. والمساحة القادمة نعرض فيها ملامح هذه النظرية من خلال آراء بعض اللغويين الغربيين.

السياق عند دي سوسير:

اتخذت الدراسات اللغوية مع فردناندى سوسير منحي جديداً تفتحت معه عوالم أرحب وأكثر موضوعية. وكان الانجاز الاول له، دعوته الي عدم الاكتفاء بدراسة اللغة دراسة تاريخية مقارنة تهدف الي مجرد تتبع أصولها الاولي، وإثبات المنشأ الواحد لجميع اللغات الانسانية. فاللغة واقع إجتماعي قائم، له خصائصه التركيبية وجوانبه التي يجب أن لا تغلب عليه الابحاث التاريخية([1]).

وقد كان الانجاز الآخر لدي سوسير هو تفريقه بين اللغة كظاهرة ذهنية متكاملة، وبينها كأداة يستعملها الانسان في مجرى حياته اليومية. أما الانجاز الاهم لدى "سوسير " فكان في ارسائه لأسس المدرسة البنائية في دراسة اللغة structuralism فقد دعا الي النظر في العناصر اللغوية المختلفة من مفردات وجمل وأصوات، لا كحوادث منفصلة بعضها عن بعض، بل ككل مترابط لا يكتسب قيمته ومعناه إلاّ بإرتباط بعضه ببعضه الآخر.

وقد أشار بالتحديد الى صعوبة تعريف أو تحليل أي عنصر لغوي الا بالنسبة للعناصر الاخري المرتبطة به، بطريقة أو بأخري([2]). أي: داخل اطاره السياقي. ويدلل لذاك بلعبة الشطرنج إذ لا قيمة لقطعها مستقلة منفصلة عن غيرها من القطع التي تشكل بمجموعها عناصر اللعبة، حتي أن تحريك أحدها لابد أن يؤثر في وضع الباقى وكذا اللغة، فتغيير موضع كلمة ما فى جملة يستتبع بالضرورة تغيير

---

1 مصطفي لطفي . اللغة في إطارها الاجتماعي . ص : 18

2 نفس المصدر : 2.

شكل ومعني الجملة ككل، وتحوير حرف من حروف كلمة، كذلك يعني تبديلاً لبنية هذه الكلمة ومعناها([1]). وقد أرسي "دى سوسير" بهذه النظريـة أسـس المدرسـة البنائية، بمعني أنّه أكد دراسة اللغة كبنيان مترابط ومتكامل، يراعي فيـه الـسياق اللغوى.

ويرى كمال بشر أن هذه النظرية وما فيها من علاقات، ومدي موافقة ذلـك لقواعد النحو، تتصل بفكرة عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ([2])، وهذا يحقق الشق الاول من نظرية السياق، وهو السياق اللغوي النحوي الذي يتوصـل اليـه بالتحليل علي مستوي التراكيب. أما السياق الاجتماعي فلا أثر له عنـد أصـحاب هذه المدرسة.

السياق عند "فيرث" firth:

البداية الحقيقية لعلم اللغة البريطاني، كانت بفضل عالم رائد هو " ج . ر . فيرث " الذي كان نشطاً في الدراسة اللغوية الاجتماعية. وقد ضمن ابحاثة نظرية شاملةً ووضع أسسها، فطغت علي أجواء المباحث اللغوية في أيامه ولا تزال، وقد تأثر "فيرث" فى نظريته "بمالينو فسكي" أحد علماء علم الانسان "الانثربولـوجى" ، وهو الذي أكد دراسة اللغة ضمن إطاراتها الاجتماعية التي تستعمل ضـمنها([3])، وذلك عندما كان بصدد ترجمته لعدد من العبارات التي كان يستخدمها سكان جزر "تروبرياند" جنوب المحيط الهادى، وبخاصة العبارات التي لها علاقـة بـدينهم أو التي لها أهمية ثقافية، وعند محاولته حل هذه المشكلة- دون قصد– وجـد نفـسه يصوغ نظرية في اللغة والمعني([4]).

فقد رأي "مالينوفسكي" أن فى قواعد اللغة وخصائـصها أمـوراً لا تتحـدد اعتباطاً، وانّما بتأثير من المعطيات الاجتماعية التي تكسب كل لغة صفاتها المميزة والخاصة. فلقد اعتبر "مالينوفسكي" أن المعطيات الاجتماعية هي بمثابـة الخلفيـة

---

1 المصدر السابق : 21

2 كمال بشر . التفكير اللغوي بين القديم والحديث ، ص : 1.7

3 مصطفي لطفي . اللغة العربية في إطارها الاجتماعي ، ص : 32

4 د . محمد حسن عبد العزيز . مدخل الي علم اللغة . كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، مكتبة الشباب ، 1992 ، ص : 32.

التي يجب الرجوع اليها لتحديد القصد من تلك الكلمات أو الجمل التي قد تـوحي بأكثر من معني .

فالمعطيات الاجتماعية بهذه المثابة هي اشبه بأداة يستعملها الباحـث اللغـوي ليتمكن من فهم وتحليل اشكال لغوية محددة. وعلي هذا الاسـاس تبـرز نظريـة "مالينوفسكي دور التأثير الاجتماعى في اللغة، ولكن فـي اطـار محـدود غيـر متكامل([1]). وجاء فيرث ليتوسع في هذه النظرية معتبراً أن دراسة اللغـة بـشكل عام، وكذلك دراسة عناصرها من كلمات، وأصوات، وجمل، هي دراسة دلاليـة، لمعاني هذه العناصر، حتي أنّه ذهب الي اعتبار مهمة البحث اللغوي منحصرة في تقصي هذه المعاني دون سواها([2]).

ومفهوم "فيرث" للمعني، هو أنّه علاقـة بـين العناصـر اللغويـة والـسياق الاجتماعي، بحيث تحدد معاني تلك العناصر وفقـاً لاسـتعمالها فـي المواقـف الاجتماعية المختلفة. فقد يكون لكلمة أو جملة ما معني لا يلبث أن يتغير بالنـسبة الي الموقف المتغير الذي قد تستعمل فيه([3]).

إن نظرية "فيرث" بمفهومها العام هذا تدخل بشكل رئيسي في صلب المباحث اللغوية الاجتماعية، إذ إن فحواها الرئيسي هو أثر الاشكال الاجتماعية المختلفة في البناء اللغوي.

وقد حدد الدكتور كمال بشر منهج "فيرث" ومدرسته بدقة وإيجاز في قوله: " وإذا كان لنا أن ننعت مدرسته بنعت موجز يشير الي ابرز خواصها، جاز لنـا أن نقول، بأنها المدرسة الشكلية التركيبية formalistic structuralism، ومعناهـا انها طريقة من البحث تعني في المقام الاول بتسجيل الحقائق اللغوية، وفقاً للصور الشكلية وللانماط الحقيقية للصيغ الكلامية في التراكيب.

وهكذا أسس "فيرث" واتباعه مدرسة لغوية جديدة، أطلـق عليهـا المدرسـة اللغوية الاجتماعية، تعني بالسياق الاجتماعي كعنصر رئيسي في التحليل اللغوى.

---

1 اللغة العربية في إطارها الاجتماعي : 32
2 المصدر السابق : 32
3 المصدر السابق : 32

الميحث الاول

السياق الصوتى المفهوم والمجال

مدخل:

اللغة الإنسانية عبارة عن أصوات تكون نظاماً خاصاً هو النظام الصوتي، فالصوت الإنساني الحي هو موضوع علم الأصوات اللغوية، ولم يكن هذا العلـم وليد العصر الحاضر، فقد شُغل اللغويون من قديم بالنظر فيـه، فهنـاك جهـود اليونانيين والرومان والهنود، غير أن ما وصلوا إليه قديماً لم يكن قائماً على أساس علمي ثابت، ولهذا لم يبلغ من الدقة والإتقان والضبط ما وصل إليه المحدثون من علماء اللغات([1]).

ويُعد علماء المسلمين من السباقين في ميدان الصوتيات والمنظرين لأغلب جوانب بحثه ودراسته، إذ تطرقوا من خلال مؤلفاتهم إلى أغلب منـاحي البحـث الصوتي كجانبه النطقي، والوظيفي، والسمعي، وصولاً إلـى الفيزيـائي وحتـى المرضِي، بحيث جمعوا شتات هذا العلم، وأسسوا من خلال ذلك متناً متكاملاً إلى حد بعيد، الأمر الذي أعانهم على بث المقولات التي تقرب من مقـولات المـتن الصوتي الحديث. وأشاد بالجهود العربية كبار الدارسين الغربيين وغيرهم ممـن يهتم بالدراسات العربية والاستشراقية ([2]).

وقد دخل هذا العلم في علوم العربية قاطبة بحيث نجده حاضراً في الدرس النحوي والصرفي والبلاغي، بل حتى في العلوم التشريعية والدينيـة، ككتـب القـراءات ومباحث التجويد، وما إليها. فقد أدرك النحاة قـصور فهمهـم للعربيـة، نحوهـا وصرفها، ما لم يدرسوا اصواتها، فكانت عنايتهم بها شـديدة، اقتـضتهم اكتنـاه مخارجها، وجهازها المصوت، وصفاتها العامة والخاصة، وقوانينها، فآبوا بـزاد وفيرماثل فى عشرات المصطلحات الصوتية التى ترمى إلى جليـل مـا قـدموا وعزيز ما خلفوا.

---

[1] - انظر: زين كامل الخويسكي، لسانيات من اللسانيات، دار المعرفة الجامعية،1997بيروت،م، ص 4.4.

2 - د. مشتاق عباس معن، التوظيف البلاغي لعلم الأصوات، قراءة في وظيفة التداخل بين حقول المعرفة ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد الخامس عشر،2..3م ص345.

أما أهل العروض فقد أغنوا البحث الصوتي بدراسة أوزان الشعر العربي وموسيقاه وبيان مواضع النبر(Stress) فيه ومقاطعه، واشتهر من بينهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعد مخترع هذا العلم ورائده.

ولعلماء الكلام والأصوليين والمعتزلة عناية فائقة بالكلام المنطوق، وبيان مكوناته، وما النطق إلا أصوات مسموعة يظهرها اللسان، وتشارك فيها أعضاء النطق الأخرى، فكانت عنايتهم بالحروف باعتبارها حروفاً لفظية دالة على حروف فكرية منبعها العقل موضع إثراء البحث الصوتي([1]).

ولأصحاب البلاغة ملاحظات نافعة في تنافر الأصوات وائتلافها، وأحكامها من حيث الإدغام والإظهار والإخفاء، والوقف والابتداء، والمد المتصل والمنفصل والمد الساكن العارض، وترقيق الأصوات وتغليظها، وغير ذلك([2]).

ولكن من الملاحظ أن علماء اللغة العربية لم يخصصوا لموضوع علم الأصوات كتباً مستقلة فقد كانت دراستهم الصوتية مرتبطة بقضايا صرفية ونحوية أو بلاغية.

أما علماء التجويد فقد جعلوا دراساتهم مستقلة في كتب خاصة، كما كانت عندهم على نحو أشمل([3]).

ولكن ذلك كله لا يغير حقيقة جوهرية هي أن دراسة الأصوات العربية موضوع لغوي أساساً، سواء أقام بها النحاة أو قام بها علماء القراءات، أم كانت تعني بنص لغوي يشمل القرآن ونصوص اللغة الأخرى، من شعر ونثر في عصر محدد أو غير محدد.

---

[1] - التوظيف البلاغي لعلم الأصوات:346

[2] - خليل إبراهيم العطية . في البحث الصوتي عند العرب ، منشورات دارا لجاحظ، سلسلة الموسوعة الصغيرة، 124، بغداد ، العراق، 1983م ، ص 4 – 5 .

[33] - غانم قدوري الحمد. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، 14.6هـ - 1986م، ط1، ص :83

أولاً: تعريف الصوت:

الصوت في اللغة هوا لجرس([1]) وفي الاصطلاح: هو الأثر السمعي الـذي تحدثه تموجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما([2]).

وقد عُني العلماء بدراسة الصوت وأسبابه، قال ابن سيناء: الصوت سـببه القريب تموج الهواء ووقعه بقوة وبسرعة من أي سبب كان([3]). والسبب كما ذكر إما أن يكون تقريب جسم من جسم، وهو ما أطلق عليه القرع، وإما تبعيد جـسم عن جسم وهو القلع([4]). والصوت عند أخوان الصفاء هو" قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها بعضاً"([5]).

وقد اتفق علماء العربية في تعريف الصوت الإنساني بأنّـه "أثـر سـمعي يصدر عن أعضاء النطق غير محدد بمعنى معين في ذاته أو في غيره، إذ إن ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت"([6]).

فالفرق بين الحرف والصوت، هو أن الأول يشتمل على معنـى، وهـو وحدة بنائية في الكلام وفي اللغة، قال ابن جني: "الصوت عرض يخرج مع النَفَس مستطيلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقـاطع تثنيـه عـن امتـداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرف"([7]).

ومن هذين النصين يتضح أن معنى الصوت عند علماء العربية مـرادف للمعنى الذي ورد في اللسان، وهو الجرس، وهو المعنى اللغوي للفظ، وهـذا مـا وُجد عند سيبويه([8]) والمبرد([9]) وكل العلماء الذين أتوا فيما بعد([1]).

---

1 - انظر لسان العرب ، مادة صوت، والمعجم الوسيط، 1/ 527

[2] - كمال بشر . علم اللغة العام – الأصوات ، ص :49

3 - ابن سيناء. أسباب حدوث الحروف، ص:6

4 - نفس المصدر ، ص:6

5 - رسائل إخوان الصفاء :95/3

6 - السيوطي. الأشباه والنظائر:2/2.

7 - ابن جني. سر صناعة الإعراب: 6/1

8 - سيبويه. الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هرون ، دار الجيل، بيروت، ط1، :434/4.

9 - المبرد. المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة :194/1.

ثانيا: مؤثرات السياق الصوتي:

تتكون اللغات في أساسها من مجموعة من الأصوات وهـي التـي نسميها بالحروف، وهذه الأصـوات تنقـسم إلـى قـسمين: أصـوات صـامته(Consonant) وأصوات صائتة (Vowels). والحركات العربية وهي الفتحـة والضمة والكسرة تعتبر صوائت قصيرة، أما الألف والياء والواو فهي صـوائت طويلة، وهذه الأخيرة يسميها القدماء حروف علة أو حروف لين أو حروف مد.

ومن المعروف أن لكل صوت صفات خاصة، كأن يكون مجهوراً أو مهموساً، أو مفخماً أو مرققاً، أو غير ذلك من الصفات التي التفت إليها علماؤنا الأقدمون. غير أن هناك قانوناً معروفاً في اللغات عامة وهو أن الأصوات قد يؤثر بعـضها فـي بعض وفقاً لمتطلبات السياق، وذلك حين تتجاور في الكـلام، مثـال ذلـك مـن الإنجليزية فنحن نقول (Doe s) فننطق حرف (s) كأنّه (z) أي ننطق الكلمة هكذا (Doez) فإذا وضعنا بعدها كلمة (She) مثلاً وقلنا :(Does She) نجد حرف (z) قد اختفى اختفاء كاملاً وتلاشى في الحرف الذي يليه، والذي يـشبه الـشين العربية فننطقها هكذا(do she) ومعنى هذا أن حرف (z) تأثر بالحرف الذي يليـه تأثراً معيناً ، ليتوافق مع السياق الصوتي للعبارة.

وهذا مثال آخر من العربية فنحن حين ننطق كلمة (سلام) ننطق (الـلام) مرققة والألف بعدها مثلها، فإذا قلنا (صلاة) تغيرت (اللام) وصارت لاماً مفخمة، وكذلك الألف، والسبب في ذلك تأثرها بالصاد التي وقعت قبلها. ونحن نقرأ فـي القرآن الكريم ((اهدِنَا الصراطَ الْمُستَقِيم))([2]) فننطق "الـصراط" بالـصاد مـع أن الحرف هو السين، واصلها "السراط"، غير أن السين تأثرت بالراء التـي بعـدها وهي حرف مكرر كما تأثرت"بالطاء" وهو حرف مطبق فانقلب الـسين صـاداً. وهكذا حين تتجاور الأصوات داخل الكلام يتأثر بعضها ببعض حـسب قـوانين صوتية مدروسة ومعروفة، طلباً للانسجام الصوتي ومراعاة للـسياق، لـذا نجـد

---

1 - انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، ص: 62 – 63، وانظر : كتاب الموسيقى الكبير، الفارابي ص:1.72.

[2] - سورة الفاتحة ، الآية:6

المحدثين في علم الأصوات اللغوية يدرسون هذه الظاهرة تحت عنـوان(Sound speech) أي: الصوت في الكلام.

فالمقصود بالسياق الصوتي - إذاً – التحولات التي تطرأ على الـصوت اللغـوي فتفقده بعض خصائصه، أو تكسبه خصائص أخرى. وقد ذهب بعض العلماء إلـى أن هذه التغييرات تتم بمقتضى قانون الصوت الأظهر، وهو الذي يكون فيه قـدر من الخصائص التي تجعله أقوى من غيره من الأصوات، فعند مجاورة الأضعف للأقوى يخسر الأضعف بعض خصائصه، وقد يختفي اختفـاء كـاملاً، ليظهـر الصوت الأقوى بدلاً منه، وقد يحدث العكس فقد يؤثر الـصوت الأضـعف فـي الأقوى، وقد يتطور الصوت من الضعف إلى القوة، ومن السهولة إلى الـصعوبة، وهذه الظاهرة يمكن إثباتها في كثير من اللغات([1]).

ولتجاور الحروف في اللغة مظهران يدعو كل منهما إلـى الانـسجام الـصوتي، أحدهما يسمى المماثلة والآخر يسمى المخالفة، فإذا تواءمت الأصوات المتجـاورة مخرجاً وصفة، سهل نطقها وتحققت السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغيير شـيئا منها، أما إذا كانت متنافرة في ذلك، فإن جهاز النطق يتعثر في التفوه بها، وهنـا يلزم نوع من التغيير في بعض تلك الأصوات ليمكن النطق دون معاناة أو نفور.

فإذا كان النطق بالمتجاورين أمراً صعباً يستلزم جهداً كبيراً، لجأ صـاحب اللغة إلى الطريقة المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مـع صـاحبه صوتياً، ويسمى ذلك بالمماثلة وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر ونوعه([2]).

وفي الوقت الذي تدعو فيه أحوال لغوية سياقية معينة الأصوات المتخالفـة إلى التماثل ليتحقق الانسجام الصوتي بينهما، تدعو أحوال لغوية أخرى الأصوات المتماثلة إلى التخالف ليتحقق الانسجام الصوتي أيضاً. فكما أن المماثلة هي تقريب

---

[1] - د. سمير شريف استيتة. اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 1425هـ - 2..5م، ص:62.

[2] - إبراهيم أنيس- الأصوات اللغوية ،ص:126

صوت من صوت، فالمخالفة هي تحويل أحد المتماثلين إلى صوت آخر منعاً للثقل وتحقيقاً للانسجام([1]).

ويقول علماء اللغة المحدثون: إن المماثلة تقلل من الخلافات بين الفونيمات ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم، ولذا فإن عامل المؤآلفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية([2]). وظاهرة المخالفة موجودة في كل اللغات، وقد شاعت في كثير من اللغات السامية([3])، وقد لاحظها القدماء في العربية، وأشار إليها سيبويه في باب" ما شذ فأبدل مكان اللام ياء كراهية التضعيف" ومثّل لها بقولهم "تسريت، تظنيت، تقصيت" وأصلها:" تسررت وتظننت، وتقصصت"([4]).

ونبه ابن جني أيضاً على استثقالهم المِثْلين حتى قلبوا أحدهما في نحو: أمليت وأصلها أمللت([5]).

فعلي دارس اللغة - إذاً - أن ينظر إلي الأصوات في جميع سياقاتها النطقية، وذلك لأن الصفات والخصائص الصوتية معرضة في الكلام المنطوق للتغيير بدرجات متفاوتة بتأثير المجاورة. فنحن حين نصف صوتاً معيناً بأنه مجهور فإن ذلك مبني علي ملاحظة أحوال ذلك الصوت الغالبة، وإلاّ فمن المحتمل أن يأتي في بعض المواقع في السلسلة الكلامية المنطوقة مهموساً، وكذلك حين نصف صوتاً بأنّه مرقق فإن ذلك لا يعني أنّه لا يلحقه التفخيم مطلقاً. لذلك يجب أن ننظر إلي الأصوات في سياقها لتقعيد الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب وبيان التأثر والتأثير بين الأصوات عندما تكون في سياق، أي في كلام متصل.

ثالثا: وحدات السياق الصوتي:

---

[1] - ابن جني. الخصائص ، 227/2.

[2] - د. مختار عمر. الصوت اللغوي، ص:33

[3] - د.أنيس. الأصوات اللغوية ،ص:152

[4] - سيبويه. الكتاب، ص:424/4

[5] - ابن جني. الخصائص، 231/2

المتأمل في الكلام، في أي لغة منطوقة أو مكتوبة يلاحظ إمكانية تقـسيمها إلى وحدات أو أنساق، وهي: الفقرة، والجملة، وشبه الجملة، والكلمـة والمقطـع، وغيرها، وكل واحد من هذه الانساق ما هو الا مجموعة من الاصوات.

وهذه الاصوات هى عبارة عن وحدات تكون جزءاً من صيغة لغويـة ذات معنى منعزلة عن السياق وتسمى الفونيمات، والفونيم جزء أساسي من بنية الكلمة المفردة، وذلك كالسين والميم ...الخ. وللفونيم قيمة على مستوى الـسياق يـسهل علينا التحقق منها عندما نرى كيف يغير فونيم السين لكلمة (ملك) إلى (سـلك) أو كلمة (كرب)إلى(ضرب) مثلاً.

إذن ليس للصوت درجة قيمية داخل نفسه، وإنّما وظيفته تكمن في تـأثيره الدلالي داخل منظومة السياق([1])؛ وميدان السياق الصوتي هو مـا يحتويـه مـن المقاطع والوصلات الكلامية والجمل، يدرس جزئياتها وكلياتها مجـردة وأثنـاء جريانها في السياق.

ويعرض هذا العلم إلى دراسة الفونيمات التركيبية مجـردة وأثنـاء سـير المنطوقات، أي في السياق، كذلك يقوم بتحليل الكثيـر مـن الظـواهر الكلاميـة كالمماثلة([2])، والمخالفـة([3])، والإدغـام([4])، والقلـب المكـاني([5])، والتفخـيم([6]) والترقيق([7])، والإمالة([8]) والإشمام([1])، والروم([2]). كما يدرس الفونيمـات فـوق المقطعية أو التركيبية، كالنبر، والمقطع والمفصل (juncture) والانتقال.

---

[1] - د. أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1976م ،ص:147.

[2] - .فسر بأنه اذا كان النطق بالمتجاورين امراً صعباً يستلزم جهداً كبيراً، لجأ صاحب اللغة الى الطريقة المؤدية الى السهولة بتغيير احدهما حتى ينسجم مع صاحبه.

[3] - التخالف فسر بأنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تمام المماثلة فإن أحدهما يتغير إلى صوت ثالث .

[4] -. الإدغام: أن يجعل حرفين في الكلام حرفاً واحداً مشدداً.

[5] - هو حلول الصوتين المتجاورين أحدهما مكان الاخر نحو: جذب ، وجبذ:

[6] - التفخيم في اصطلاح القراء: الفتح ، وهو أن تكسو الفتحة ضمة فتخرج بين بين إذا كانت بعدها ألف منقلبة عن الواو لتميل تلك الألف على الأصل كقولك الصلاة الزكاة.

[7] - الترقيق، وهو تحول يعتري الحرف على ضد ما قبله، وهو ضربان: أحدهما يدخل على المفتوح كالإمالة، والآخر يدخل على غير المفتوح كالراءات فكل إمالة ترقيق، ولا عكس .

[8] - لإمالة: أن ينحوبالفتحة نحوالكسرة وبالألف نحوالياء كثيراً وهوالمحض، ويقال له أيضاً الإضطجاع والبطح والكسر وهوبين اللفظين، ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين، فهي قسمان: شديدة ومتوسطة، وكلاهما

المبحث الثاني

دراسة السياق الصوتى

أولاً: دراسته عند اللغويين:

لم تغب ظاهرة السياق الصوتي عند علماء العربية القدماء في متونهم، فقد تصدى لها طائفة منهم، ولعل أهم طرح في ذلك ما بثّه ابن جني في كتابـه سـر صناعة الإعراب إذ تناوله بنحو من التأسيس واضعاً له مصطلحات عـدة منهـا: التركب والمجاورة ، والتأليف والاجتماع ، والمزج ؛ فتطرق إلى السياق الصوتي من زاوية الخفة والثقل مستنداً على ترتيب سياق البنية ونوعية أصوات تلك البنية، ومثّل لذلك بكلمة (مستشرزات)[3] وأن ثقل أبنيتها لا يعود إلى عدد أصوات البنية، بل إلى نوعية الأصوات وترتيبها داخل السياق، فلو استبدلنا بهذا الصوغ صـوغاً آخر مشكلاً من أصوات مختلفة وبترتيب سياقي مختلف، لانتفى حكم الثقل وحـل محله الخفة كقولنا "مستنكرات" و"مستنفرات"([4]).

وقد كان سيبويه – أيضاً – على وعي تام بقضية السياق الصوتي، وذلـك عندما وضع الدراسات الصوتية تحت عنوان (الإدغام) إذ إن السياق عنده لـيس جزءاً من النظام الصوتي، وإنّما هو ظاهرة موقعية سياقية ترتبط بمواقع محـددة، يلتقي في كل منها صوتان أولهما ساكن والثاني متحرك، فإذا تحققت صفات فـي الصوتين جميعاً تحققت بذلك ظاهرة الإدغام كما فهمها سيبويه([5]).

كما أشار الفراء إلى السياق الصوتي أثناء حديثه عن ظاهرة الإدغام التـي هي أكثر الظواهر الصوتية السياقية دوراناً في كلام العرب، حيـث قـال وهـو

جائز في القراءة. والشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه. والمتوسطة بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة.

[1] - الاشمام: أن تنحو بكسرة فاء الفعل نحو الضمة، فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلا، إذ هي تابعة لحركة ما قبلها،

[2]- أن تأتي الحركة الخفيفة بحيث لا يشعر به الاصم.، وهو إذهاب أكثر الحركة، وإبقاء جزء منها حال الوقف؛ وفائدته الاعلام بأصل الحركة ليرتفع جهالة السامع..

[3] - فى قول امرىء القيس: غرائره مستشزرات الى العلى تضل المدارى فى مثنى ومرسل

- سر صناعة الإعراب ، ابن جني، 5/1 ، 65 ،811/2، 816، 862 . وانظر ابن الأثير ، المثل السائر،264/1 -266 .

[5] - سيبويه ، الكتاب، 437/4.

يتحدث عن إدغام لام (هل) و(بل): "فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم"([1])؛ وذلك استجابة لمتطلبات السياق.

ثانيا: دراسته عند علماء التجويد:

كان واضحاً لدى علماء التجويد أن الأصوات إذا تجـاورت فـي الكلمـة المفردة أو في الكلام المتصل تعرضت صفاتها للتغيير الجزئي أو الكلي إذا نطق بها في سياق، وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره. وقد قـال عبـد الـدائم الأزهري في ذلك كلمة تعبر بوضوح وعلى نحو شامل عن دور الـسياق فـي تغيير الأصوات حيث قال: "المجاورة لها تأثير"([2]) "احـذر تفخـيم بـاء (بـرق) لمجاورتها الراء المفخمة، فإن اللسان يسبق إلى تفخيمهـا، وكـذا بـاء (باطـل) لمجاورتها الألف المدية فيسرع اللسان إلى تفخيمها وتفخيم الألف المدية والطـاء بسبب المجاورة، إذ المجاورة لها تأثير"([3]). وقال الداني في ذلك عبارة جامعة _ أيضا _ ورددها علماء التجويد من بعده ، وهي قوله: " والحروف المهموسـة إذا التقت بالحروف المجهورة والحروف المجهورة إذا لقيت الحروف المهموسة فيلزم تعمد تلخيصها وبيانها لئلا ينقلب المهموس إلى لفظ المجهور، والمجهور إلى لفظ المهموس، فتختل بذلك ألفاظ التلاوة وتتغير معانيها"([4]).

ويذهب الداني إلى أن تأثير الأصوات لا يقف عند حد الأصوات الصامتة، وإنما يتجاوزه إلى الأصوات الصائتة، حيث قال:" والترقيـق فـي الحـرف دون الحركة إذا كان صيغته، والإمالة في الحركة دون الحرف إذا كانت لعلة أوجبتها، وهي تخفيف كالإدغام سواء" ([5]).

---

[1] - الفراء ، معاني القرآن، 354/2. قال الشاطبي مشيرا إلى هذا الإدغام:

وقل بل وهل راها لبيب يعقلا

[2] - د. غانم قدوري أحمد ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود ، بغداد ، ط 1 ، 14.6هـ - 1986م ، ص: 387

[3] - المصدر السابق، نفس الصفحة.

[4] - المصدر السابق، ص: 388

[5] - عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص:165 – 166.

وكانت هذه القضية واضحة لدى عبد الوهاب القرطبي، حتى أنه رتب كتابه الموضح في التجويد على أساس منها، فخصص الباب الأول للحديث عن الحروف العربية في حالة الإفراد، وخصص الباب الثاني ما يلحق الحروف العربيـة مـن أحكام عند النطق بها في السياق.

والظواهر الصوتية الناشئة عن السياق التي ذكرها عبد الوهاب القرطبـي منها ما يختص بالأصوات الصائتة، وهي المد، والتليين، والتـشديد، والإظهـار والإخفاء والقلب. وهذا اتجاه أكده القرطبي حيث قال عن مذهب ورش في تغلـيظ اللام إذا تحركت بالفتح خاصة وكان قبلها حرف إطبـاق: "وأمـا مـذهب ورش فوجهه طلب المناسبة بين الحروف كما في إمالة الألف وترقيق الـراء، والقلـب والتشديد"([1]).

وكان الحسن بن قاسم المرادي قد جعل معرفة الأحكام الناشئة عن الـسياق أحد أركان علم التجويد الأربعة في قوله: "إن تجويد القراءة يتوقف علـى أربعـة أمور:-

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار([2]).

وهذه النصوص تبين أن علماء التجويد كانوا مدركين أن الدرس الـصوتي لا يتوقف عند معرفة مخارج الحروف وصفاتها، بل لا بد من دراسة ما يحدثـه السياق من آثار على صفات الأصوات.

وقد جعل ابن الجزري معرفة أحكام الحروف الناشئة عن الـسياق شـرطاً لإتقان التجويد فقال: " فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حده موف حقـه، فليعمل نفسه بأحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لـم يكـن حالـة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة و لا يحسنها مركبة، بحسب

---

[1] - عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص:165 – 166.

[2] - الحسن بن قاسم المرادي، الواضحة، ص:3.

ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف ومرقق ومفخم، فيجذب القوي الضعيف، ويقلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب([1]).

رابعاً: دراسته عند المحدثين:

قرر علماء الأصوات المحدثون أن الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في بعض، كما نلحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضاً لهذا التأثر([2]).

ويلاحظ أن علماء اللغة المحدثين الذين درسوا أصوات العربية، قد وجهوا معظم عنايتهم إلى دراسة الخصائص النطقية للأصوات العربية، أي ما يتعلق ببيان مخارجها وصفاتها التي تمتاز بها حينما ينظر إليها مجردة عن السياق.

أما الظواهر الصوتية الناشئة عن السياق فلم يعتن بها إلا عدد قليل من الدارسين، من غير أن يستغرقوا بحث كل ما يتصل بها([3]).

وعلم الأصوات الحديث والمعاصر يتناول دراسة النظام الصوتي من خلال فرعين أساسيين هما:

1. الفوناتيك : Phonetic
2. الفونولوجيا : Phonology

فالأول يدرس أصوات اللغة خارجة عن سياقها ومعزولة بعيدة عن البنية اللغوية، حيث يحدد علماء الأصوات طبيعة الصوت اللغوي ومصدره وكيفية

---

[1] - ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، 214/1 – 215.

[2] - د.أنيس- الأصوات اللغوية ،ص:179

[3] - مثل: د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي، ص:324- 338 . وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:179. ومن المستشرقين برجستراسر، في التطور النحوي، ص:18 وما بعدها. وجان كانتينو في دروس في علم أصوات العربية، حيث بحث تطور الأصوات العربية في مواضع متعددة في كتابه.

حدوثه، ومواضع نطق الأصوات المختلفة، والصفات النطقية والسمعية المصاحبة لها.

والفرع الثاني هو الفونولوجيا Phonology يهتم بدراسة الصوت اللغـوي في سياقه داخل البنية اللغوية من حيث وظيفته وتوزيعه وعلاقة ذلـك بـالمعنى، والقوانين العامة التي تحكم ذلك، فهو يتعامل مع الأصوات من خلال وجودها في سياق صوتي أو لغوي معين([1]).

ويعتبر فيرث صاحب النظرية السياقية رائد هذا الاتجاه. والسياق الصوتي عنده هو سياق وظيفي مطرد يعتمد على تغيير مواقع الفونيمـات داخـل البنيـة باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ، لأن كل فونيم مقابل استبدالي للآخر، فتغييره أو استبداله بغيره لا بد أن يعقبه اختلاف في المعنى، كما تقول في العربية (نفر) و(نفد)؛ وللفونيم قيمة كبيرة على مستوى التركيب والسياق، يـسهل علينـا التحقق منها عندما نرى كيف يغير فونيم الباء كلمة (درج) إلى (برج) مثلاً، وهذا ما يسميه فيرث (Firth) الوظيفة الصوتية الصغرى، مقابل الوظـائف الكبـرى: المعجمية والصرفية والنحوية ووظيفة سياق الحال الدلالية.

وعليه كل صائت أو صامت يمكن أن يكون مقابلاً استبدالياً فالصوامت في تبدلها ذات وظيفة فونيمية، كذلك الصوائت لها دلالة صـوتية، أي: ذات وظيفـة فونيمية أقرب إلى وظيفة الصوامت في تغيير معاني الكلمات، إذ الصامت صوت في الكلمة وجزء لا يتجزأ منها؛ لذا سمى بعض المحدثين الفونيم بالمتغير السياقي (Variant of context)([2]).

---

[1] - د. زين كامل الخويسكي ، لسانيات من اللسانيات، دار المعرفة الجامعية ، 1997م – ص:4.- 41.

[2] - عبد القادر عبد الجليل ، علم اللسانيات الحديثة ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط 1 ،1422هـ 2..2م،ص:3.2.

المبحث الثالث

صور السياق الصوتي

هناك عدة صور للسياق الصوتي، وكلهـا تـأتي عـن طريـق المماثلـة (Assimilation)؛ والمماثلة في أقرب تعريف لها هي: تماثل يحدث بين الأصوات المتجاورة، بحيث يفقد الصوت بعض خصائـصه النطقيـة، أو يكتـسب بعـض خصائص صوت مجاور.

والمماثلة - بهذا المفهوم _ ظاهرة سيارة في اللغات الإنسانية جميعاً([1]).

نظر العلماء في حركة التماثل التي تجري بين الأصوات داخل سـياق الكلمة، فوجدوا أنها تسير في اتجاهين. فإما أن يؤثر الصوت السابق في اللاحـق فتدعى المماثلة أمامية Progressive؛ وبعضهم يسميها مقبلة([2]). وإمـا أن يـؤثر الصوت اللاحق في السابق فتوصـف المماثلـة بأنهـا رجعيـة (Regressive) وبعضهم يسميها مدبرة([3]). ووجد العلماء كذلك أن الصوت قـد يـؤثر أو يتـأثر بصوت مجاور له، وليس بينهما فاصل، فتدعى المماثلة مباشرة (Immediate). ووجدوا كذلك أن المماثلة التي تجري قد تكون جزئية، بحيث لا يتغير في الصوت إلا سمة واحدة، كأن يتحول الباء المجهور إلى مهموس، فلا يخرج مـن دائـرة الباء، كما في (نبت، كبت) ومثل ذلك أن تفقد اللام الجهر أو أن تكتسب التفخـيم كقوله تعالي: ((ولا الضالين))([4]) أو أن تكتسب الفتحة أو الألف التفخـيم، وقـد يتحول الصوت إلى صوت آخر فتدعى المماثلة كلية، كأن يتحول السين إلى زاي أو إلى صاد في نحو قوله تعالى: ((أأسجد لمن خلقت طينا))([5])، وقولـه تعـالى:

---

[1] - اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص:93

[2] - برجستراسر ، التطور النحوي، ص:18 – 19.

[3] - د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص:325

[4] - سورة الفاتحة ، الآية:7

[5] - سورة الإسراء، الآية:61

((وزاده بسطة في العلم والجسم))([1]), وعندما ننظر إلى المماثلة الواحدة باعتبـار التغيرات الثلاثة السابقة تتأتى لنا الصور السياقية الآتية من المماثلة:

الصورة الأولى: المماثلة التقدمية المباشرة الكلية (Complete Immediate) Progressive Assimilation ومن أمثلتها في العربية تأثير المجهور فـي تـاء الافتعال في:

ازتهر ← ازدهر

ازتهى ← ازدهى

ادتعى ← ادعى

ففي المثالين، الأول والثاني، أثر الزاي المجهور في تاء الافتعال، وهـو صوت مهموس، فحوله إلى النظير المجهور للتاء، ونظيره هو الدال، فنشأ نتيجـة هذا تماثل بين الزاي والدال. والمثال الثالث (ادتعى) كان ثمة تخالف بـين الـدال المجهور والتاء المهموس، فأدى هذا التخالف إلى أن ينقلب التـاء إلـى نظيـره المجهور، وهو الدال ثم أدغم الدالان([2]). ومن ذلك قولـه تعـالى: ((فهـل مـن مدكر))([3]).

الصورة الثانية: المماثلة التقدمية المباشـرة الجزئيـة (Partial Immediate Progressive) ومن أمثلتها في العربية تحول الألف الذي هو في الأصـل غيـر مفخم، إلى صوت مفخم، لكونه مسبوقاً بصوت مفخم في نحو (صار) و(طـار) ؛ وما كان من بابها، ومنه قوله تعالى: ((فمنهم ظالم لنفسه))([4])، وقو لـه تعـالى: ((ولا الضالين))([5]).

---

[1] - سورة البقرة، الآية:247

[2] - سيبويه ، الكتاب ، 421/2 . وانظر د.أنيس- الأصوات اللغوية ،ص:131

[3] - سورة القمر،الآية:15((ولقَد تَركْنَاها آيةً فَهلْ مِن مُدكِرٍ))

[4] -.((ثُم أَورثْنَا الْكِتَاب الَذِين اصطَفَينَا مِن عِبادِنَا فَمِنْهُم ظَالِم لِنَفْسِهِ ومِنْهُم مُقْتَصِد ومِنْهُم سابِقٌ بِالْخَيراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِك هُو الْفَضلُ الْكَبِير)) (32 فاطر:32

[5] - سورة الفاتحة، الآية:7

الصورة الثالثـة: المماثلـة التقدميـة غيـر المباشـرة الكليـة (Complete nonImmediate Progressive) ومن أمثلتها في العربية تفخيم الدال في (صد) حتى يظهر في النطق كأنه (ضاد) لتأثير الصاد المفخم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما هو الفتحة ، من نحو قوله تعالى: ((وصد عن سبيل ا وكفر به))([1]).

الصورة الرابعة: المماثلة التقدميـة غيـر المباشـرة الجزئيـة Partial non Immediate Progressive ومـن أمثلتهـا فـي العربيـة تفخـيم الخـاء في(صخر)بسبب الصاد المفخم بالإطباق، مع وجود فاصل بينهما هو الفتحة. مـن نحو قوله تعالى: ((فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهـم))([2])، وقوله تعالى: ((ظهر الفساد في البر والبحر))([3]).

الـصورة الخامـسة: المماثلـة الرجعيـة المباشـرة الكليـة Complete Immediate Regressive)) ومن أمثلتها في العربية ، انقلاب السين إلى صاد في مثل (بسطة) كما في قوله تعالى: ((وزاده بسطة فـي العلـم والجـسم))([4])، لمماثلة "الطاء" المفخمة بالإطباق. فالسين غير المطبق أصبح مطبقاً، لكونه متبوعاً بالطاء المطبق نتيجة للمماثلة السياقية.

الصورة السادسة: المماثلة الرجعيـة المباشـرة الجزئيـة Partial Immediate Progressive، ومن أمثلتها في العربية، تفخيم فتحة الفاء في مثل (فقر) لكونهـا متبوعة بالقاف المفخم، نحو قوله تعالى :((الشيطان يعدكم الفقر))([5]).

الصورة السابعة: المماثلة الرجعية غيـر المباشـرة الكليـة Complete non immediate Progressive، ومن أمثلتها في العربية نطق السين غير المطبـق صاداً في (بساط) لتأثره بالطاء، مع وجود فاصل بينهما هو الألف . إذ صـارت السين غير المطبقة صاداً لكونها متبوعة بالطاء المطبق.

---

[1] - البقرة:217.
[2] - النساء :16.
[3] - الروم:41.
[4] - سورة البقرة:247.
[5] - سورة البقرة، الآية:286

الصورة الثامنة: المماثلـة الرجعيـة غيـر المباشـرة الجزئيـة Partial non immediate Regressive، ومن أمثلتها في العربية تفخيم الخاء فـي (خطـر) لكونه متبوعاً بالطاء المفخم بالإطباق، مع وجود فاصل بينهما هـو الفتحـة , إذ أصبح الصوت غير المفخم مفخماً، لكونه متبوعاً بصوت مفخم بالإطباق.

المبحث الرابع

مصطلحات السياق الصوتي

تتعدد صور التأثر السياقي بين الأصوات في اللغـة العربيـة، وهنـاك مصطلح يستخدم للتعبير عن مجموع تلك الصور، وهو مـصطلح الإدغـام، وإن كان بعض العلماء لا يستخدمه إلا في الحالات التي يفني فيها الصوت في الصوت المجاور له، ولا يبقى له أثر، ويستخدم مصطلحات أخرى للتعبير عن صور التأثر الأخرى التي لا تبلغ درجة الفناء التام، مثل مصطلح (الإخفاء) أو (التقريب).

وقد تناثرت مصطلحات هذه الظاهرة السياقية على نحو مفصل بين عدة أنواع من ظواهر تأثر الأصوات بما يجاورها في الكلام المتصل، أي في السياق. وقد قامت الدراسة بتجميع هذه المصطلحات؛ وترتيبها على النحو الآتي:

المصطلح الأول: المقبل والمدبر والمتبادل:

قال عبد الوهاب القرطبي:" ثم الإدغام في المتقاربين تارة يكون بقلب الأول إلى الثاني، وهو الأكثر والأشيع، كقولك: النعيم والسلام، وهو الأصـل. وتـارة يكون بقلب الثاني إلى الأول، نحو: (مذّكر)، في لغة من أبدل تاء (افتعـل) (ذالاً) معجمة وأدغمها في الذال الأصلية. وتارة يكون بأن يبدل بحرف مناسب لهما ثـم يدغم، وذلك نحو: (مدكر) بدال غير معجمة. ومنه ما يقلـب الأول مـن جـنس الثاني، ويترك من الحرف الأول شائبة ما، وذلك مثل: (أَحطتُ) في قوله تعالى: ((أحطت بما لم تُحِطْ بِهِ وجِئْتُكَ مِن سبإٍ بِنَبإٍ يقينٍ))([1])، في إبقاء شائبة من إطباق مع التاء عند الإدغام، من مثل: قوله تعالى: ((من يهد ا فهو المهتد))([2]) ومثـل قوله تعالى: ((ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون))([3]) في إبقاء الغنة مع إدغـام النون في الياء والواو([4]).

---

[1] - سورة النحل، الآية

[2] ـ الاعراف: 178

[3] - سورة الجاثية ، الآية:1.

[4] - عبد الوهاب القرطبي، الموضح، ص:169، انظر: الفراء، معاني القرآن، ص:215/1-216.وابن يعيش،شرح المفصل:1./132.ولم يستخدم عبد الوهاب القرطبي لهذه الأنواع أسماء خاصة بها.

وقد استخدم بعض دارسي الأصوات العربية المحـدثين مـصطلحات خاصـة لأنواع السياق الصوتي، فنجد المستشرق الألمـاني برجـستراسر قـد اسـتخدم المصطلحات الثلاثة (مقبل، مدبر، متبادل) وهو يريد "بالمقبل" أن يؤثر الحـرف الأول في الحرف الثاني مثل: (مدكر) فإن الأصل: (مذتكر) فقلبت تاء الافتعـال إلى جنس الحرف السابق له، وهو الذال وأدغم فيه. ويريـد "بالمـدبر" أن يـؤثر الحرف الثاني في الحرف الأول، نحو:" عبدتُ"، حيث تصير الكلمة فـي النطـق (عبتُ) فقلب الحرف الأول وهو الدال إلى جنس الحرف الثاني وهو التاء وأدغـم فيه. وأما "المتبادل" فهو أن يقلب الحرفان الأول والثاني إلى حرف ثالث مخـالف لهما، وذلك مثل:(مدكر) بالدال، حيث قلبت الذال والتاء في (مذتكر) كلاهما إلى صوت الدال، فالتقى دالان الأول ساكن والثـاني متحـرك، فـأدغم الأول فـي الثاني([1]).

واستخدم بعض المحدثين من دارسي الأصوات العربية مـصطلح التـأثر الرجعي والتأثر التقدمي في مقابل: المدبر والمقبـل، ولـم يـضعوا مـصطلحاً للمتبادل([2]).

وهناك اتجاه لدى المحدثين نحو استخدام كلمة (المماثلة) للتعبير عن ميـل الأصوات إلى التماثل في سياق الكلام المتصل، وهذه الكلمة أقرب إلى أن تكـون مرادفة لكلمة الإدغام، وهو نوعان: مماثلة تقدمية ومماثلة رجعية.

المصطلح الثاني: الإدغام التام والإدغام الناقص:

قد لا يصل التأثر بين الأصوات إلى حد أن يفنى الـصوت فـي الـصوت الآخر، بل يبقى للصوت الأول أثر، ومن ثم قسم العلماء الإدغام إلى ناقص وهو ما يبقى معه للصوت المدغم بقية. والإدغام التام وهو: ما يتحول فيـه الـصوت المدغم إلى جنس الصوت المدغم فيه([3]). لأن الحرف الأول إن اُدرج في الثـاني ذاتاً وصفةً، بأن كانا مثلين أو متقاربين، لكن انقلب ذات الأول إلى ذات الثـاني،

[1] - برجستراسر، التطور النحوي،ص:18-19

[2] - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:181

[3] - مكي، الرعاية، ص:231. وانظر: النابلسي، كفاية المستفيد، ص: 17 – 18.

وصفته إلى صفته، فالإدغام حينئذ تام، مثل إدغام (مد) وإدغام الذال فـي الظـاء نحو قوله تعالى: ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ...))([1]).

وإن أدرج الحرف الأول في الثاني ذاتاً لا صفة، بأن كانا متقاربين، فانقلب ذات الحرف الأول إلى ذات الحرف الثاني، ولم تنقلب صفته، بل بقيت في التلفظ، فالإدغام حينئذ ناقص، والصفة باقية من الحرف الأول، إما غنة وهي في إدغـام النون الساكنة والتنوين في الياء والواو، نحو قوله تعالى: ((فما له مـن وال))([2]) وقوله تعالى:((فما كان له من فئة ينصرونه ...))([3]) وقوله: ((رعد وبـرق))([4]) وقوله: ((من يقول))([5]).

وإما إطباق وهو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية نحو قولـه تعالى: ((أحطتُ بما لم تحط به))(6).

وإما استعلاء وهو في إدغام القاف في الكاف مثل قوله تعالى: ((ألم نخلقكم من ماء مهين))([7]).

وهذا تقسيم صحيح لهذه الظاهرة السياقية (ظاهرة الإدغام)، وقد عبر عنـه بعض المحدثين باستخدام مصطلح (التشابه الكلي) إذا تطـابق الحرفـان تمامـاً، والتشابه الجزئي إذا لم يتطابق الحرفان تماماً([8]).

واستخدم بعضهم المماثلة الكلية والمماثلة الجزئية([9])(التكرار) وهذه الكلمة أقرب لأن تكون مرادفة لكلمة الإدغام. و لا يعدو هذا الاخـتلاف فـي اسـتخدام

---

[1] - سورة النساء، الآية:64

[2] - سورة الرعد، الآية:11((وإِذَا أَراد اللهُ بِقَومٍ سُوءا فَلَا مرد لَهُ وما لَهُم مِن دُونِهِ مِن والٍ (11)

[3] - سورة الكهف، الآية:43((فَخَسفْنَا بِهِ وبِدارِهِ الْأرض فَما كَان لَهُ مِن فِئَةٍ ينْصُرُونَهُ مِن دُون اللهِ وما كَان مِن الْمُنْتَصِرِين (81)

[4] - سورة البقرة، الآية:19((أَو كَصيبٍ مِن السماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ ورعد وبرقٌ يجعلُون أَصابِعهُم فِي آَذَانِهم مِن الصواعِقِ حذَر الْموتِ واللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِين)9 (19)

[5] - سورة البقرة ، الآبة:8 (ومِن الناسِ من يقُولُ آَمنا بِاللهِ وبِالْيومِ الْآخِرِ وما هُم بِمُؤْمِنِين (8)

[6] - سورة النمل، الآية:22((فَمكَثَ غَير بعِيدٍ فَقَالَ أَحطتُ بِما لَم تُحِطْ بِهِ وجِئْتُك مِن سبإٍ بِنَبإٍ يقِينٍ (22)

[7] - سورة المرسلات، الآية:2.

[8] - برجستراسر، التطور النحوي،ص:18

[9] - د. أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي، ص:325

المصطلحات أن يكون لفظياً، إلا أن مصطلح المماثلة الجزئية ينطبق على الإدغام الناقص، وينطبق على صور أخرى يكون التأثير فيها على نحو أقل.

المصطلح الثالث: المتماثلان والمتقاربان والمتجانسان :

قسم العلماء مصطلحات السياق الصوتي بـالنظر إلـى مقـدار التـشابه بين([1])الأصوات التي يحصل فيها الإدغام، وانتهى بهم إلى الأقسام الآتية وهـي: المتماثلان والمتجانسان والمتقاربان. يقول أبوبكر بـن الجـزري([2]) : "اعلـم أن الحرفين إذا التقيا، إما أن يكونا مثلين أو جنسين أو متقاربين ، فالمثلان ما اتفقـا مخرجاً وصفةً، كالباء والباء، والتاء والتاء، والجيم والجيم، واللام والـلام، نحـو قوله تعالى: ((اذهب بكتابي))([3])، وقوله تعالى: ((فَما ربِحتْ تجارتهم))([4])، وقوله تعالى: ((هل لكم))([5]).

والمتجانسان ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفةً، كالدال والطاء، والثاء والـذال، واللام والراء، نحو وقوله تعالى: ((ولَو شِئْنَا لَرفَعنَاهُ بِها ولَكِنهُ أَخْلَد إِلَى الْـأَرضِ واتبع هواهُ فَمثَلُهُ كَمثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحمِلْ علَيهِ يلْهثْ أَو تَتْرُكْهُ يلْهثْ ذَلِك مثَلُ الْقَـومِ الَّذِين كَذَّبوا بِآياتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصص لَعلَّهُم يتَفَكَّرُون))...)،موضع الـشاهد قولـه "يلهث ذلك"([6]) و وقوله تعالى: ((يا قَومنَا أَجِيبُوا داعِي اللهِ وآمِنُوا بِهِ يغْفِر لَكُـم مِن ذُنُوبِكُم))([7]).وموضعه"يغفر لكم"

---

[1] - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي،ص:325

[2] - انظر :عبد الدائم الأزهري .الطرازات المعلمة ،ص:34والنابلسي.كفاية المستفيد ،ص:15.والمر عشي .جهد المقل،ص:24

[3] - سورة النمل، الآية:28((اذْهب بِكِتَابِي هذَا فَأَلْقِه إِلَيهِم ثُم تَولَّ عنْهُم فَانْظُر ماذَا يرجِعُون)) (28)

[4] - سورة البقرة، الآية:16((أُولَئِك الَّذِين اشْتَروُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدى فَما ربِحتْ تِجارتُهُم وما كَانُوا مُهتَدِين (16)

[5] - سورة الروم، الآية:28((ضرب لَكُم مثَلًا مِن أَنْفُسِكُم هلْ لَكُم مِن ما ملَكَتْ أَيمانُكُم مِن شُركَاء فِي ما رزقْنَاكُم فَأَنْتُم فِيهِ سواء تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أَنْفُسكُم كَذَلِك نُفَصلُ الْآياتِ لِقَومٍ يعقِلُون)) (28)

[6] - سورة الأعراف، الآية:176

[7] - سورة الأحقاف، الآية:31

والمتقاربان ما تقاربا في المخرج والصفة، كالدال والسين، والثاء والتـاء، والضاد والشين، نحو قوله تعالى: ((قد سمع ا قول التي تجادلك في زوجهـا)) وموضعه" قد سمع"[1] و قوله تعالى: ((كَذبتْ ثَمُودُ الْمُرسلِين))[2].

ويستخدم بعض المتأخرين من علماء الاصوات مصطلح (المتماثلين) بـدل المثلين[3].

ويجد الدارس أن أصول هذا الاتجاه قديمة ترجع إلى كتابات علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمين، فهذا سيبويه[4] يستخدم مصطلح المثلين والمتقـاربين، وكذلك استخدمهما مكي[5] والداني[6].

وتقسيم الأصوات العربية إلى متماثلة ومتجانسة ومتقاربة، وتقسيم الإدغام على وفق ذلك، أمر يدل على إدراكٍ لخصائص الأصوات، فهي فعلاً إذا التقت في سياق، إما أن تكون متفقة في المخرج والصفات، فهي حينئذ متماثلـة، وإمـا أن تكون متفقة في المخرج مختلفة في الصفات، فهي حينئذ متجانسة، وإما أن تتقارب في المخرج والصفات ولكن دون أن تكون متفقة، فهي حينئذ متقاربة. وهي بعـد ذلك قد تتباعد في كل شيء فتوصف بأنها متباعدة؛ ولا شك في أن الإدغام يتوقف على مقدار القرب والبعد بين الأصوات، فكلما تدانت حسن الإدغام وهكذا[7].

---

[1] - سورة المجادلة الآية:1

[2] - سورة الشعراء الآية:141

[3] - الطبلاوي، مرشد المشتغلين، ص:2

[4] - الكتاب، 473/4

[5] - الكشف، 135/1

[6] - الإدغام الكبير، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د.عبد الرحمن حسن العارف،عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 1424هـ /2..3م ،ص:95.

[7] - وهناك من الإدغام ما هو متفق عليه بين القراء؛ قال الشاطبي:

ولا خلاف في الإدغام إذ ذل ظالم وقد تيمت دعد وسيما تبتلا

ومنه ما هو مختلف عليه ، فأبو عمرو بن العلاء مثلا يدغم في نحو (قد سمع) وعاصم يظهر مقلقلا الدال.

المصطلح الرابع: الإدغام الكبير والإدغام الصغير:

الإدغام هو وصلك حرفاً ساكناً بحرف آخر متحرك، من غير أن تفـصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع العـضو عنهمـا ارتفاعة واحدة([1]). فلا بد أن يكون الحرف الأول ساكناً، لأنه إذا كـان متحركـاً فصلت الحركة بين الحرفين وحالت دون حصول التأثر بينهما، وهذا هو المتبادر إلى الذهن عند ذكر كلمة الإدغام، ويوصف أحياناً بالإدغام الصغير([2]).

وكان مذهب أبي عمرو بن العلاء خاصة أنه إذا التقى الحرفان وهما مـن كلمتين وكانا متحركين أسكن الأول وأدغمه في الثـاني، سـواء كانـا مثلـين أم متقاربين. وهو في المثلين لا يحتاج إلى أكثر من إسكان الأول، أما في المتقاربين فلا بد من قلب الأول إلى جنس الثاني، قال الـداني: "وحقيقـة إدغـام الحـرف المتحرك في مثله أن يسكن ثم يدغم، وحقيقة إدغام المتقارب أن ينقلب إلى لفـظ الثاني ثم يدغم([3])، فالمثلان، نحو قوله تعالى: ((شَهرُ رمـضان))([4])، و قولـه تعالى:((لَذَهب بِسمعِهِم))([5]) والمتقاربـان، نحـو قولـه تعـالى: ((فَـالزاجِراتِ زجرا))([6])، ونحو قوله تعالى: ((الصالِحاتِ سنُدخِلُهُم))([7]). ويسمى هذا في مذهب أبي عمرو بن العلاء باسم الإدغام الكبير. واختلف في سبب تسميته كبيراً؛ فقـال ابن الباذش: " سموه كبيراً لأنه أكثر من الصغير، ولما فيه من تصيير المتحـرك ساكناً، وليس ذلك في الإدغام الصغير، ولما فيه من الصعوبة([8]).

---

[1] - انظر الزجاجي. الجمل، ص:378، والداني، الإدغام الكبير،ص:5. وابن عصفور، الممتع في التصريف،631/2. وابن الباذش، الإقناع،164/1. وعلم الدين السخاوي. جمال القراء، ص:175.

[2] - ابن الباذش، الإقناع,195/1 – 231. وابن الجزري، النشر، 275/1. والنابلسي، كفاية المستفيد،ص:15

[3] - الإدغام الكبير، ص:95

[4] - سورة البقرة الآية:185((شَهرُ رمضان الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدى لِلناسِ وبينَاتٍ مِن الْهُدى والْفُرقَانِ))

[5] - سورة البقرة الآية:2.((يكَادُ الْبرقُ يخْطَفُ أَبصارهُم كُلما أَضاء لَهُم مشَوا فِيهِ وإِذَا أَظْلَم علَيهِم قَاموا ولَو شَاء اللهُ لَذَهب بِسمعِهِم وأَبصارِهِم إِن الله علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير)) (2.)

[6] - سورة الصافات الآية:2

[7] - سورة النساء الآية:57((والَّذِين آَمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ سنُدخِلُهُم جناتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الْأَنْهارُ خَالِدِين فِيها أَبدا لَهُم فِيها أَزواج مطَهرةٌ ونُدخِلُهُم ظِلا ظَلِيلًا)) (57)

[8] - انظر الإقناع،195/1. وانظر وابن الجزري، النشر,2/ 274

وقال أحمد بن أبي عمر: "إنما سمي المتحرك كبيراً، والساكن صغيراً، لأن المتحرك حي لحركته، والساكن كالميت لسكونه، فللزيادة التي في المتحرك، وهي الحركة، سمي كبيراً، وللنقصان الذي في الساكن وهو عدم الحركة سمي صغيراً([1]).

وكان ابن جني قد استخدم مصطلح الإدغام الأصغر ويريد به " تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه؛ وقد مثل له بتقريب السين من الصاد في نحو "سقتُ"، وبتقريب الصاد من الزاي؛ في نحو "مصدر". كما استخدم ابن جني مصطلح الإدغام الأكبر، وهو يريد به ما سماه علماء التجويد بالإدغام الصغير الذي يقلب فيه الحرف الأول إلى مثل الحرف الذي يليه ويدغم فيه".([2]).

وهذا لاستخدام لهذه المصطلحات خاص بابن جني، ولم نجد له صدى عن علماء العربية ولا علماء التجويد.

المصطلح الخامس: الأقوى والأضعف:

يقسم العلماء الاصوات إلى قوية وضعيفة، بحسب ما فيها من صفات القوة والضعف. وقد طبق علماء التجويد فكرة القوة والضعف في الحروف على ظاهرة الإدغام، فقالوا: إن الإدغام إنما يحسن في المواضع التي ينقل فيها الأضعف إلى الأقوى. "فالقوى من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبه إلى نفسه إذا كان من مخرجه ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة"([3]). ومما قاله مكي في هذا السياق كذلك:" وإنما ينقل أبداً الأضعف إلى الأقوى، إذا تقاربت المخارج، ليقوى الكلام، فهذا هو الأكثر في الأصل"([4]).

وهناك نص تضمن عرضاً مفصلاً لموضوع الإدغام السياقي من قوة الحروف وضعفها مقروناً بالأمثلة، ورد في كتاب (الكشف)، أجد من تمام الموضوع إيراده بنصه، لا سيما أن أحداً من علماء التجويد لم يتطرق إليه بهذا الشكل من الشمول.

---

[1] - الإيضاح، ص:11.

[2] -الخصائص:2/139-145.

[3] -مكي. الرعاية:ص:18..

[4] -المصدر نفسه

قال مكي: "واعلم أن الإدغام إنما يحسن في غير المثلين، ويقوى إذا سكن الأول وهو على ضربين:-

أحدهما: إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني، فيصير بالإدغام إلى زيادة قوة، لانك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني، فإذا فعلت ذلك نقل لفظ الضعيف إلى لفظ القوة، فذلك حسن جيد.

والضرب الثاني: أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين، فيحسن الإدغام، إذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الإدغام.

وضرب ثالث من إدغام المتقاربين ضعيف قليل، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني، فيصير بالإدغام أضعف من حاله قبل الإدغام. فالذي يزداد قوة مع الإدغام هو كإدغام التاء في الطاء، نحو قوله تعالى: ((قَالَتْ طَائِفَةٌ))([1])؛ لأن التاء حرف ضعيف للهمس الذي فيه، والطاء حرف قوي للإطباق والجهر والاستعلاء والشدة اللواتي فيها، فهو أقوى من التاء كثيراً فإذا أدغمت التاء نقلتها من ضعف إلى قوة مكررة، فهذا لا تكاد العرب تظهره، كذلك أجمع القراء على الإدغام في هذا. فإن نقصت قوة الحرف الثاني، وهو مع نقص قوته أقوى من الأول حسن الإدغام والإظهار نحو قوله تعالى: ((لَهُدمتْ صوامِعُ))([2])، وقوله تعالى: ((حملَتْ ظُهُورُهُما))([3])؛ لأن الصاد نقصت عن قوة الطاء، لعدم الشدة وكون الرخاوة فيها. والذي تتساوى قوة الحرفين فيه إدغام "الذال" في "التاء" نحو قوله تعالى: ((أَخَذْتُم))([4])، و قوله تعالى:((إني عُذْتُ بربكم))([5])؛ وذلك لأن "الذال" فيها ضعف وقوة، فالضعف من جهة أنها رخوة؛ والقوة من جهة أنها مجهورة.

---

[1] - سورة الاحزاب:13.((وإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم يا أَهلَ يثْرب لَا مُقَام لَكُم فَارجِعُوا ويستَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النبِي يقُولُون إِن بُيوتَنَا عورةٌ وما هِي بِعورةٍ إِن يرِيدُون إِلَّا فِرارا))(13)

[2] - سورة الحج الآية:4.((الَذِين أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِم بِغَيرِ حق إِلَّا أَن يقُولُوا ربنَا اللَّهُ ولَولَا دفْعُ اللَهِ الناس بعضَهُم بِبعضٍ لَهُدمتْ صوامِعُ وبِيع وصلَواتٌ ومساجِدُ يذْكَرُ فِيها اسمُ اللَهِ كَثِيرا ولَينْصُرن اللَهُ من ينْصُرُهُ إِن اللَه لَقَوِي عزِيز)) (4.

[3] - سورة الأنعام الآية:146((وعلَى الَذِين هادُوا حرمنَا كُلَ ذِي ظُفُرٍ ومِن الْبقَرِ والْغَنَمِ حرمنَا علَيهِم شُحُومهُما إِلَّا ما حملَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحوايا أَو ما اخْتَلَطَ بِعظْمٍ ذَلِك جزينَاهُم بِبغْيِهِم وإِنا لَصادِقُون)) (146)

[4] - سورةالانفال:68 ((لَولَا كِتَاب مِن اللَهِ سبقَ لَمسكُم فِيما أَخَذْتُم عذَاب عظِيم (68)

[5] - سورة غافر الآية:27((وقَالَ مُوسى إِني عُذْتُ بِربي وربكُم مِن كُلِ مُتَكَبرٍ لَا يؤْمِنُ بِيومِ الْحِسابِ)) (27)

كذلك"التاء" فيها ضعف وقوة فالضعف من جهة أنها مهموسة، والقوة من جهة أنها شديدة، فقد تقاربتا في القوة، والضعف من صفاتها، فجواز الإدغام حسن، والأول حسن في الإدغام ، لأنك تزيد الحرف الأول قوة الإدغام.

والذي يقبح الإدغام فيه لقوة الأول وضعف الثاني نحو إدغام الراء في اللام مثل قوله تعالى:((يغْفِر لَكُم))([1]). وهو قبيح لقوة الراء بالجهر والتكريراللذين فيه، وضعف اللام لعدم التكرير فيه، وضعف الجهر فيه، فإذا أدغمت نقلت الأقوى إلى الأضعف؛ وذلك مكروه ضعيف، فقس عليه هذا فإنه الأصل الذي يعتمد عليه"([2]).

والسبب في هذا كله هو تأثير الحرف الأول في الثاني أو العكس في سياق الكلام، أي عند تركيبه.

---

[1] - الاحقاف:((يا قَومنَا أَجِيبُوا داعِي اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يغْفِر لكُم مِن ذُنُوبِكُم ويُجِرِكُم مِن عذَابٍ أَلِيمٍ)) (31)

[2] -الكشف :135/1-136 . وانظر: الداني. الإدغام الكبير،ص:96.

المبحث الرابع

قيمة السياق الصوتي وفائدته

الأسس التي تتحكم في تحقيق الظواهر السياقية تنشأ علي ثقـل العمليـة النطقية وعلي مراعاة أمن اللبس وعلي الاعتبارات الذوقية في صـياغة الـسياق العربي. فإذا أردنا أن نعبر عن جميع ذلك بعبارة شاملة قلنا إن الأسـاس الـذي يتحكم في تحقيق الظواهر الصوتية إنما هو: كراهية التقـاء صـوتين أو مبنيـين يتنافى التقاؤهما مع أمن اللبس أو مع الذوق الصياغي للفصحى ، فتحدث ظـاهرة التغير السياقي لعلاج موقف التقى فيه هذان الأمران فعلاً، وذلك نتيجة لما قـضى به أحد أنظمة اللغة للمباني خارج السياق.

فإذا كانت العربية تكره توالي الأضداد وتكره كذلك توالي الأمثال، فما الذي يرتضيه ذوقها إذاً؟! من الواضح أن النظام اللغوي والاستعمال الـسياقي جميعـاً يحرصان في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخـالفين، أو بعبـارة أخـرى يكرهان التنافر والتماثل، فأما كراهية التنافر فلأنه ينافي الـذوق العربـي، وأمـا كراهية التماثل فلأنه يؤدي إلى اللبس([1]).

ولا ريب أن عملية الاقتصاد في الجهد العضلي هدف مقصود كذلك للناطقين باللغة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجاً وصفةً، سـهل نطقهـا وتحققت بها السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغيير شيئاً منهـا، أمـا إذا كانـت متنافرة في ذلك، فإن جهاز النطق يتعثر في التفوه بها، وهنا يلزم نوع من التغيير في بعض تلك الأصوات ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور. فإذا أخذنا صـيغة "افتعل" مما فاؤه دال أو ذال أو زاي، حدثت صعوبة على اللـسان عنـد النطـق للاختلاف الشديد بين هذه الأصوات وتاء الافتعال في الجهـر والهمـس والـشدة والرخاوة، مما يجعل النطق بهما متجاورين عسيراً.

وتظهر قيمة السياق الصوتى كذلك عند بناء صيغة "افتعل": فإذا بنينا "افتعل" من: "دان ، ذكر، زاد" ونحوها قلنا :ادتان – اذتكر- ازتاد([2])؛ فالتـاء مهموسـة فـلا

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص:264 - 265

[2] - سيبويه ،الكتاب، 421/2

تتناسب مع الدال المجهورة قبلها، والذال والزاي مع جهرهمـا يمـثلان أقـصى مراحل الرخاوة، والتاء شديدة، فالبون بينهما كبير([1]). وللاقتـصاد فـي الجهـد العضلي تحول الافتعال إلى الدال – وهي النظير المجهور للتـاء حتـى يتحقـق الانسجام الصوتي، فتصبح :" إدان –اذدكر – ازداد.

ونلجأ أحياناً إلى زيادة التماثل في "إذدكر" بإبدال الذال دالا وإدغامهما فـي الدال التي بعدها ،ونقول :"ادكر"وعليه قوله تعالى : ((ولَقَد يسرنَا القُـرآن ِللـ ذكْر فَهلْ مِن مُدكِرٍ))(2).

وكما إن المماثلة هي تقريب الصوت، فالمخالفة هي تحويل أحد المتماثلين إلي صوت آخر منعاً للثقل وتحقيقاً للانسجام. فإذا أخذنا صيغة "افتعل" مما فـاؤه أحد أصوات الأطباق "ص ،ض، ط، ظ" مثل: "صنع، ضرع ،طلع، ظهـر"، أدى ذلك إلى تجاور تاء الافتعال المستفلة مع هذه الأصوات المستعلية المطبقة فيصعب على اللسان أن ينطق :" اصتنع – اضترع _ اطتلع- اظتهر"، فالانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستفل، كالانحدار من مرتفع وذلك يؤدي إلى تعثر اللسان فـي النطق. والانسجام الصوتي يقتضي تحويل تاء الافتعال إلى صوت من مخرج التاء له صفة الإطباق التي تقربه من الصوت السابق عليه حتى يأتلف معه ومن هنـا أبدلت طاء، فقيل: اصطنع، اضطرع، اطلع ،اظطهر([3]). وبذلك أصـبح النطـق ميسوراً.

وإذا كان السابق "ضاداً" حدث وجهان: أحدهما قلب الطاء ضاداً وإدغامها فيها، وهذا هو الأقوى، لأنه القياس لينبو اللسان بهما دفعة واحدة([4])، منذ بدأ اللفظ فنقول :"اضغن". والثاني: وهو قلب الضاد طاء وإدغامها، فنقول: " اطغن، وقـد

---

[1] - أنيس ، الأصوات اللغوية، ص :131

[2] - سورة القمر، الآية :17

[3] - سيبويه ،الكتاب ،421/2 والأزهري ، التصريح :391/2

[4] - ابن جني،الخصائص:221/2-229

وردت على ذلك قراءة[1] :((ثم أطره))[2]، وأصلها :"اضطره"وهذا جـائز عنـد بعض العلماء.

كما نجد أن علماء التجويد لم يقفوا عند حد الإشارة إلى الأحكام الصوتية الناشـئة عن السياق وإنما حاولوا تفسير تلك الأحكام تفسيراً عاماً يمكن أن نرجع إليه جميع الظواهر الصوتية الناشئة عن السياق، وتكاد تفسيرات علماء التجويـد للظـواهر الصوتية السياقية تنحصر في إرادة الناطق السهولة والاقتصاد في الجهد بالعـدول عن الأثقل إلى الأخف.

أولاً: قيمته عند علماء اللغة:

كان بعض علماء العربية قد أشاروا إلى ذلك أثناء حديثهم عن ظاهرة الإدغام خاصة، التي هي أكثر الظواهر السياقية دوراناً في كلام العرب. فقال سيبويه وهو يتحدث عن قلب الواو ياء في مثل: الميزان والميعاد: "فكان العمل من وجه واحد أخف عليهم كما أن رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم في الإدغـام نحـو قولهم :"إزدان– اصطبر"[3], وقال الفراء وهو يتحدث عن إدغام لام هـل وبـل: "وكذلك فافعل بجميع الإدغام فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم، وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر ولا تدغم"[4].

ثانيا: قيمته عند علماء التجويد:

كان حديث علماء التجويد في ذلك أكثر تفصيلاً ووضـوحاً، فقـال مكـي: " القوي من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبه إلى نفسه، إذا كـان مـن مخرجه، ليعمل اللسان عملاً واحداً في القوة من جهة واحدة"[5]. وقال: "وأعلم أن أصل الإدغام إنما هو في الحرفين المثلين؛ وعلة ذلك إرادة التخفيف، لأن اللـسان

---

[1] - ابن جني ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،تحقيق علي النجدي ناصف ،والدكتور عبد الكريم النجار ،المجلس الأعلى للشئون الإنسانية ،ج1،ص:1.6.

[2] ـالبقرة:126 ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)

[3] - سيبويه ،الكتاب :334/4، 365/4.وأنظر :ابن الحاجب ،الإيضاح في شرح المفصل :476/2

[4] - الفراء ، معاني القرآن، 354/2

[5] - مكي ،الرعاية ، ص :18.،19. ،193

إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه، ليلفظ بحـرف آخر مثله صعب ذلك، وشبهه النحويون بمشي المقيد لأنه يرفع رجلاً ثم يعيـدها إلى موضعها أو قريب منه، وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين، وذلك ثقيل على السامع([1]).

وقال مكي أيضاً بعد أن ذكر مذهب ورش في تفخيم اللام: " فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً، وهذا هو معظم مذاهب العرب في مثـل هـذا، يقربـون الحرف من الحرف، ليعمل اللسان عملاً واحداً، وعلى هذا أتت اللامات في عللها، وعلى هذا أبدلوا من السين صاداً إذا أتي بعدها "طـاء" أو " قـاف" أو "غـين" أو "خاء"، ليعمل اللسان في الإطباق عملاً واحداً، فذلك أخف عليهم مـن أن يتـسفل اللسان بالحرف، ثم يتصعد إلى ما بعده([2]).

ثالثاً: قيمته عند المحدثين:

يقرر دارسو الأصوات المحدثون أن نظرية السهولة هي أكبر العوامل التي تؤدي إلى تطور اللغات([3])،وبذلك يكون علماء التجويد على حـق حـين فـسروا الظواهر الصوتية الناشئة عن السياق بميل اللافظ إلى الأسهل والأخف في النطق، لأن هذه الظواهر هي في الواقع ضرب من ضروب التطور الصوتي.

---

[1] - الكشف: 219/1 . الإدغام الكبير، ص:5. وانظر كتاب السبعة، ابن مجاهد، ص:25

[2] - الكشف ، 219/1

[3] - انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص:319 – 321, وانظر أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي، ص:338 -339

المبحث الخامس

توظيف السياق الصوتي

أولاً- توظيفه في درس ظاهرة التأليف:

السياق الصوتي هو سبك الأصوات بعضها إلى بعض في تأليف دقيـق، فتجري في سلاسة وعزوبة كالجداول، لا تعثر ولا كلفة ولا حوش في اللفـظ ولا زيادة، ولا فضول([1]).

وقد لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية، أنـه إذا أريد لها أن تكون فصيحة مقبولة، يجب أن تسير في سياق صوتي معين، وقد اهتم العلماء بمباحث السياق كاهتمامهم بمباحث اللفظ. ومن خـلال تتـبعهم للـسياق الصوتي وإفادتهم منه، وجدناهم ينظرون إليه من خلال مستويين همـا: مـستوى المفردة؛ ومستوى التركيب.

أما على مستوى المفردة، فقد وقفوا من كيفية الصوغ العربـي للمفـردات موقف ثنائياً، بحيث قسموها إلى قسمين: قسم متناسب النـسج؛ وآخـر متنـافر. ووصفوا الأول بأنه فصيح، ووصفوا الثاني بأنه غير فصيح([2])، وكان مـستندهم في طرح هذين القسمين القوانين الصوتية النابعة من المعايير النظرية أو مقـاييس السياق الصوتي النابعة من الذائقة العربية للتلقي الصوتي. إذ صاغوا من خـلال مخارج الحروف نظرية مفادها أن الأصوات المتباعدة المخارج أو متقاربتهـا إذا شكلت بنية الصياغة اللفظية للكلمة العربية، فإنها تكون غير فصيحة، ولا بـد أن يكون التباعد أو التقارب المخرجي بين الأصوات المشكلة لنسيج اللفظ متوسطاً من جهة مواضع التصويت حتى تكون الكلمة فصيحة. يقول السيوطي: " قـال ابـن دريد في الجمهرة: اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل علي اللسان منها إذا تباعدت لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حـروف الفـم ودون حروف الذلاقة كلفته جرساً واحداً وحركات مختلفة. ألا ترى أنك لو ألفـت بين الهمزة والهاء، فأمكن لوجدت الهمزة تتحول إلى هاء في بعض اللغات لقربها

---

[1] - انظر: محمد زغلول ، أثر القرآن الكريم على النقد العربي، ص:1.8.

[2] - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص:66

منها نحو قولهم في "أم وا " "هم وا " وقالوا في "أراق" "هراق"، ولوجدت الهـاء في بعض الألسنة تتحول، وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن التأليف". قـال: " واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحـدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم([1]). ويقول ابن سنان في موضع آخـر: "إن الحـروف التي هي أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر, ولا شـك فـي أن الألوان المتباعدة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من المتقاربة، ولهـذا كـان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة؛ لقرب ما بينه وبين الأصفر؛ وبعد مـا بينه وبين الأسود، وإذا كان هذا موجوداً على هذه الصفة لا يحسن النـزاع فيـه، وكانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة في العلة فـي حـسن النقوش إذا مزجت من الألوان من المتباعدة"([2]).

ومثّل العلماء لهذا التصور البنائي أمثلة لعل أشهرها في هذا المقام كلمة "مستشرزات" التي وردت في معلقة امرئ القيس:([3])

غدائره مستشرزات إلى العلا تضل المداري في مثنى مرسل

إذ حكم ابن سنان الخفاجي على هذه اللفظة بعدم الفصاحة، وذلك للتنافر الـصوتي الكامن في نطقها بسبب آلية "البعد والقرب" بين أصـوات بنيتهـا([4])؛ وبإرجـاع أصوات بنية "مستشرزات" إلى مواضع نطقها، يتبين لنا مقدار التنافر بين تركيب أصواتها فالميم شفوي، والسين والتاء أسنانيان لثويان، والشين غـاري، والـزاي أسناني لثوي، والألف هوائي، والتاء أسناني لثوي([5]).

وقد درس علماء الغرب هذه الظاهرة تحـت مـصطلح صـوتي عـرف بـ(Elision) وأريد به إسقاط أحد الصوتين المتقاربين أو المتباعدين مخرجاً من

---

[1] - السيوطي، المزهر،ص:115

[2] -سر الفصاحة: 54.

[3] - انظر الزوزني، شرح المعلقات السبع، مطبعة الدار العلمية، بغداد، ص:35

[4] - ابن سنان ، سر الفصاحة، ص:66

[5]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د.إبراهيم السامرائي، ود. مهدي المخزومي، دار الرشيد للنشر، بغداد ، العراق،58/1. وانظر د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ، القاهرة ، 1976م،ص:97.

بنية الكلمة الثقيلة لتسهيل النطق، وهو مسلك يقرب من المـسلك العربـي بنحـو كبير– إن لم يتماثلا– وقد كان ذلك الإسقاط على مـستويين، مـستوى المفـردة، ومستوى التركيب. فمثلاً صوتي أل(T) و(S) من حيز تصويتي واحد، وهو "اللثة" ومخرجهما لثوي " Alveolar" فهذا التقارب ولّد صعوبة نطقية في بـث البنيـة، فدأب الناطق الإنجليزي على إسقاط أحدهما للتسهيل وتحقيق الإرسال الـصوتي؛ فمثلاً كلمة "Scripts" يصعب على الناطق لفظها بهذا الترتيب، لـذا سـعى إلـى إسقاط أل(T) من النطق للتخفيف على جهازه التصويتي وتقليل الجهد المبذول في ذلك، فنطق الكلمة على النحو الآتي"Scrips" ([1]).

وكما سبق أن قلنا لم يغب هذا السياق عن متون اللغة عند العرب، بـل تصدى له طائفة من العلماء القدماء، ولعل أهم طرح في ذلك ما بثه ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب" إذ تناوله بنوع من التأسيس([2]).

فبينما تبنى بعض العلماء نظرية مخارج الحـروف فـي تعليـل فـصاحة المفردة، سلك طائفة من علماء الأصوات مسلك التعليـل الكمـي فـي الـسياق الصوتي، حيث ربطوا بين كمية الأصوات المشكلة للبنيـة وثقلهـا فـي النطـق والسمع، إذ جعلوا التناسب بينهما تناسباً طردياً، بحيث كلما زاد الكم زاد الثقل في البنية، وكلما قل الكم، قل الثقل فيها([3]).

وعلل التنوخي هذه العلاقة بين "الكم" من جهة "والخفة والثقل" في البنية من جهة أخرى بالجهد المبذول في إصدار البنية واستقبالها بحيث يستغرق إنتاج البنية ذات العدد الكبير من الأصوات وقتاً وجهداً كبيرين لاستكمال دورة تصويتها([4]).

إلا أن ابن الأثير رفض ثنائية الكم والثقل في تعليل الفصيح وغير الفصيح، وأتى برأي آخر يراه الباحث على قدر كبير من الصواب، إذ جعل ابن الأثيـر الذائقـة

---

[1] - التوظيف البلاغي لعلم الأصوات، ص:351

[2] - سر صناعة الإعراب، 5/1، 65، 811/2 ، 816.

[3] - انظر :العلوي. الطراز، 1.7/1 – 1.8 . والتنوخي. الأقصى القريب، مطبعة دار السعادة، القاهرة

[4] - التنوخي. الأقصى القريب،ص:37

السمعية هي الفيصل في تحديد البنية الثقيلة، والبنية الخفيفة، وذلك تبعاً لتقنيتـي: ترتيب سياق البنية ونوعية أصوات تلك البنية، واستدل على قوله هذا بأمرين هما:

أ. وردت أبنية فصيحة وخفيفة على الناطق والمستمع في كتـاب ا العزيـز على الرغم من تشكلها من أصوات كثيرة، كقوله تعالى: ((فَسيكْفِيكَهُمُ اللـهُ))([1])، وقوله تعالى: ((ليستخلفنهم في الأرض))([2]).

ب. إن الألفاظ التي أصدر الحكم عليها بثقل أبنيتها مثل "مستشرزات" لا يعود إلى عدد أصوات أبنيتها بل يعود إلى نوعية أصواتها وترتيبها داخل السياق، فلـو استبدلنا بهذا الصوغ صوغاً مقارباً، لكنه مشكل من أصوات مختلفـة وبترتيـب سياقي مختلف – أيضاً– لانتفى حكم الثقل وحـل محلـه "حكـم الخفـة" كقولنـا "مستنكرات ومستنفرات"([3]).

أما نظرة العلماء إلى موضوع الفصيح وغيـر الفـصيح علـى مـستوى التركيب، فقد قرر بعضهم أن نسج الكلام من مفردات ذوات خفة نطقيـة مـدعاة لإضفاء مسحة من السهولة عليها، أي: أن تشكل اللفظ من أصوات ذوات تفـاوت مكاني معتدل في مواضع نطقها سبب لإنتاج ألفاظ ذوات خفـة، وبالتـالي ينـتج تراكيب سهلة إن تشكلت من ألفاظ خفيفة. أي: هناك تناسب بين سهولة التراكيـب وصعوبتها مع نسبة التفاوت المكاني في إصدار الأصوات المشكلة لها، فإن كـان التفاوت كبيراً، بحيث يولد التنافر في البنية أو السياق، ولدت تلك الألفاظ المتنافرة تركيباً صعباً، وإن كان التفاوت معتدلاً ولّد تركيباً سهلاً([4]). وساق البلاغيون أمثلة تركيبية علي مقولتهم المعيارية هذه، ومنها([5]):

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

---

[1] - سورة البقرة الآية:137

4-النور:55.

[3] - .ابن الاثير.المثل السائر:264/1-266.

[4]- ابن سنان الخفاجي. سر الفصاحة، ص:87

[5]- الجاحظ. البيان والتبيين، 65/1

ولو سبرنا النظر في مفردات هذه البنية الشعرية التي ذكرها البلاغيون شاهداً على الصعوبة التركيبية، وتتبعنا تشكلها على نحو انفرادي بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، لوجدنا أنهن يتشكلان من أبنية ذوات تفاوت مكاني معتدل في مواضع النطق، غير أن هذه الخفة لم تؤثر في التركيب لتجعل منه تركيباً سهلاً.

إذاً تخلص الدراسة إلى أن السياق هو الفيصل في وصف اللفظة بالسهولة أو الصعوبة، بالخفة أو الثقل، وليس المخرج النطقي أو كمية الأصوات المشكلة للبنية. يقول العلوي: "... الاستكراه إنما يعرض من أجل التأليف لما يحصل بسببه من التنافر والثقل، ولأجل هذا كانت العناية في أحكام التركيب والتأليف، لأنه ربما حصل على وجه يفيد ثقلاً وتعثراً في اللسان فيكون قبيحاً، فإذاً العناية كلها في التركيب([1])، أي في السياق.

ثانياً- توظيفه في درس ظاهرة الإدغام:

الإدغام لغة هو إدخال اللجام في أفواه الدواب([2]) واصطلاحاً: " أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الأول كالمستهلك لاعلى حقيقة التداخل"([3])، وهو ضرب من المماثلة وتخفيف للجهد العضلي الذي يبذله المتكلم، لأنه " تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه"([4])" كراهة اجتماع مثلين متحركين"([5]).

فالإدغام ظاهرة موقعية سياقية، ترتبط بمواقع محددة يلتقي في كل منها صوتان، السابق منهما ساكن والتالي متحرك، فإذا تحققت صفات خاصة في الصوتين جميعاً تحققت بذلك ظاهرة الإدغام([6]). ومعناها أنك تنطق بحرفين من

---

[1] - يحي بن حمزة العلوي .الطراز المتضمن " أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" دار الكتب العلمية ،ج1 ،ص :1.7، بيروت .

[2] - لسان العرب: دغم:2.3/12

[3] - شرح المفصل، 121/.1

[4] - الخصائص،41/2

[5] - المنصف، 9/1.

[6] - اللغة العربية معناها ومبناها، 279/5

مخرج واحد دفعة واحدة بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً وهذا يحـدث عنـدما تتعارض مطالب السياق مع النظام اللغوي عند تطبيقه، وإدغام الأصوات بـشتى صورها وسيلة من وسائل تيسير النطق والاقتصاد في الجهد العضلي.

ولقد اهتم القدماء بهذه الظاهرة وجعلها سيبويه مناط دراسـته للأصـوات العربية كلها([1])، ووضع لها عللاً وأصولاً ترجع في النهاية إلى ظاهرة كراهيـة التقاء الأضداد والأمثال، التي تسيطر على الذوق العربي والصوغ السياقي فقـال: "كلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن"([2]).

ويعد ابن جني أفضل من درس هذه الظاهرة السياقية من اللغويين القـدماء وهي عنده: " تقريب صوت من صوت وإدناؤه منه"([3]).

والإدغام عند المحدثين عولج في ضوء مصطلح (Assimilation) الـذي يُترجم إلى المماثلة وهو مصطلح صوتي المقصود به التأثير الذي يحدثه صـوت في نطق صوت آخر حتى يصبح الصوتان أكثر تشابها([4]).

وقد قام العالم السويدي "فشنلر" بأبحاث خرج منها؛ أن النـاطق بحـرفين متواليين إذا تماثلا أو تشابها، فإن آلات النطق لكي تنطق بالحرف الثاني منهمـا تحتاج إلى أن تتحرك الحركة التي تحركتها لكي تنطق بالحرف الأول منهما. فإن الناطق لا يجيء بهذه الحركة إلاّ مرة واحدة. فحين ينطق بكلمـة " وعـدتَ" دون إدغام، يضع لسانه للنطق بالدال ثم لا يزيله عن موضعه لمجرد النطق بها لكـي يعيده إلى الموضع نفسه لينطق بالتاء. بل يظل لسانه في موضعه حتى يتم نطـق التاء التي هي من مخرج الدال([5]).

---

[1] - انظر: الكتاب، 331/4

[2] - انظر: الكتاب،437/4

[3] - الخصائص:139/3

[4] - انظر:عبد الصبور شاهين،أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، مكتبة الخانجي،14.8هـ - 1987م،ص:232.

[5] - أصوات اللغة العربية:237

ويحدث الإدغام عند التقاء المثلين أو المتجانسين أو المتقاربين. فالمثلان هما الصوتان المتحدان في المخرج والصفة كالتاءين، والراءين، والكافين، وغير ذلك نحو قوله تعالى: ((فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا ا))([1])، وقوله تعالي:((مـا سلككم في سقر))([2]) وفيه خلاف بين الإظهار والإدغام ([3])؛ وذلك لما في تـوالي المتماثلين من جهد عضلي يعوق سرعتهما، أما التقاء المتجانسين و المتقاربين فهو مجال خصب لتحقيق هذا التأثر والانسجام الصوتي، ومن ذلك فـي المتجانـسين إدغام القاف في الكاف، في قوله تعالي :((أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِن ماءٍ مهينٍ))([4])،هذا فـي كلمة واحدة، أما في كلمتين فنحو قوله تعالى: ((قالت طائفة))(5)، ونحـو قولـه تعالى: ((إِذْ ظَلَمتُم))([6])،ونحو قوله تعالى: ((بلْ ران))([7]).

ومنه في المتقاربين إدغام النون في الميم في: (امحى) و (اماز) . والتاء في الثاء نحو: ((اثاقَلْتُم إِلَى الْأَرضِ))([8])، وفي كلمتين مثل إدغام الدال في الـذال، أو الدال في الزاي أو الدال في الظاء كقوله تعالي :((ولَقَد ذَرأْنَا لِجهنم كَثِيـرا مِـن الْجِن والْإِنْسِ))([9])، ((ولَقَد زينا السماء))([10])، ((قَالَ لَقَد ظَلَمك بِسُؤَالِ نَعجتِك))([1])

---

[1] - سورة البقرة، الآية:2..

[5] - سورة المدثر، الآية:42

[33] - البنا. إتحاف فضلاء البشر ، ص: 22. وأنظر محمد علي الضباع .شرح الشاطبيه ،ص: 35

[4] - سورة المرسلات ، الأية: 2.

[5]- سورةالاحزاب:13 ((وإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم يا أَهلَ يثْرِب لَا مُقَام لَكُم فَارجِعُوا ويستأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النبِي يقُولُون إِن بُيُوتَنَا عورةٌ وما هِي بِعورةٍ إِن يُرِيدُون إِلَّا فِرارا))(13)

[6] - سورة الزخرف ، الاية :39((ولَن ينْفَعكُمُ الْيوم إِذْ ظَلَمتُم أَنَّكُم فِي الْعذَابِ مُشْتَرِكُون))(39)

[7] - سورة المطففين، الاية :14((كَلَّا بلْ ران علَى قُلُوبِهِم ما كَانُوا يكْسِبُون))(14)

[8] - سورة التوبة الآية : 38((يا أَيها الَّذِين آمنُوا ما لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إِلَى الْأَرضِ أَرضِيتُم بِالْحياةِ الدنْيا مِن الْآخِرةِ فَما متَاعُ الْحياةِ الدنْيا فِي الْآخِرةِ إِلَّا قَلِيلٌ))(38)

[9] - سورة الأعراف الآية : 179

[10] - سورة الملك الآية :5

نَعجتِك))([1]) وإدغام التاء في الثاء، نحو قوله تعالي:((كَذبتْ ثَمُودُ الْمُرسلِين))([2]). والدال في الثاء، نحو: ((ومن يُرد ثَواب الدنْيا نُؤْتِهِ مِنْها))([3])، والذال في السين، نحو: ((إِذْ سمِعتُمُوهُ))([4]).

وللإدغام حالتان: إحداهما : يفني فيها احد الصوتين في الأخر، إذ يتحول احـد الصوتين إلي صاحبه ويفني فيه ويسمي هذا إدغاماً كاملاً كما في الأمثلة السابقة.
والحالة الثانية: لا يتم فيها فناء أحد الصوتين فى الآخر، بل تبقـى بعـض آثـار الصوت الفانى كبقاء غنة النون بعد إدغامها فى الواو أو الياء إذا تجاورتا وسبقت ساكنة، كقوله تعالى: ((فَلَا مرد لَهُ وما لَهُم مِن دُونِهِ مِن والٍ))([5])،((من يهدِ اللهُ فَهُو الْمُهتَدِي ومن يُضلِلْ فَأُولَئِك هُمُ الْخَاسِرُون))([6])، ويسمى ذلك إدغاماً ناقصاً.

وجميع الأصوات تقبل الإدغام إلا أصوات الحلق، فإنها تستعـصي علـي الإدغام، فهي لا تقبل الفناء في غيرها([7]).

ثالثاً- توظيفه في درس ظاهرة الإعلال:

الإعلال تغيير في حرف العلة تغيراً معيناً، قد يكون بقلبـه أو بحذفـه أو بتسكينه. فهو ظاهرة سياقية موضوعها الحرف اللين، وهـو الـواو واليـاء دون الألف([8]). ويكون في هذين الحرفين بإحدى طرق ثلاث:

1- القلب : وملخصه أن الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا الفاً، كمـا في باع وأصلها: بيع، ونوى ، **ورمى** ،وغزا.

2- النقل: الإعلال بالنقل تأثير يصيب حرف العلة، ومعناها نقل الحركـة مـن حرف علة متحرك إلى حرف صحيح ساكن قبله، وهو لا يحدث إلاّ فـي الـواو والياء، أي لا يحدث في الألف، لأنها لا تتحرك مطلقاً. فإذا كانت الواو والياء عيناً

---

[1] - سورة ص الآية :24

[2] - سورة الشعراء : الآية : 141

[3] - سورة آل عمران، الآية:145

[4]- سورة النور، الآية ((لَولَا إِذْ سمِعتُمُوهُ ظَن الْمُؤْمِنُون والْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِم خَيرا وقَالُوا هذَا إِفْك مُبِين)) (12)

[5] - الرعد:11.

[6] - الاعراف: 178 والكهف:17.

[7] - انظر: أنيس ،الأصوات اللغوية ، ص : 134 . والبنا الدمياطي . اتحاف فضلاء البشر ، ص : 27

[8] - شرح المفصل : 1./54-57،وانظر: الرضي شرح ....

للفعل أو الاسم الجاري مجرى المضارع مسبوقة بساكن صحيح، نُقلت حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها، نحو: يقوم وأصلها: يقْوُم، ويبيع وأصلها: يبيع، ومقول ومبيع.([1])

3- الحذف([2]): وهو تأثير يصيب الحرف في حالات معينة يؤدي إلى حذفه في الكلمة. فتحذف الواو أو الياء، عند التقاء الساكنين كما في "قاض، وغاز" بعكس ما يحدث في الحروف الصحيحة التي إذا التقى ساكنان منها حرك أولهما بالكسر. ومما يتصل كذلك بموقعية الإعلال بالحذف حذف فاء الثلاثي في المضارع المفتوح حرف المضارعة، نحو: يعد، والأمر نحو: عد، والمصدر المكسور الفاء الساكن العين، نحو: عدة، وكذلك حذف الهمزة من المضارع واسم الفاعل واسم المفعول مما عدي بالهمزة نحو: يكرم فهو مكرم ومكرم.

رابعاً- **توظيفه في درس ظاهرة الإبدال:**

الإبدال هو وضع حرف مكان حرف آخر([3]) دون اشتراط أن يكون حرف علة أو غيره. والإبدال لا يخضع في الغالب للقياس، وإنما يحكمه السماع، تمشياً مع السياق الصوتي. وهو ظاهرة يتطلبها السياق الصوتي، وتتخذ في العربية الصور الآتية([4]):

1- **إبدال الصحيح بالصحيح**: كإبدال الطاء من تاء الافتعال، إذا كانت فاؤها حرفاً مطبقاً، وهو الصاد والضاد والطاء والظاء، مثل: اصطبر، واضطر، واطلع، واظطهر .

2- إبدال الصحيح باللين: كإبدال الهمزة بالواو والياء في: كساء، وقائل، وصحائف.

---

[1] -شرح ابن عقيل - (ج 2 / ص 572)
إنما تنقل حركة العين إلى الساكن الصحيح قبلها إذا لم يكن الفعل للتعجب، أو مضاعفا، أو معتل اللام، فإن كان كذلك فلا نقل، نحو: ما أبين الشئ وأبين به، وما أقومه وأقوم به، ونحو: ابيض واسود، ونحو: أهوى.

[2] - شرح الشافية: 26/1.

[3] - شرح المفصل:7/.1. وانظر المغني في علم الصرف:ص:1.9. وانظر:د.محمد سليمان ياقوت. الصرف التعليمي والنظيف في القرآن الكريم، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 1 ، 142.هـ 1999م، ص:382.

[4] - النحو الوافي، 775/4 ، 793.

3- **إبدال اللين باللين:** كجعل الواو ياء في : رضي، وحدية، وعيادة. وكجعل الياء واواً في: موسر، وقضو، وتقوى.

4- **إبدال اللين بالمد:** كجعل الألف ياء في: غزيل.

5- **إبدال المد بالمد:** كجعل الألف ياء مد في نحو: دنانير، ومصابيح، وجعلها واواً ممدودة، في بويع، وقوتل.

خامساً- توظيفه في درس ظاهرة الإسكان:

السياق الاستعمالي يكره توالي أربعة متحركات، فإذا علمنا أن الصيغة القياسية " فَعلَ" تشتمل على حركات ثلاث، وأن الضمير الذي يسند إليه الفعل الماضي قد يكون متحركاً، عرفنا أننا أمام صورة من الصور التي قررها نظام اللغة مما تتوالى فيه أربعة حروف متحركة، وهذه مشكلة من مشاكل التطبيق على نظام اللغة، ومن هنا يلجأ السياق الاستعمالي المعتمد على الذوق، إلى إسكان لام الفعل التي عليها علامة البناء، فيصبح الفعل مبنياً على السكون بعد أن كان مبنياً على الفتح([1]). وهذا الإسكان ملحوظ في الإسنادات الآتية:

إسناد الماضي إلى تاء المتكلم أو ناء المتكلم، أو تاء المخاطب، أو تاء المخاطبة، نحو: ضربتُ، ضربنا، ضربتَ، ضربتِ. كما يظهر في إسناد الماضي إلى ضمير المخاطبين والمخاطبات، والغائبات، نحو: ضربتما، ضربتم، ضربتن، ضربن([2]).

وكل صيغة من هذه الصيغ أوجدها الاستعمال منذ البداية، فلم تكن الصيغة مفتوحة اللام على الألسنة ثم سكنت لامها، بل الصيغ المفتوحة اللام موجودة أيضاً، ويمكن رؤيتها، نحو: ضرب، ضربتْ، ضربتا، ضربا. فالنظام يقرر أن الفتح للجميع، والسياق الاستعمالي يوزع الصيغ بين الفتح والإسكان، بحسب كراهية توالي المتحركات.

- توظيفه في درس ظاهرة التخاص:

السكون وحدة في النظام الصوتي للغة العربية يقف في مقابل الحركة، أياً كانت هذه الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة، فالنظام الصوتي يشتمل على السكون بهذا

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص:3..

[2] - شرح ابن عقيل:639/2.

الوصف. ولكن السياق ديناميكي متحرك، ويأتي عن حركته أن تكون لـه بعـض المطالب، فقد تكون الكلمة مبنية على السكون، والكلمة اللاحقة مبـدوءة بحـرف ساكن، كما في قولك: "اعرض اقتراحك" فالكلمة الثانية تبدأ بحرف سـاكن، هـو القاف، وليس الألف قبلها إلا علامة إملائية على الوصل([1])، ولا تنطق الألف هنا، وإنما ينتقل المتكلم من الضاد إلى القاف بواسطة كسرة التخلص.

وقد تكون الكلمة السابقة مجزومة بالسكون، واللاحقة مبدوءة بالساكن، نحو قوله تعالى: ((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأرضُ))([2])، فيتطلب السياق في هذه الحالة شيئا غيـر الذي قرره النظام، فالنظام قرر السكون، ولكن السياق قرر الـتخلص مـن هـذا السكون، وعمدت اللغة إلى أن تجعل من مطلب السياق قاعدة فرعية خاصة تسمى التخلص من التقاء الساكنين([3]).

وطريقة التخلص من التقاء الساكنين هي: كسر أولها إذا كان صحيحاً، ومن ثم يكون التخلص من التقاء الساكنين ظاهرة موقعية من ظواهر السياق الصوتي.

7- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة الحذف:

تصطدم أحياناً مقررات النظام اللغوي مع مطالب السياق الاستعمالي، فنظام اللغة مثلاً يقرر أن المضارع المرفوع المسند إلى ألف الاثنـين أو واو الجماعـة ينتهي بنون تسمى نون الرفع، ويقرر كذلك أن توكيد المـضارع يجـري بنـون مشددة، مركبة من عنصرين، أولهما نون ساكنة وثانيهما نون متحركـة ولـو أن المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أُكد بالنون الثقيلة لكان معنـى ذلك أن النظام اللغوي قضى بتوالي ثلاث نونات([4]): نون الرفع، ثم نون مـشددة مكونة من نون ساكنة ونون متحركة. وهذا مما يصطدم بالذوق العربي الذي يكره توالي الأمثال، ومن هنا يتدخل السياق الاستعمالي بحذف نـون الرفـع، وتـرك

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص:296

[2] - سورة الزلزلة، الآية:1

[3] - ابن يعيش. شرح المفصل، مكتبة المتنبئ، المجلد الثاني، الجزء التاسع، ص:127

[4] -فلما توالى ثلاث نونات ثقل في النطق فحذفت نون الرفع فالتقى ساكنان : واو الرفع ونون التوكيد الشديدة ، فحذفت واو الرفع لأنّها ليست أصلاً في الكلمة .

نونين: إحداهما ساكنة والأخرى متحركة، تبدوان معاً في صورة وحـدة صـوتية واحدة مشددة، نحو:((إما يبلغان))([1])، ونحو ((ليقولن)).

ويعمد سياق الاستعمال إلى اتخاذ هذا الإجراء صورة مطردة كلما حـدث الموقع الذي يتطلبه. ومن أمثلة ذلك أيضاً أن نظام اللغة يقرر أن (التاء) حرف من حروف المضارعة، وأن (التفاعل) يبدأ بتاء زائدة، هي تاء التفاعل والتفعـل([2])، ومعنى ذلك أن التفاعل إذا جاء على صورة المضارع المبدوء بالتاء، فقد توالـت في الفعل تاءان، ملحقتان بأوله، هما تاء المضارعة، وتاء التفاعل، وعندئذٍ تظهر مطالب السياق التي تكره توالي الأمثال، فتجعل حذف التاء الثانية خير الصياغتين صوتياً، نحو قوله تعالى: ((ولا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ))([3])، وقوله تعالى: ((اثاقَلْتُم إِلَى الْأَرضِ))([4])، وقوله تعالى: ((تَنَزَلُ الْمَلَائِكَةُ والروحُ فِيها))([5])، والأصل "تتنزل"، وقوله تعالى: ((قَالُوا اطيرنَا بِكَ وبمن معك))([6])، وقوله تعالى: ((وإِذْ قَتَلْتُم نَفْـسا فَادارأْتُم فِيها))([7])، وقوله تعالى: ((وما يذكرُ إلا أُولُو الْأَلْبابِ))([8]).

8- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة التوصل:

نظام اللغة العربية يأذن لبعض الكلمات أن يبـدأ بالـساكن مـن الناحيـة النظرية، ومن ذلك أداة التعريف وأمر الثلاثي كاضرب، وأمر الخماسي كانطلق، وأمر السداسي كاستخرج ومصادر الخماسي والـسداسي كـانطلاق واسـتخراج، وغير ذلك من الكلمات المحفوظة([9]).

---

[1] وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)(فى بعض القراءات." تفسير الطبري - (ج 17 / ص 415)
عن مجاهد"

[2] - شرح ابن عقيل، 457/2. وانظر: المغني في التصريف ، ص:111

[33] - سورة الحجرات، الآية: 11

[4] - سورة التوبة، الآية:38

[5] - سورة القدر، الآية:4

[66] - سورة النمل، الآية:47

[7] - سورة البقرة، الآية:72

[8] - سورة البقرة،الآية:269

[99] - عبد العال سالم مكرم. تدريبات نحوية ولغوية في ظلال النصوص القرآنية والأدبية، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2، 1422هـ 2..2م، ص:56.-561.

يسمح نظام اللغة إذاً بالبدء بالساكن، ولكن السياق الاستعمالي " أي الكلامي" يكره توالي الصمت والسكون؛ الصمت الذي سبق الكلام مباشرة، والسكون الذي اتصف به الحرف الساكن الذي بدأت به الكلمة، فحين تواليا – وكلاهما سكون - أصبحا في نظر الذوق العربي أشبه ما يكونان بالتقاء الساكنين الذي ترى مطالب الاستعمال أنه ينبغي التخلص منه([1]). ومن هنا جاءت اللغة بقاعدة فرعية لهذا الموقع فقالت:" إنه لا يجوز الابتداء بالساكن([2])، والمقصود هنا في الاستعمال، أما في نظام اللغة فهو موجود فعلاً، والكلمات في نظام اللغة تبدأ بالساكن، وعلى المتكلم في هذه الحالة أن يتوصل إلى النطق بهذا الساكن بواسطة وسيلة صوتية طارئة ليست من بنية الكلمة، وقد جاءت همزة الوصل لتكون وسيلة هذا التوصل.

9- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة الإمالة:

الإمالة: جنوح بالألف إلى صوت الياء، وبالفتحة إلى صوت الكسرة([3]) وقد تنبه القدماء إلى أن إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، إنما تحدث لأسباب صوتية معينة، بحيث تؤدي الإمالة إلى الانسجام بين الأصوات في الكلام فقالوا: "إن الغرض منها تناسب الأصوات وتقاربها في السياق، لأن النطق بالياء والكسرة انحدار وتسفل، وبالفتحة والألف استعلاء وتصعد([4])، وبالإمالة تصير من نمط سياقي واحد في التسفل والانحدار.

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 278- 279.

[2] - البحر المحيط:238/2. وتفسير الرازى:97/1.

[3] - دروس في علم أصوات العربية، ص:156

[4] - انظر: التطبيق الصرفي، 18.. وشرح المفصل،53/9

والإمالة من الظواهر السياقية التي ذكرها سيبويه، إذ يقول: " الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك كقولك: عابد، وعالم، ومساجد، ومفاتيح،...وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها([1]). ودرسها المبرد فقال: "الإمالة أن تقرب الحرف من ما يشاكله من كسرة أو ياء([2]). وذكرها الزمخشري بنوع من التفصيل([3]).

وقد تم توظيف هذه الظاهرة في القرآن الكريم في مواضع عدة من أشهرها قوله تعالى: ((وقَالَ اركَبُوا فِيها بِسمِ اللهِ مجراها ومُرساها))([4])؛ وذلك بإمالة الألف في لفظ مجراها لتكون قريبة من الياء في لفظها([5]).

1.- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة المناسبة:

ظاهرة المناسبة-(Vowel Harmony)- تعود إلى كراهية التنافر، فالمعروف أن الفتحة وألف المد من قبيل صوتي واحد، والكسرة وياء المد من قبيل صوتي آخر، وأن الضمة وواو المد من قبيل صوتي ثالث ، فكل حركة من هذه الحركات الثلاث تناسب ما كان قبيلها.

ولقد لاحظ النحاة أن موقعاً ما قد يتطلب حركة معينة بحكم النظام، أي: بحسب القاعدة، لكن هذه الحركة المطلوبة قد تتنافر مع ما يجاوره أو على الأقل لا تناسبه، ومن هنا يبدو السياق وقد اتخذ في مكان هذه الحركة، حركة أخرى تتناسب مع ما يجاورها.

وقد سجل النحاة تحت عنوان المناسبة حركة واحدة هي الكسرة قبل ياء المتكلم، من نحو: هذا كتابي([6]) ؛ وقد أضاف الدكتور/ تمام حسان إلى ذلك عدداً

---

[1] - الكتاب، 111/4

[2]- المقتضب، 46/3.

[3] - شرح المفصل، 53/9-56

[4] - سورة هود الآية:41

[5] - شرح الأشموني، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، الكتبة الأزهرية، القاهرة، 379/4.

[6] - انظر شرح المفصل.، 31/3

من حركات المناسبة في مواقع أخرى، ليتحقق الانسجام الـصوتي، ومـن هـذه الحركات([1]):

1- بناء الماضي على الضم لمناسبة واو الجماعة في نحو: ضربوا.

2- تحريك لام المضارع المسند إلى واو الجماعة بالـضم فـي جميـع حالاتـه الإعرابية نحو: يضربون، ولن يضربوا، ولم يضربوا، فهـذه الـضمة للمناسـبة أيضاً.

3- تحريك لام فعل الأمر بالضم عند إسناده إلى الواو، نحو: اضربوا، للماسـبة كذلك.

4- تحريك لام الفعل المضارع المسند إلى ياء المخاطبة بالكسر لمناسبة الياء في جميع الحالات الإعرابية نحو: تضربين، ولم تضربي، ولن تضربي.

5- تحريك لام فعل الأمر عند إسناده إلى ياء المخاطبة بكسرة، لمناسبة الياء نحو: اضربي.

6- تحريك أواخر هذه الأفعال جميعاً بالفتحة عند إسنادها إلى ألف الاثنين، نحـو قولك: يضربان، ضربا، لن يضربا، لم يضربا، اضربا.

7- إذا كان الفعل معتل الآخر بالألف، فإن الفتحة التي على عين الكلمـة والتـي تعتبر الألف مداً لها تبقى بعد حذف الألف في بعض تصريفات الفعل لتكون قرينة على الألف المحذوف، ويسميها النحاة حينئذٍ (حركة الدليل)([2]). ومـن تعبيـراتهم المحفوظة في ذلك قولهم: "والفتحة قبلها دليل عليها" فهذه الفتحة في الحقيقة حركة لمناسبة الألف، لأنه لا يوجد فعل معتل الآخر بالألف دون أن تكون عين الكلمـة فيه مفتوحة لمناسبة هذه الألف، ولا تسمى هذه الفتحة "حركة الدليل" إلا بعد حذف الألف، أما والألف موجودة فهي للمناسبة، نحو: يخشى، يرضى، لم يخـشَ، لـم يرض.

---

[11] - شرح ابن عقيل،5.6/2- 5.7. وانظر كذلك: اللغة العربية معناها ومبناها،ص:273-274

[2] - انظر: مغنى اللبيب:64/1. وشرح ابن عقيل:561/1.

8- ومما يدخل تحت المناسبة أيضاً إعراب المجاورة، كما في "هذا جحر ضـبٍ خربٍ"([1]) بالجر في كلمة "خربٍ" إذ إن قرينة التبعية تبدي أن الخراب مما يوصف به الجحر، ولا يوصف به الضب، فلما اتضحت قرينة التبعية، وما يتضافر معهـا من المطابقة والرتبة، حدث الترخص في الحركة الإعرابية ليتم بهـا نـوع مـن المناسبة الصوتية التي عللها النحويون بالجوار([2]).

9- ومما يعد من قبيل المناسبة أيضاً ما يسميه النحاة "الإتباع علـى اللفـظ"([3])؛ فليس لهذا النوع من الإتباع مبرر من القاعدة إلا على ضوء المناسـبة الـصوتية الموسيقية حين تتضافر القرائن على بيان المحل، فلا يحتاج إلى حركة التابع بين القرائن الدالة عليه. ويطلق عليهـا عنـد اللغـويين المحـدثين اسـم (Vowel Harmony) أي: التوافق الحركي([4]).

11- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة التنغيم:

التنغيم: تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية علـى جملـة كاملة، أو أجزاء متتابعة. وهو وصف للجمل وأجزاء الجمـل ولـيس للكلمـات المختلفة المنعزلة([5]).

جاء في كتاب الخصائص لابن جني ما يشير إلى التفاتته إلى التنغـيم فـي قوله:" وذلك أن تكون في مدح إنسان أو الثناء عليه، فتقول: كان وا رجلا. فتزيد

---

[1] -تفسير الطبري - (ج 16 / ص 555)

وذلك أن العرب تتبع الخفض الخفض في النعوت ، كما قال الشاعر:

هو ذو الرمة، ديوانه :ص: 4 ، من عقيلته المحجبة بالحسن . وهذا البيت من أبيات في صفة صاحبته مي .

تُريكَ سُنةَ وجهٍ غَيرِ مُقْرِفَةٍ... ملْساء ليس بِها خَالٌ ولا نَدبُ (2)

فخفض "غير" إتباعا لإعراب "الوجه" ، وإنما هي من نعت "السنة" ، والمعنى: سُنةَ وجه غَيرَ مُقْرِفة ، وكما قالوا: "هذا جُحرُ ضب خَرِبٍ".

[2] - اللغة العربية معناها ومبناها:235.

[3] - الكتاب، 293/2. وانظر النحو الوافي، 1.7/1.وفى الحديث:(ارجعن موزورات غير مأجورات)

[4] - انظر:د. محمود فهمي حجازي. علم اللغة العربية

[5] - علم اللغة العام – الأصوات،163. وانظر: الصوت اللغوي، ص:194.

في قوة اللفظ، وتتمكن من تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً ونحو ذلك([1]).

ومن الغريب ألا تلقى هذه الظاهرة من الدراسة اهتماماً عند القدماء، مـع وجودها في الاستعمال اللغوي في النثر والشعر، حتى في القـرآن الكـريم فـي مواضع عدة منها قوله تعالى: ((وتِلْكَ نِعمةٌ تَمُنها علَـي))([2])، والتقـدير أتمنهـا على؟، بحذف الهمزة ؛ وهو قول الأخفش([3]). وكذلك قوله تعالى: ((فَلَما جن علَيهِ الليلُ رأَى كَوكَبا قَالَ هذَا ربي))([4])، والتقدير أهذا ربي؟([5]) وقوله تعالى: ((يا أَيها الذِين آَمنُوا لَا تَتخِذُوا عدُوي وعدُوكُم أَولِياء تُلْقُون إِلَيهِم بِالْمودةِ))([6])، والتقـدير: أتُلْقُون؟، استفهام إنكاري، حيث حذفت الهمزة واكتفي بالتنغيم لإظهار الاستفهام.

وقد ورد التنغيم في الشعر أيضاً، فقد ذكر ابن هشام بيتين لعمر بن ربيعة هما:

فوا ما أدري وإن كنت دارياً ** بسبع رمين الجمر أم بثمان

أراد أبسبع، وبيته الآخر:

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ** عدد الرمل والحصى والتراب

قيل: أراد أتحبها ؟ وقيل إنه خبر، أي: أنت تحبها([7]). وأورد بيتين آخرين أحدهما للكميت وهو:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ** ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

أراد: أذو الشيب. والبيت الآخر للمتنبئ وهو:

أحيا وأيسر ما لاقيت ما قتلا ** والبين جار على ضعفي وما عدلا

مشيرا إلى معنى الاستفهام في جملة "أحيا".والتقدير:أأحيا؟

---

[1] - الخصائص، 371/2.

[2] سورة الشعراء الآية:22

[3] - معاني القرآن،وانظر مغني اللبيب:15/1

[4] - سورة الأنعام الآية:76

[5] - إعراب القرآن، 352/1

[6] - سورة الممتحنة الآية:1

[7] - انظر: مغني اللبيب،14/1

وهذه الأمثلة القرآنية والشعرية تؤكد وجود التنغيم في الاستعمال اللغوي الأدبي، وهو يحمل وظيفة دلالية ، كما يتضح من الأمثلة السابقة .

واللغة العربية من اللغات التي توظف التنغيم في التعبيـر عـن الحـالات النفسية، كالرضا والغضب، والتعجب والاستنكار، والاحترام، كمـا توظفـه فـي التعبير عن بعض المعاني العامة النحوية، كالاستفهام والتعجب والنفي والإثبـات، فلكل من هذه المعاني تنغيمه الخاص، لذا ينظر المرء بشيء من الشك إلى قـصة أبي الأسود الدؤلي مع ابنته التي قالت متعجبة: ما أحسنُ الـسماءِ " بـضم نـون أحسن، وكسر همزة السماء" فقال مجيباً: نجومها، ظناً منـه أنهـا تـستفهم، لأن الضبط الإعرابي يشير إلى الاستفهام([1]). ويُروى أنها أفادته بأنها متعجبة، فقال لها : قولي ما أحسن السماء، بالفتح. والذي يميل إليه الباحث أن دور القرينة الصوتية المتمثلة في التنغيم في التعبير عن التعجب أو الاستفهام أبـرز وأهـم مـن دور الحركات الإعرابية في هذا السياق؛ لذا ينظر المرء بشيء من الـشك فـي عـدم اهتداء أبي الأسود الدؤلي إلى مراد ابنته، ما لم يكن قد تغافل قاصداً عن مرادهـا الحقيقي ليبين لها لحنها في الحركة الإعرابية.

وتبين دلالة التركيب عن طريق أداء التركيب صـوتياً، وتتـابع النغمـات الموسيقية والإيقاعات في حدث كلامي معين، وهو الإطار الصوتي الذي تؤدى به الجملة في السياق أو الأداء الموسيقي للكلام ومستواه من ناحية الاعتدال والارتفاع والانخفاض أو التنوع([2]) ومثال ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ))([3])؛ فهذا لـوم وتـوبيخ ، وإن أقروا بقولهم: نعم وهو المستفاد من الأداء وسياق الحال.

12- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة النـبر:

---

[11] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص:266

[2] - د.محمود عكاشة . التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة ، دار النشر للجامعات، ط1، 1426هـ - 2..5م ،ص:51.

[3] - سورة يس الآية:6.

عندما يمارس المرء لغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله أوضح في السمع من المقاطع الأخرى، قال ابن الأنباري:" النبرعنـد العرب ارتفاع الصوت" ([1]) فالنبر- إذاً– نشاط ذاتي للمتكلم ينجم عنه نـوع مـن البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياساً لما يحيط به"([2]).

وقد درج اللغويون على تسمية هذه الظاهرة بالارتكاز حيناً([3])، وبالـضغط حيناً آخر([4]) وبالنبر أحياناً كثيرة، لذا فقط عرفت اللغة العربيـة ظـاهرة النبـر، وعبرت عنه بمسميات مختلفة منها: الهمز، العلـو، الرفـع، مطـل الحركـات، الارتكاز، الإشباع، المد، التضعيف، وكلها تفضي إلـى مـستوى دلالـي واحـد بوظائف متباينة تبعاً للسياق، وبروز القيم الاستدلالية في النص([5]).

يقول ابن جني: " حكي الفراء عنهم : أكلت لحما شاة أراد لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ ألفا([6]). فالمطل عند ابن جني فيما ورد هو زيادة قـوة الارتكـاز، بالإشباع أو التضعيف.

وقد سماه المحدثون بالنبر السياقي، كما سـموه بـالنبر الـدلالي، ونبـر الجملة([7]).

ونظام النبر يصادف بعض المشكلات في التطبيق، وتـأتي حلـول هـذه المشكلات في صورة حل صوتي للمشكلة، هو اختلاف في البنية المقطعية بين ما قررته القاعدة وما تطلبه سياق الكلام([8]).

وللنبر في العربية وظيفة تتمثل بتحديد معنى عام في الجملة، كالتوكيد أو التقرير، وليس له فيها دور في تحديد المعنى الصرفي، أو المعجمي للكلمـة(9).

---

[1] - انظر: اللسان:189/5

[2] - انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص:188. والمصطلح الصوتي، ص:28.

[3] - محمود السعران. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، جامعة حلب، 1994م، ص:189

[4] - برجسترلسر.التطور النحوي للغة العربية،ط2، م1994، القاهرة، ص:72.

[5] - عبد القادر عبد الجليل. اللسانيات الحديثة، ص:362.

[6] - الخصائص، 123/3، 129

[7] - محمد الأنطاكي. الوجيز في فقه اللغة، ص:263.

[8] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص:3.4

[9] - انظر: الوجيز في فقه اللغة، ص: 263.

ومما قاله ابن سيناء في ذلك : " إن النبرة قد تجعل الخبر استفهاماً، والاستفهام تعجباً، وغير ذلك"(1). ويمكن إدراك ذلك في الآيات القرآنية التالية:
((ذُقْ إِنكَ أَنْتَ الْعزِيزُ الْكَرِيمُ))(2) بالضغط على كلمة "ذق" وقوله تعالى: ((أَلَيس هذَا بِالْحق))(3) بالنبر على كلمة "بالحق" وقوله تعالى: ((قُلْ أَبِاللهِ وآَياتِهِ ورسُولِهِ كُنْتُم تَستَهزِئُون))(4) بالضغط على كلمة " تَستَهزِئُون" و قوله تعالى: ((قَالَ فَبِما أَغْويتَنِي لَأَقْعُدن لَهُم صِراطَك الْمُستَقِيم))(5) بالضغط على كلمة " لأَقْعُدن ". وفي اختلاف العلماء في تفسير مقولة " إن لنا لإبلا "(6) يمكن أن نصف هذه العبارة بأنها مجردة من المعطيات السياقية، ومن الظواهر الصوتية الإضافية، ومن قرائن حالية أخرى لا تدل على تكثير، ولا على تقليل، ولكنها إذا وقعت في سياق الفخر مثلاً كأن يقول أحدهم مفتخراً: إن لي لإبلاً، بإضافات نبرية واضحة على كلمة "إبلا" وبأسارير وجه متهللة ومنبسطة، دل ذلك كله أن هذه الإبل كثيرة.

13- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة المفصل (الوقفة):

المفصل(Jincture) أو الوقفة ويسمى كذلك الانتقال (Transition) عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما، وبداية آخر([7]).

وتنقسم الوقفات إلى ثلاثة أنواع:

1- الوقفة الضيقة الداخلية أو الوقفة المغلقة (Close Juncture) وهي عبارة عن الانتقال من صوت إلى صوت في الكلمة، وهي وقفة تفصل بين الكلمة وتحددها،

---

[1] - الخطابة ، ابن سيناء، نقلا عن التفكير اللساني،ص:266.

[2] - سورة الدخان الآية:49

[3] - سورة الأنعام الآية:3.

[4] - سورة التوبة الآية:65

[5] - سورة الأعراف الآية:16

[6] -لسات العرب:1./378.

[7] - ماريو باي. أسس علم اللغة، ترجمة د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب،ص:95. وانظر:د. محمود عكاشة. التحليل اللغوي، ص:52

وليس لها رمز في الخط، ويتبين أثر الوقفات الداخلية في الدلالة من خلال قـول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا.... هبة ** فدعه فدولته ذاهبة([1])

فذو هبة بمعنى صاحب هبة، والثانية من الفعل ذهب، فوقع بينهما جناس لتـشابه الأصوات، ولكن الفصل بين " ذي " و" هبة " فرق بين الأولى والثانية.

وترجع أهمية الوقفة في اللغة العربية إلى أن السامع قد لا يفهم المراد مـن الكلام إذا لم يراع المتكلم الوقوف على نهاية الكلمات، لبيان المراد، مثلمـا يقـف المتكلم عند رؤوس المعاني لتأكيدها وإظهارها للسامع، مثال ذلك قول الشاعر:

عضنا الدهر بنابه ** ليت ما حل بنا به

إن دلالة هذا البيت لا تتضح للسامع إن لم يفصل المتكلم بين " بنا " و " به " فـي الشطر الثاني فيقول: بنا + به، وإلا التبس الأخير بنابه في الشطر الأول. ومثـال ذلك أيضاً قول الشاعر:

من علم الخوض ضربا بالنوى+ قيس

لو لم تحدث وقفة بين " النوى " و " قيس " تشابهت مع " النواقيس " في الـسمع؛ فالوقوف على الكلمات تامة المعنى يوقع الخلط الذي قد يقع من الوقفـات غيـر الصحيحة.

2- الوقفة المفتوحة الداخلية(Open internal Juncture)

وهي الوقفة التي تفصل بين الكلمات، وتظهر عليها علامات الإعراب فـي التركيب، ويرمز لها بالعلامة (+) التي توضع بين كلمات الجملة في الخط لتفصل بينهما. وهي من اصطلاحات علماء الأصوات، و لا تستخدم في عمـوم الكـلام والكتابة([2]).

وهي التي تقع في نهاية النطق، وهي التي تظهر قبل السكتة وتحدد نهاية النطـق. والأصوات القطعية " الصوامت، والصوائت " تظهر طويلة في النطق قبل الوقفة. وهذه الوقفة النهائية(terminal Juncture) تحدث تغييراً فـي طبقـة الـصوت

(↓)

[1] - انظر: الإيضاح للقزويني،ص: 324. والبيتان لأبي الفتح البستي.↑

[2] - د. محمود عكاشة. التحليل اللغوي، ص:53

↓

" Pitch " مثل: هل أنت ذاهب؟ يرتفع الصوت في نطق آخر كلمة ليعطي علامة صغيرة للاستفهام، ولهذا يوضع الرمز ( ) للإشارة إلى طبقة الصوت العالية، والعلامة ( ) يُرمز بها للوقفة النهائية التي تنتهي بهـا جملـة التقريـر (Statements)، ومثال ذلك: أنا ذاهب إلى المسجد( ). وتصحب هذه العلامـة غالباً الجمل الإخبارية التي أتت جواباً لجمل إنشائية، لأن بها تمام المعنى.

3- الوقفة المفتوحة الخارجية (Open External Juncture)

وهي التي تحدد نهاية النطق، أو هي الوقفات التي تتحقق بتمـام المعنـى والوقوف عليه، ويرتبط هذا النوع بنهاية الجمل، ويرمز لها بثلاث علامات تشير إلى مستويات الصوت أو طبقته " Pitch " :

الأولى: (↑) تشير إلى ارتفاع طبقة الصوت في الجمل الإنشائية.

الثانية: (←—) تشير إلى انخفاض طبقة الصوت ونهاية الكلام والسكوت عليه، وتأتي غالباً في الجمل التقريرية التي ينتهي بها الإخبار.

الثالثة: (↓) تشير إلى مستوى طبقة الصوت المتوسـط ، واسـتمرار الكـلام واتصاله، وتأتي بين الجمل المتصلة بسياق واحد([1]). نحو قوله تعالى: ((فَلْيَنْظُـرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ(↑)(5) خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ (←—)(6) يَخْرُجُ مِن بَـيْنِ الـصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (↓) (7))([2])، نلاحظ أن الآية الأولى إنشائية فانتهت طبقة الصوت فيها مرتفعة (↑)والآية الثانية جواب الأولى وقد انتهت بمستوى يدل علـى اسـتمرار طبقة الصوت (←—)، لأن الآية التي تلتها " الجملة الوصفية " ارتبطت بها فـي المعنى ومتممة لها، ولهذا جاءت الوقفة النهائية هابطة لتمام المعنى في الثالثة (↓) وهذا يبدو واضحاً من أداء القراء لهذه الآيات الكريمة. وا أعلم

والمقصود بطبقة الصوت: مستوى الصوت في الأداء من حيـث الغلظـة والحدة، للدلالة على أمر نسبي يتطلبه المعنى المراد من السياق اللغوي.

14- توظيف السياق الصوتي في درس ظاهرة المقطع:

---

[1] - د. محمود عكاشة. التحليل اللغوي، ص:54

[2] - سورة الطارق، الآيات: 5 - 7

المقطع: وحدة صوتية مركبة من بداية لها قوة إسماع، ونهاية تفصله عما بعده. وهو أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها، ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة([1]).

ويعود هذا المصطلح في العربية على ما أطلعنا عليه الفارابي – فهو أول من ذكره- في قوله: " كل حرف غير مصوت اتبع بمصوت قصير قرن به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك" ([2]). فحين ينطق المتكلم جملة " جاء زيد " فإنه ينطقها بشكل مقاطع على النحو التالي:" جا – ء – زي – دن. فالكلمة الأولى مقطعان، لذا عد بعض العلماء المقطع " الوحدة الصوتية "([3]).

ويؤدي استخدام المقطع في مواضع متعددة وتنوعه إلى دلالات متعددة، وتحديد القيمة الدلالية للمقطع الواحد، مثل تحديد دلالة التاء في" تكلمتُ ، تكلمتَ ، تكلمتِ" فالتاء في الفعل الأول تاء الفاعل المتكلم، والثاني للمخاطب المذكر، والثالث للدلالة على المخاطبة المؤنثة، ويؤثر طول المقطع وقصره في معاني الكلمات مثل: ضارب وضرب، إذ دل طول المقطع الأول في " ضارب " على اسم الفاعل، فميز بين دلالة الاسم ودلالة الفعل الذي جاء فيه المقطع الأول قصيراً مفتوحاً. وقد يؤدي طول المقطع إلى المبالغة في المعنى، مثل: "هذا الرجل طويل" بإشباع مد الياء أكثر من المألوف للدلالة على الطول غير المألوف.

وعليه نخلص إلى أن دراسة الأنظمة المقطعية يعد بحق من المباحث المجددة في جوانب الدرس اللساني الحديث، وأنها تقدم خدمات جليلة لتفسير الكثير من الظواهر اللغوية في ميادين متعددة، مما يوجه الدلالة، ويصحح الكثير من مسارات أنظمة العلل النحوية، وتوجهاتها المنطقية([4]).

والمقطع في العربية له خواصه العامة من أهمها:([5])

---

[1] - أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ص:242 ، 259. وانظر: عبد الصبور شاهين. القراءات القرآنية،ص:25.

[2] - الفارابي. كتاب الموسيقى الكبير، ص:1.75

[3] - دراسة الصوت اللغوي، ص:135

[4] - د. عبد الجليل عبد القادر. علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء لنشر والتوزيع، عمان ا، الأردن، ط1،1422هـ - 2..2م ص:35

[5] - د. مختار عمر . الصوت اللغوي، ص:262. وانظر: أنيس. الأصوات اللغوية، ص:116.

(أنه يتكون من وحدتين صوتيتين أو أكثر، إحداهما حركة، فلا وجود لمقطع مـن صوت واحد، أو مقطع خالي من الحركة. كما أنه لا يبدأ بصوتين صـامتين، إذ هذا يتنافى مع مطالب السياق الاستعمالي، كما لا يبدأ بحركة. ومن خواصه كذلك أنه لا ينتهي بصوتين صامتين إلا في سياقات معينة، منها عند الوقـف وإهمـال الإعراب.)

المبحث الاول

الإطار العام للدرس الصرفي

مدخل:

إن بيان المعني لكلمة ما يتحقق بدراستها دراسة صوتية وصرفية، ونحوية، ودلالية، يتمثل الجانب الاول في كونها مركبة من أصوات منظمة إنتظاماً معينـاً. ويتمثل الجانب الثاني من معني الكلمة في كونها، اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً. ويتمثل الجانب الثالث في بيان خصائصها النحوية من حيث جواز وقوعها فـي مواقـع معينة في الجملة، وارتباطها بغيرها من الكلمات التي تسبقها أو تلحقهـا، ويـأتي الجانب الرابع لتحديد دلالتها في سياقات محددة تحديداً دقيقاً .

فمعرفتنا بمدلول الكلمة وبنائهاالصوتى لا تكفى لاستعمالها استعمالا صحيحاً فى الكلام والكتابة. إذ لا بد لنا أيضاً من معرفة كيفية استخدامها من حيث موقعها وعلاقتها بالمفردات التى تسبقها أو تتبعها، وهو كيفية استخدام الكلمة فى السياق.

وهذا جانب مهم جداً فى عملية الاتصال اللغوى؛ لأن استعمال الكلمة فـى سياق غير مناسب قد يؤدى إلى سوء فهم الرسالة المقصودة.

وحتى تستخدم الكلمة استخداماً صحيحاً، فانّها تشتمل على خمسة أنواع من المعلومات على الاقل، وهى:

1- معلومات صوتية، تتعلق بالبناء الصوتى للكلمة، وبنطقها وبترتيب الأصـوات فيها.

2- معلومات صرفية، عن بناء الكلمة وصيغ الاشتقاق منها.

3- معلومات نحوية، تتعلق بوظيفة الكلمة فى الجملة وموقعها وعلاقتها بالمفردات الأخرى.

4- معلومات دلالية، تتعلق بمعنى الكلمة وسماتها الدلالية.

5- معلومات عن كيفية استخدام الكلمة فى السياقات المختلفة.

وهناك فكرة هامة يتوقف عليها فهم طبيعة عنصر التركيـب العربـي، وهي المباني التي يتكون منها ويتوقف عليها الإطار العام للدرس الصرفي.

فالصرف نظام من المعاني التي تعبر عنها المباني، وأن هذه المباني تتحقق بدورها بواسطة العلاقات، " فمن المباني والمعاني تكون اللغة، ومـن العلاقـات يكون الكلام"([1]).

فالمعاني الوظيفية التي تعبر عنها المباني الصرفية تتسم بطبيعتهـا بالتعـدد والاحتمال، فالمبني الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنـي مـا دام غير مرتبط بسياق ما، فإذا ارتبط المبني بسياق ما أصبح نصاً في معنـي واحـدٍ بعينه تحدده القرائن اللفظية والمعنوية وقرينة السياق الحالية.

وتعدد المعني الوظيفي للمبني الواحد كثير في اللغة العربية، ذلك أن المتأمـل فيه يجد أن طائفة منها تتناوب في تأدية أدوارها الوظيفية، وينزل بعضها منـزل بعض، ومن ذلك قيام قالب "مفعول" مقام المصدر([2])، فنقـول: مالـه معقـول أو مجلود، أي: ليس له عقْلٌ ولا جلْد، وقيام قالب" فاعلة"، مقام المـصدر([3])، ومنـه الفاضلة، والعاقبة، والعافية، أي: الفضل والعقبي والعفو. وقد يؤدي القالب "أفعل"، وظائف معنوية متباينة، كأن يكون للمفاضلة، أو نعتاً قائماً في المنعوت، كقولنـا: أحمر، وأصفر، وأحمق، وقد يقوم مقام " فعيل"، و ذلك نحو: أصغركم وأكبـركم، والمعني المتعين: صغيركم وكبيركم([4]) وقد يقوم " فعيل "مقام" فاعل " و"مفعول"([5]) و"مُفعل "، وذلك نحو: كريم، وجريح، وحكيم.

وقوالب الجموع قد تتناوب، فقد يستعمل القالب الموضوع للقلة موضـع القالب الموضوع للكثرة([6]). وقالبا " فِعل" و" فَعل " قد يقومان مقام المفعول وذلك نحو: الذِّبح، كما فى قوله تعالى: ((وفـديناه بـذِّبحٍ عظـيم))([7])، أى: مـذبوح، والطِّحن، والخَبط والنَّفْض([8]).

---

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها،ص:163.
[2]- الصاحبى فى فقه اللغة ،ص:236.والاصول لابن السراج:149/3.، وشرح المفصل لابن يعيش:52/6، وشرح الشافية :168/1.، والمزهر:246/2.
[3]- الصاحبى:236، وشرح المفصل:5/6.، وشرح الشافية:168/1، والصبان:468/2
[4]- المقتضب: 246/3، وشرح الشافية:524/3.
[5]- الصاحبى،ص:236.
[6]- شرح المفصل:11/5.
1--الصافات: [7]
2- شرح الشافية :162/1. [8]

وهذه القوالب جميعها لا تفهم إلاّ باستصحاب سياقها الذي وردت فيه. فالمبني الواحد متعدد الدلالة، ومحتمل كل معني مما نسب اليه، وهو خارج السياق، وأمـا إذا دخل في سياق ما فإن كل تلك المعاني والدلالات تنتفي وتتلاشي، ويبقي معني واحد وهو ما دل عليه هذا السياق.

وظاهرة تعدد المعني الوظيفي للمبني الـصرفي الواحـد موضـوع واسـع الاطراف في الدرس اللغوي العربي، وسيتضح بالامثلة خطر هذه الظـاهرة فـي تراكيب اللغة العربية وأساليبها ان شاء ا ، عندما ما تقوم الدراسة بتجليته في هذا الفصل.

تعريف الصرف في اللغة والاصطلاح :

اولا– تعريفه في اللغة :

الصرف لغة: من صرف الشئ، رده عن وجهه، وصـرف الأجيـر عـن العمل، خلي سبيله، وصرف المال: انفقه، وأصرف الشراب: قدمـه صـرفاً لـم يمزجه بغيره، وصارف نفسه عن الشئ: تكلف صرفها عنه، وصرف الامر: دبره وبينه.

وفي التنزيل: ((ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل))([1]). وصـرف الالفاظ: أشتقت بعضها من بعض، واصطرف: تـصرف فـي طلـب الكـسب. وأنصرف عنه: تحول عنه، قال تعالي: ((ثم انصرفوا صـرف ا قلـوبهم))([2]). وتصرف: تقلب، ومنه تصاريف الرياح: تقلبها في جهاتهـا. والـصرافة: مهنـة الصراف. وصُرف الدهر: نوائبه وحدثانه ...

والصرف: علم تصرف أبنية الكلام واشتقاقه. والصرف عند النحاة: تنوين يلحق الاسم، يجعلونه دليلاً علي تمكن الاسم من باب الاسمية.

والصرف: الشئ الخالص الذي لم يشب بغيره. والـصيرف: صـراف الـدراهم، والجمع صيارف، وصيارفة ... والمِصرف: الانصراف ومكان الصرف، ومنـه سمي البنك مصرفاً([3]).

1- الاسراء1

2- التوبة:127. [2]

1- ابراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، مادة"صرف". [3]

ثانيا- الصرف في الاصطلاح:

هو العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوناتهـا، علـي وجـوه وأشكال عدة، بما يكون لأصواتها من الأصالـة والزيـادة والحـذف والـصحة والإعلال والإدغام والإمالة، وبما يعرض لتواليها من المتغيرات مما يفيد معـاني عدة([1]). وهو ذلك الفرع من علم اللغة الذى يدرس تركيـب المفـردات اللغويـة وكيفية بنائها، فالدرس الصرفى يتناول الكلمة خارج التركيب.

فالصرف إذن هو العلم الذي يبحث في طرائق بناء الكلمة، وما يطرأ علـي هذا البناء من تغييرات لفظية. فهو العلم الذي يكشف عن الطرق التي تنمي اللغة، وتزودها بالمباني التي يندرج تحتها ما لا حصر له من الكلمات. فعلم الصرف هو ذلك الفرع من علم اللغة الذى يدرس تركيب المفردات اللغويـة وكيفيـة بنائهـا وانواعها المختلفة؛ ولذلك فهو يختلف عن علم النحو الذى يبحث فى بناء الجملـة وأنواعها ووظائف المفردات فيها.

فهو علم وظيفي عندما يكون معني الوظيفة تزويد اللغـة والنـاطقين بهـا برصيد هائل من الكلمات، وهو علم توليدي لأنّه يولد من الاصول القليلة فروعـاً كثيرة، هي مادة اللغة التي تجري علي ألسِنَة الناطقين بها.

دعائم النظام الصرفي :

عُني القدماء في الدرس الصرفي بالأصـول والزوائـد، وبيـان المـشتق والجامد، وتحديد أشكال الصيغ ، وحصر اللواحق وأماكن الحاقهـا، والزيـادات وأماكن زيادتها، ثم ما يلحق بالصيغ([2]) من إعلال ([3]) أو إبدال ([4،5]) أو قلـب([6]) أو حذف([7]).

2- عبد القادر عبد الجليل . علم الصرف الصوتى، أزمنة للنشر والتوزيع ،ط1989،1م، الاردن، عمان،ص:37. [1]

1- ابن مالك، جمال الدين .تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ،تدقيق: محمد كامل بركات،دار الكتاب العربى ،القاهرة،1982،ص:29.. [2]

2- تغيير حرف العلة للتخفيف، انظر: التعريفات للجرجانى ،ص:9/1 [3]

3- وقال الجرجانى : هو أن يجعل حرف موضع آخر،لفع الثقل :التعريفات ،ص:1/1. [4]

4- الابدال جعل حرف مكان غيره بعرف الصرف. انظر الشافية:1/ 55 [5]

5- القلب هو إبدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض ،والمشهور فى غير الاربعة لفظ الإبدال:أنظر: شرح الشافية،:67/3. [6]

[7]- اللغة العربية معناها ومبناها،ص: 35- 36. [7]

ويتكون النظام الصرفي في العربية من ثلاث دعائم مهمة([1]) هي:-

1- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها الـي التقـسيم، كالاسـمية والفعلية والحرفية، ويرجع بعضها الي التصريف، كـالإفراد وفروعـه، والـتكلم وفروعه، وكالتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير. ويرجع بعضها الثالـث إلـي مقولات الصياغة الصرفية، كالطلب والصيرورة والمطاوعة والألـوان والأدواء والحركة والاضطراب، أو إلي العلاقات النحوية، كالتعدية والتأكيد وهلم جرا.

2- طائفة من المباني، تتمثل في الصيغ، واللواصق والزوائد والأدوات، فتدل هذه المباني علي تلك المعاني أحياناً بوجودها وأحياناً بعدمها، وهو مـا يـسمونه zero morpheme ويسميه النحاة الدلالة العدمية([2])، وهي نفـسها دلالـة الحذف والإستتار والتقدير والمحل الإعرابي عندهم.

3- طائفة من العلاقات العضوية الايجابية، وأخـري مـن المقـابلات أو القـيم الخلافية بين المعني والمعني، وبين المبني والمبني، كالعلاقة الايجابيـة بـين "ضرب" و"شهم" من حيث تشابهما في الصيغة، فهي "فَعل" فيهمـا، والمقابلـة التي تتمثل في القيمة الخلافية بين احداهما والآخر من جهة المعني، فأولهمـا مصدر، وثانيهما صفة مشبهة. وتُفَرق اللغة بين الكلمة وصاحبتها بمثل هـذه المقابلات، كإعتبار التجرد في مقابل الزيادة، والصيغة فـي مقابـل الـصيغة الاخري، والتكلم في مقابل الخطاب والغيبة، والاسمية فـي مقابـل الفعليـة، والتذكير في مقابل التأنيث، وكالمذكر في مقابل المؤنث، والمتكلم فـي مقابـل المخاطب والغائب، والاسم في مقابل الفعل.

فالمقابلة التي تكون بين المعني والمعني، كالتذكير والتأنيث مثلاً، تكون بين المبني والمبني، كالمذكر والمؤنث، وهذه المقابلات هي عصب النظام الـصرفي، فلا يتصور نظام لغوى بدونها([3]).

عناصر النظام الصرفي :

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها،ص: 35- 36.

[2] - دراسات فى علم اللغة:255.

[3] - المقتضب:8/4.. ، واللغة العربية معناها ومبناها،ص:36.

تقوم الدراسة الصرفية علي عنصري التعريف والإشـتقاق، وعلـي مبـدأ الاضـافة الـي الجـذر الاصـلي للكلمـة بواسـطة مورفيمـات تعـرف بـ"السوابق: prefixes والمقحمات:infixes، واللواحق suffixes.

فالسوابق : prefixes: اتفق اللغويون علي تعريفها بالعناصر Elements التي تضاف إلي أول الكلمات، مثال ذلك في اللغة العربية، لواصق المـضارعة التـي تدخل علي أول الفعل المضارع، نحو: اكتب، نكتب، تكتب، ويكتب([1]) وهي مـا يجمعها قول (انيت).

والمقحمات: infixes: هي العناصر التي تضاف الي أواسط الجـذور([2])، أى: دواخلها، لتغيير وظائفها أو معانيها الاصلية، مثال ذلـك فـي اللغـة العربيـة، التضعيف Reduplication، نحو: قَتَلَ- قَتّلَ

أما اللواحق:suffixe ، فهي العناصر التي تضاف إلي نهاية الجذور لتغيير وظائفها أو معانيها الاصلية، مثال ذلك في اللغة العربية لاحقة الألف والنون "ان" والواو والنون "ون" للدلالة علي التثنية وجمع المذكر السالم ([3]).

فهذه العناصر الثلاثة، عناصر تجريدية تساعد علي خلق كلمات أو أصوات موجودة بالفعل([4]).

وتجدر الاشارة الي أن الجذر يؤلف مركز الكلمة، واللواصق التي تكـون علي شكل سوابق، أو مقحمات، أو لواحق، إنّما تضاف الي الكلمة للقيام بوظيفـة نحوية دلالية([5]). إذ لا قيمة لهذه اللواصق من غير التصاقها بالجذور: Roots .

واللواصق مصطلح أعم من السوابق والمقحمات واللواحق لانهـا تـضم العناصر الثلاثة جميعاً.

---

[1] - دلالة اللوصق فى اللغة العربية،ص:68.
[2] - نفس المصدر:68.
[3] - الكتاب:17/1.
[4] - دور الكلمة فى اللغة :153.
[5] - المنهج الوصفى فى كتاب سيبويه،ص:174.

المبحث الثاني

توظيف اللواصق في الدرس الصرفي

اللاصقة أو المورفيم[1] :morpheme هوالاساس الذي يقوم عليه علم الصرف، وهو أصغر وحدة صرفية ذات معني تؤدي وظيفة علي مستوي التركيب[2].

والمقصود بأصغر وحدة صرفية، هو تلك الوحدة التي لا يمكن قسمتها أو تجزئتها الي أجزاء أصغر منها دون إفساد المعني أو تغييره أو الإخلال ببنية الكلمة، وهذه الوحدة غير مستقلة بذاتها، بل لا بد أن تكون مرتبطة بغيرها من المورفيمات الحرة. فكلمة (الدارسات) مثلاً تتألف من أربعة مورفيمات هى: المورفيم الحر"درس"، والمورفيمات المقيدة "أل" التعريف، وصيغة اسم الفاعل"دارس" ومورفيم الجمع"ات".

أما عبارة "ذات معني "هو قيمة علاقته أو ارتباطه بما قبله وما بعده، إذ اللاصقة أو المورفيم أصغر وحدة في نظام التعبير ترتبط بعلاقة متبادلة مباشرة مع أي جزء من المحتوي.

إن معني اللاصقة أو المورفيم – إذاً – هو القيمة التي تكون له في السياق المستعمل فيه، والارتباط بما حوله، إنّه الوظيفة الذي يؤديها.

والمقصود بالمعني في هذا المقام، تمثيل العلاقة التي توجد بين المورفيمات كجزء من نظام التعبير expression system وبين الوحدات التي يمكن مقارنتها بها في نظام المحتوي أو المضمون content system وليس المقصود هنا المحتوي المعجمي.

وتنقسم المورفيمات الي قسمين رئيسين هما:

1- .سّمّتْ الدراسة اللاصقة بالمورفيم.[1]

2- د.محمود السعران.علم اللغة مقدمة للقارىء العربى،ص:223.وانظر:تمام حسان.مناهج البحث فى اللغة،ص:17.[2]

1- الموررفيم الحر أو المستقل:free morpheme ، وهو وحدة لغوية مستقلة بذاتها " كلمة " لها معني لا يمكن تقسيمها الي أجزاء أصغر منها نحو: بنت، بيت، جرس.

2- المورفيم المقيد: bound morpheme وهو وحدة لغوية غير مستقلة بذاتها بل لا بد أن تكون مرتبطة بغيرها من المورفيمات الحرة فكلمة "الدارسات" مثلاً تتالف من أربعة مورفيمات هى:المورفيم الحر (درس)، والمورفيمات المقيدة (ال) التعريف، وصيغة اسم الفاعل(دارس) ومورفيم الجمع (ات).

أولاً: صور اللواصق " المورفيم":

يتكون المورفيم من فونيم ([1]) واحدٍ أو اكثر ومثال المورفيم المكون من فونيم واحدٍ، تاء التأنيث في "ذهبتْ" و"كتبت"، ومورفيم الرفع، وهوالضمة قصيرة ام طويلة. أما مثال المورفيم المكون من فونيمين اثنين، كاف التشبيه، وباء الجر، حيث يعد الصوت الصامت المجرد فونيماً وحركته فونيما آخر. أما مثال المورفيم المكون من أكثر من فونيمين، كل كلمة مجردة من الزوائد، كرجل، وولد، ودرس، وكتب، ودحرج، ومسجد، وسفرجل.

وقد يكون للمورفيم صور عديدة، تكون بمجموعها مورفيم واحد، مثل مورفيم الجمع في اللغة العربية، فهو أحياناً "ون" “uun” وأحياناً "ين" “iin” ، مثل: معلمون، معلمين، فإن "ون، ين" صورتان لمورفيم واحد هو مورفيم الجمع. وكذلك مورفيم الرفع في الاسماء، فهو أحياناً الضمة القصيرة، مثل: جاء الولدُ، وأحياناً الطويلة مثل: جاء أبوالوليد. فالضمة القصيرة أوالطويلة "أو واو المد"هما صورتان لمورفيم واحد هو مورفيم الرفع.

ثانياً: أقسام اللواصق:

أ- أقسام اللواصق بالنظر الي السياق:

تقسم المورفيمات الصرفية من حيث ورودها في السياق إلي قسمين هما:

1- الفونيم مجموعة صور كل صوت من الاصوات، فعندما نقول:فونيم النون مثلاً نعنى به الصور المختلفة التى ينطق بها صوت النون ، وعندما نقول : فونيم الباء ،نعنى بذلك الصور العديدة التى ينطقها الناس فى هذه البيئة او تلك. ويمكن أن نترجم مصطلح الفونيم بالحرف، فنقول:فونيم الميم ، ونعنى به صوت الميم بمختلف صوره وأمثلته. انظر سميح أبو مغلى. دراسة الصرف العربى فى ضوء علم اللغة الحديث. مجلة البلقاء ،العلوم الانسانية والاجتماعية،المجلد السابع ،العدد الاول،2...م ،ص:4. [1]

1- مورفيمات حرة :([1]) free morpheme وهو المورفيم المـستقل بنفـسه الذي يتعين مفرداً، ومن أمثلته: الافعال: نام، ينام، ننام، والاسماء: محمد، رجـل، مجتهد، وحروف المعاني.

وصفوة القول فإن المورفيم الحر يستغرق شطراً كبيراً من متن اللغة وكلماتها.

2- مورفيمات مقيدة:([2]) bound morpheme، وهو الـذي لا يـؤدي دوره الوظيفي قائماً برأسه، بل متصلاً بغيره من المورفيمات، ومن أمثلتـه الزوائـد، كـاللواحق([3]) suffixes والـسوابق([4])، prefixes والـدواخل أو المقحمـات infixes ([5]).

3- مورفيمات صفرية: وهناك نوع ثالث من هذه المورفيمات لا يرد في السياق، ولكنه يدل مع ذلك دلالة غيره من المورفيمات التي ترد في السياق مـن خـلال مبني محدد. ويطلـق علـي هـذا النـوع فـي الانجليزيـة مـصطلح zero morpheme. ومثاله ملحوظ في الفعل "أكل" الذي يدل علي أنّه فعل مسند إلي ضمير الغائب المفرد المذكر مع عدم وجود أي مبني يشير الي ذلك. ولإيـضاح حركة،المورفيم داخل التركيب نحلل المثال الاتي: " تجلسُ المُحاضِرةُ في القاعةِ" ف"التاء" في "تجلس": مورفيم مقيد، مفرد، يدل علي الفاعلية، والفعـل "جلـس": مورفيم حـر، والضمير المستتر في "جلس": مورفيم صفري دال علي الفاعليـة والاسناد التأنيثي، الضمة في "تجلسُ": صائت قصير، مورفيم مقيد يؤشر للاعراب بالرفع،و "الـ "في" المحاضِرةُ: مورفيم مقيد للتعريف، و"محاضِرة" مورفيم حـر، "اسم، مجرد، علم" دال علي العدد والجنس، والضمة فـي "المُحاضِـرة" صـائت قصير، مورفيم مقيد يدل علي الفاعلية، و"في"، مورفيم حـر يدل علي الظرفيـة، و"ال" في "القاعة"، مورفيم مقيد للدلالة علي التعريف.و"قاعة": مورفيم حـر.

1- وهو وحدة لغوية مستقلة بذاتها"كلمة" لها معنى لا يمكن تقسيمها الى اجزاء اصغر منها.

[2] 1- وهو وحدة لغوية غير مستقلة بذاتها بل لا بدّ أن تكون مرتبطة بغيرها من المورفيمات الحرة.

[3] 2 - وهى المورفيم المقيد الذى يلى الجذر:مثل:الضمائر المتصلة بالفعل فى اللغة العربية مثل التاء فى كتبتُ والف الاثنين فى ذهبا ،والواو والالف فى حضروا.---

[4] 3- وهى المورفيم المقيد الذى يسبق الجذر ،مثل:"أل" التعريف، وأحرف المضارعة فى العربية "البيت ، ندرس"

[5] 4-.وهى المورفيم المقيد الذى يفيد معنى أو وظيفة نحوية نتيجة تعديل أو اضافة داخل الجذر ،مثل صيغة اسم الفاعل فى"كاتب" وصيغة اسم المفعول فى "مكتوب".

والكسرة في "القاعةِ": صائت قصير مورفيم مقيد يؤشر الإعراب بالجـر.

ب – أقسام اللواصق بالنظر الي الكمية:

وبالنظر إلي شكل المورفيمات الصرفية "الكم" نجد أنّها يمكـن أن تكـون صوتاً واحداً، نحو: مطْعم، ومُطْعِم" الفتحة التي تدل علي الفرق بين اسم الفاعـل واسم المفعول. وكالالف والتاء لجمع الإناث، والالف والنون أو الياء والنون تارة للمثني، و نحو ذلك.

كذلك ترد المورفيمات الصرفية علي هيئة الكلمة، وهـي مبنـي جامـد، كالضمائر المنفصلة وأسماء الاشارة والموصول، والكثير مـن الادوات النحويـة ذوات المباني الجامدة ايضاً، أو الاصوات الاشتقاقية، نحو "كان" وأخواتها، وهـي الافعال الناقصة، لأنّها أصبحت ادوات تعبر عن الزمن، ومثلها أفعال المقاربـة، ككرب وكاد، وأفعال الرجاء، كحرى واخلولق، وأفعال الشروع، كشرع وطفق([1]).

ج- أقسام اللواصق بالنظر إلي الأصل "الجذر":

وإذا نظرنا إلي أساس الكلمة، فإنّنا نري أن المورفيمات الصرفية ترد إما قبلها أو بعدها أو في وسطها، علي شكل مبان زائدة عن الأصل. وتجري أنـواع المورفيمات الصرفية هذه علي الشكل التالي:

أ – الصدور أو السوابق : prefixes

والسوابق جمع سابقة، وهي سابقة تسبق الجذر، وترتبط بـه ارتباطـاً وثيقـاً لتصبحا كلمة واحدة مثل : pre في prefixes نفسها، ومثل re في rewrite ومثل "ى" في "يذهب" ، و"أ" في "أكتب" و "الـ" في "الرجل". وأمثلتها في العربيـة كثيرة منها حروف المضارعة "أنيت" والتاء والميم في "تَمفْعل" والميم"فـي وزن" مفعول" من الثلاثي، ونحو ذلك.

ب-الاحشاء أو الدواخل أو المقحمات : infixes

الأحشاء جمع حشو، وهي زائدة داخل الجذر بين صوامته وصـوائته، وهـي تشغل من الجذر مكاناً ثابتاً مطرداً، مثل: الألف في "كاتب" وياء التصغير تعتبـر

[1] - أحمد محمد قدور.مبادىء اللسانيات. دار الفكر،بيروت- دمشق ، 1999- 1419،ط2،ص:149.

مثالاً واضحاً للاحشاء، إذ مكانها في داخل الجذر ثابت مطرد، مثل: كُتَيب، غُزيل، هُريرة، ومنها التضعيف في"فَعلَ" وغيرها.

ج- اللواحق أو الاعجاز : suffixes

اللاوحق أو الاعجاز جمع لاحقة، وهي زائدة تلحق الجـذر وتـرتبط بـه إرتباطاً وثيقاً، مثل: ing في going وتاء التأنيث في"ذهبتْ"، وياء المخاطبة في "اكتبي" والضمائر المتصلة جميعها لواحق، ونون الوقاية، وحركـات الاعـراب، وعلامة التأنيث وعلامات التثنية والجمع.

ثالثاً – دلالة اللواصق:

لاحظ ابن جني([1]) أن في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة فـي حالة زيادة مورفيم في أول الصيغة، أو في وسطها، أو علـي الجـذر الأصـلي. فالوزن الصرفي "فَعلَ" في حالة إضافة مورفيم الهمزة في أوله، فإنه ينقله من فعل إرادي لازم إلي فعل غير إرادى متعدي . وإن زيد مورفيم الالف علي الـصيغة نفسها، فانها تصبح "فاعلا"، وفي هذا دلالة جديدة اكسبها صوت الالف – الصائت الطويل – إلي الصيغة التي تدل علي المشاركة في الفعل بين اثنين أو أكثر وليس من فعل واحد.

أما إذا زيد مورفيم آخر مقيد بدلالة التضعيف"فَعل" فإنّه يكـسب الـصيغة الدلالة علي التكثير. وفي حالة اضافة مورفيمين مقيدين "تَفَعل" فإنّهمـا يحمـلان دلالة التكثير المبالغ فيه "تَعلّم، تَكسب".

هذه المورفيمات تمتد في مساحة بناء العربية الصرفي، وتتحرك في أدوار وظيفية متقنة، تجعل من العربية لغةً رفيعةً عاليةً([2]).

وقد أدرك ابن جني القيمة الدلالية للمورفيم قبل أن يـدركها علـم اللغـة الحديث، فمثلاً حروف المضارعة، وإن كانت تتساوي في افادة الحال أو الاستقبال للفعل الذي تزاد عليه، فهي في نظره لها قيمة اخري، وهي الدلالة علي الفاعـل: فاضرب مثلاً: تعني أن الفاعل هو المتكلم مفرداً، بدليل وجود الهمزة. والنون في

---

[1] - الخصائص:98/3.

[2] - د.عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع ،الاردن،عمان، مركز العبدلى التجارى ،ص: 187.

"نضرب" دليل علي أن الفاعل جمع من المتكلمين، والتاء في "تضرب" دليل علـي أن الفاعل مفرد مؤنث غائب أو مفرد مذكر مخاطب حسب السياق ، والياء فـي "يضرب" تدل علي أن الفاعل مفرد مذكر غائب، وذلك واضح من قوله: " تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل إذ كن دلائل علي الفاعلين، من هم، ومـا هـم، وكم عدتهم، نحو :" أفعل، ونفعل، وتفعل، ويفعل"([1]).

---

[1] 1- ابن جنى.الخصائص:224/1- 225.

المبحث الثالث

توظيف السياق في درس السوابق

لا تنتظم اللغات عموماً مسلك معيارى واحد في ابنيتها للوحدات اللغويـة. ويأتي هذا التباين من طبيعة نسج أصواتها، ومهماتها الوظيفية، وقدرتها علي بيان محتويات الدلالة، ولكل منها طريقة خاصة، سواء أكانت عن طريق الا ـصق، أو الالحاق أو التصريف.

ففي العربية تقسم اللواصق المستخدمة في التصريف إلي: صدورأو سوابق، نحو أحرف المضارعة المجموعة في كلمة "أنيت" وعلامة التعريف "أل". وإلـي أحشاء أو دواخل، نحو ألف كلمة "رجال" الدالة علي الجمع بالتضامن مع الصيغة. وإلي إعجاز أو لواحق، وهي كثيرة، نحو علامات التأنيـث الـثلاث، وعلامـات الجمع السالم للمذكر والمؤنث، وعلامات المثني، وتاء التأنيث التي تلحق بالأفعال، ونون النسوة وسائر الضمائر المتصلة.

وتقوم الدراسة في هذا الفصل بتوظيف السياق لمعرفة دلالات هذه اللواصق بصورها المختلفة والبداية ستكون بالسوابق، فهناك طائفة غير قليلة مـن الابنيـة الملتحمة بالسوابق التي لها دلالات متعددة، لا يمكن الوقوف علي حقيقتها إلا مـن خلال السياق وهي علي النحو التالي :

1- توظيف السياق في درس الهمزة:

الهمزة سابقة من السوابق التصريفية، تؤدى وظائف نحوية ودلالية، فمـن أهم وظائفها أنّها تشكل بناء "أفعل" ويكون في الاسم والصفة نحو: أبيض ، وأسود، وأحمر([1]).

ويشكل "أفعل" بناء للدلالة علي الأدواء والعيوب الظاهرة ، نحـو: أعمـي وأعور([2]).

1- أنظر:الكتاب:245/4،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها .تحقيق:أحمد صقر،مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده ،القاهرة ،1977،ص:374. وانظر: د.خديجة الحديثى. أبنية الصرف فى كتاب سيبويه ،منشورات مكتبة النهضة ،بغداد،ط1385،1- 1965م ،ص:146.

2- الكتاب:26/4، وشرح الشافية:144/1- 145. [2]

وتقوم سابقة الهمزة بدلالات زمنية متعددة من أهمها: أن بناء "أفعل" يـدل علي الزمن الماضي، ويدل علي الدخول في الزمن([1]). ويقال: أصبح: إذا دخـل في الصباح، وأمسي إذا دخل في المساء، وأضحي إذا دخل في الضحي، وأفجـر إذا دخل في الفجر.

ولسابقة الهمزة دلالة زمنية أخري، فهي تدل علي الحاضر والمستقبل دائماً حسب وضعها في تركيب الجملة وسياقها، لأنّه مطلوب منه حصول ما لم يحصل، أو دوام ما حصل([2]).

وعندما تقع في تركيب الاستفهام، فإنّها تدل علي المضي، نحو: أتضرب زيداً؟ لإدعاء أن الضرب واقع في الزمن الماضي، بخلاف التركيـب الـذي يحتـوي علي"هل" فإنّه يدل علي المستقبل، وسيبويه أول من اهتدي الي هذا الفـرق بـين التركيبين من حيث التباين في الزمن([3]).

ولهذه السابقة وظائف دلالية وتركيبية لا تقتصر علي هذا الحد، بل تتعداه الي تركيبات دلالية أخرى متعددة يفرق بينها السياق، ومنها: أنّها تعني الـصيرورة، أي: صار ذا كذا، نحو: أغَد البعير، أي: صار ذا غدة، وأفْلَس الرجل، أى: صار ذا فلوس، وألبن إذا صار ذا لبن([4]).

وتأتي سابقة الهمزة بمعني الحينونة والبلوغ والاسـتحقاق نحـو: أحـصد الزرع، بمعني بلغ الحصاد، وأحمدتُه، بمعني وجدتُه مستحقاً للحمد، وأقطع النخل إذاكان مستحقاً للقطع([5]) ومعنى الحينونة: "هو فى الحقيقة بمعنى صار ذا كذا، أي: صار الزرع ذا حصاد، وذلك بحينونة حصاده"([6]).

والظاهر أن هذه المعاني تتداخل تداخلاً يفضي إلي توهُم القالب التصريفى، ومعني ذلك" أشكيت الرجل "إذا أزلتُ شكواه، أو أحوجته إلي الشكاية، وأفزعـت القوم إذا أحللتُ بهم الفزع، أو أحوجتهم إلي الفزع، وأودعتُ فلاناً مالاً، دفعتُه إليه

- اشواق محمد النجار.دلالة اللواصق التصريفية فى اللغة العربية،دار دجلة،عمان،ط2،1..6،ص:261. [1]
- ابن هشام الاتصارى ،جمال الدين.شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العربز المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة ،ص:27. [2]
- الكتاب:175/3- 176. [3]
1- الكتاب:55/4،وأدب الكاتب،ص:357،345. [4]
2- الكتاب:6/4.، وادب الكاتب،ص:345،وشرح الشافية :83/1، وهمع الهومع:265/3.. [5] [5]
3- أدب الكاتب،ص:291.

وديعةً، وأودعتُه قبلتُ وديعتَه([1]). ولا يُنسى أن من معاني سابقة "الهمزة" "أفعـل" الوجود والاصابة، فاذا قِيل: "وعدني الرجل فأخلفتُه" فإن هذا القالب "أخلفتُه" متردد بين معنيين متضادين، أولهما: وجدتُه مخلفاً، وهذه هي الاصابة، وثانيهما: إنني أنا الذي لم يفي بالوعد وقد قال الشاعر([2]):

أثوى وقصر ليلة ليزودا فمضتْ وأخاف من قبيلة موعدا

ولعل مراد الشاعر المتعين من سياق القالب "أخاف" أنّه صادف وعدها خلفاً([3]).

ومما وجه وجهاً واحداً لا احتمال فيه بحسب السياق قول الشاعر([4]):

أتيت مع الحُداثِ ليلي فلم أبتْ فأخليتُ فأستعجمتُ عند خلائي

وقد أراد كما هو واضح من السياق "وجدت الموضع خالياً".

وتكون "أفْعل" بمعني الدخول في الشيئ، نحو: "أظلم إذا دخل في الظـلام" ومنـه قوله تعالي : ((وإِذَا أَظْلَم علَيهم قَامُوا))([5]).

و " أفْعل "كذلك مشترك صرفي، يكون صفة مشبهة وذلك نحو: "أعمي، وأحمـق" وقد يدل علي التفضيل نحو: "محمد أذكي من سعيد" وقد يحدث اشتباه في تـردده بين هذه المعاني في قالب واحد ما لم يحسمه السياق، ومن ذلك قوله تعالي:((وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه))([6])، أى: هين عليه، فقد حمـل معنـي القالب"أهون" علي أنّه صفة مشبهة باسم الفاعل، فليس يصح في الفهم أن يكون ثم شئ أهون علي ا من شئ تنزه أسمه، ولذا يكون المعني المستفاد من الـسياق: "هو هين عليه"([7]). وكذلك في قوله تعالي: ((إن ربك هو أعلم بمـن ضـل عـن سبيله))([8])، وذلك ان القالب "أعلم" هنا قد يكون بمعني عالم([9])، وقد يكون علـي

1- نفس المصدر ،ص:291. [1]

2- هو الاعشى ميمون بن قيس، انظر : ديوانه ،شرح: محمد مجمد حسين، مؤسسة الرسلة ،بيروت،ط1983،7،ص:277. [2]

3- ابن الانبارى، ابوبكر بن محمد بن القاسم ،تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم .الاضداد ، المكتبة العصرية،بيروت ،1987،ص:234 [3]

4- البيت منسوب الى على بن مالك العقيلى ،انظر:الجوهرى:الصحلح،وابن منظور:اللسان:"مادة"خلا".- [4]

5- البقرة :2.. [5]

6- الروم :27. [6]

7- ابوعبيدة معمربن المثنى التيمى .مجاز القرءان ،تحقيق: محمد فؤاد سزكين ،ط2، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،14.1- 1981م ،ص:121/2. والمقتضب :246/3، وشرح الكافية :256/3، وشرح المفصل:1.3/6. [7]

8- الحاقة:8. [8]

9- ابن الانبارى. ابو البركات عبد الرحمن بن محمد . البيان فى غريب اعراب القرءان ، تحقيق:طه عبد الرحميد طه ،مراجعة : مصطفى السقا ،الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ،198.م ،ص:398/2- 399. [9]

أصله في التفضيل في العلم، والمعني الكلي: هو أعلم من كل واحـد، والمعنيـان يجيئان مجيئاً صالحاً، ولا يتدافعان، وأما المعني المدفوع الذي يأباه السياق، هـو عد "أعلم" في الاية الكريمة فعلاً مضارعاً، ذلك أن السياق البنيوى لا يبيح هذا.

توظيف السياق في دراسة "أل" :

لاصقة تسبق الاسماء فتجعلها معرفة، كما تحدد أبرز دلالة من الـدلالات التي تحددها اللواصق التصريفية وهي "التعيين" إلي جانب أن لـ ـ "أل" وظـائف ودلالات تركيبية وزمنية. ويُراد بالتعيين "التعريف أو التنكير" ويجب أن لا يُفهـم أن لاصقة "أل" مختصة بالتعريف فقط ، فلها عُدة دلالات معنوية تفهم من السياق إلي جانب دلالاتها التركيبية، فمن أهم دلالاتها المعنوية:

1- أنّها تأتي للمح الأصل عندما تلتصق بالاعلام، نحو: العباس، والحارس،... فالعباس يشير إلي معني العُبوس، والحارث يشير إلي معنـي الحِراثـة([1])، قـال الخليل ابن احمد الفراهيدى: "إن الذين قالوا: الحارس والحـسن والعبـاس، إنّمـا أرادوا أن يجعلوا الرجل هو الشئ بعينه، ولم يجعلوه سمى به، ولكنهم جعلوه كأنه وصف له غلب عليه"([2]).

2- وتاتي لتدل علي معني الوصفية، ذكر ابن هشام اللخمي: أنها تدخل علـي "الفرات" وهو اسم نهر معرفة بمعني الوصفية لا التعريف"([3]).

3 - و تكون سابقة "أل" عنصراً من العناصر الاشارية إذ يقول الزجاجي: "ومـن نادر من دخلت عليه "الالف" واللام" للتعريف قولهم "الان" في الاشارة إلي الوقـت الحاضر"([4]).

وهكذا تقوم سابقة "أل" مقام ضمير الإشارة في السياق، وتـؤدي وظيفتـه، ومثال ذلك: أزورك اليوم بمعني: هذا اليوم، وأسافر الليلة، بمعني: هذه الليلة([5]).

1- الزجاجى، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق .اللامات . تحقيق:د. مازن المبارك ، المطبعة الهاشمية ،دمشق ،1389- 1969م ،ص:24. وانظر:المرادى ،الحسين بن قاسم . الجنى الدانى فى حروف المعانى ،تحقيق.د: فخرالدين قباوة وآخرين ،دارالآفاق الجديدة ،بيروت ،14.3- 1983م ،ص:196. [1]
2- الكتاب :1.1/2. [2]
3- ابن هشام اللخمى .شرح الفصيح ،تحقيق:د. مهدى عبيد جاسم ، مطبعة الفنون ،بغداد ،ط1،14.9- 1988م ،ص:273. [3]
4- انظر: الزجاجى. كتاب اللامات ،ص :38،36،29. [4]
5- د. فاضل مصطفى الساقى .أقسام الكلام العربى من حيث الشكل والوظيفة ،المطبعة العالمية ،مكتبة اتلخانجى،القاهرة ،1397- 1977م .ص:382،242. [5]

4- وتكون بمعني القبلة في قولنا: "البيت" للكعبة المشرفة، و"المدينـة"، لمدينـة الرسول صلي ا عليه وسلم([1]). فالإشارة في نحو: المدينة بمعني "هذه المدينـة"، ولا يمكن التفريق بين هذين المعنيين إلاّ من خلال السياق.

5- وتدل علي التعظيم، والتفخيم([2]) في لفظ الجلالة، أو تدل علي التوكيـد، كمـا اهتدي إلي هذا المعني عبد القاهر الجرجاني، عندما أجري فرقاً بين "زيد منطلقٌ، وزيد المنطلقُ" وذكر أنّك إذا قلت: زيد منطلقٌ كان كلامك مع من لـم يعلـم أن انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء، وإذا قلـت: زيـد المنطلقُ "كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً قد كان إما من زيـدٍ وإمـا مـن عمرو، فأنت تُعلمُه أنّه كان من زيد دون غيره"([3]).

فالدلالة المعنوية التي تؤديها سابقة "أل" ليست إذن ناشئة من البنية نفسها بقدر ما هي ناشئة من السياق([4]).

6- وتدل سابقة "أل" أيضاً علي العهدية والجنسية، فالعهديـة، نحـو:"جـاءني الرجل" وهي أن يكون بينك وبينه عهد برجل تشير إليه، لأنّه لولا ذلك لـم تقـل: جاءني الرجل، بل تقول: جاءني رجل([5]).

وتكون سابقة "أل" العهدية إما لعهد ذكرى، وهي التي عهـد مـصحوبها، بتقـدم ذكره، نحو: جاءني رجل فأكرمت الرجل، أو لعهد حـضوري، وكـان مـشاهداً كقولك لمن سدد سهماً: القرطاس، أو لعهد ذهني "علمي" وهي التي لم يتقدم ذكره، ولم يكن مشاهدا، نحو قوله تعالي: ((إذ هما في الغار))([6]).

و"أل" الجنسية إما تدل علي حقيقة الجنس، نحو: المؤمن أفضل من الكافر، أى: جنس المؤمن أفضل، أو تدل علي استغراق افراد الجنس، وعلامتهـا هـي

1- رضى الدين محمد بن الحسي- الاسترابادى، ر ن . شرح كافية ابن الحاجب .تحقيق: د. اميل بديع يعقوب ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت،1419- 1998م ،ص:325/3، وانظر : الجنى الدانى ،ص:196. [1]

2- شرح الكافية :325/3، والجنى الدانى،ص:2..- 2.1، [2]

3- دلائل الاعجاز :117 [3]

4- د. محمد صلاح الدين مصطفى بكر. النحو الوصفى من خلال القرءان .دار غريب للباعة والنشر،القاهرة ،1968 ،ص:397. [4]

5- الزجاجى .اللامات ،ص:24.وانظر: ابن هشام ، خمال الدين بن هشام الانصارى. ومغنى اللبيب عن كتب الاعاريب . تحقيق : د. مازن المبارك وآخرين ،مراجعة: سعيد الافغانى ،ط6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1985م ،ص:72. [5]

6- التوبة :4. [6]

صحة تبديلها بـ "كل" حقيقة، كقوله تعالي: (والعصر إن الأنسان لفي خـسر)([1])، بمعني كل أفراد الأنسان، أو تدل علي صفات الأفراد، وعلامتها هي صحة تبديلها بـ "كل" مجازاً، نحو: أنت الرجل حقاً، بمعني أنت جامعُ كل صفاتهم([2]).

واتجه الدرس اللغوي الحديث إلي أن "أل" الجنسية لا تدل علي التعريـف، ذلك أن دلالة الجنس دلالة العموم والشمول، ودلالة التعريف هـي التحديـد، ولا يجوز الجمع بينهما، فمثلاً تفيد "أل" في قوله تعالي: (وأخاف أن يأكُلَه الذئبُ)([3])، أى ذئب دون التعريف([4])، لذا فلا يجوز الجمع بين التحديد، والعموم، والشمول.

لذا ترى الدراسة أن غلبة وظيفة التعريف علي هذه السابقة فـى الـدرس اللغوى القديم والحديث إجحاف بحقها، لأن دلالتها تتعدى التعريـف الـي تأديـة وظائف أخرى متعددة يتحكم فيها السياق الذي ترد فيه.

توظيف السياق في دراسة سوابق المضارعة " أ،ن،ت،ى":

إن لواصق المضارعة هـي مورفيمـات مقيـدة bound morpheme تتكون من مقاطع قصيرة تتـصل بالمورفيمـات الحـرة free morpheme "فَعلَ".

ويتم بناء الفعل المضارع بتحويل البنية من "فعل" إلي "يفعـل" بتغيـرين: أولهما: إسقاط المُصوت الفائي في "فعل"، وثانيهما: تحويل المُـصوت، "الفتحـة" اللامي، في"فَعل" إلي الضمة([5]).

والفعل المضارع قد يكون مسبوقاً بالهمزة، والنون، والتاء، والياء، فالهمزة للمتكلم وحده، نحو: أقُوم أنا، والنون للمتكلم مع غيره، نحو: نقُوم نحـن، والتـاء للمذكر المخاطب، نحو: تقوم أنت، أو للمؤنثة الغائبة، نحو: تقُـوم هـي، واليـاء للمذكر الغائب، نحو: يقُوم هو([6]).

---

1 - سورة العصر: 1- 2 [1]

2- مغنى اللبيب :73 ، وانظر: الرمانى ،ابو الحسين على بن عيسى. معانى الحروف ،تحقيق :د.عبد الفتاح اسماعيل شلبى ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط3،جدة ،14.4ه-1984،ص:65. واللامات :21- 22. [2]

3- سورة يوسف:الآية:13. [3]

4- النحو الوصفى منخلال القرءان الكريم :433- 434. [4]

5- د.حسام الدين النعيمى. ابحاث فى أصوات العربية ،ط1،دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ،1998م ،ص:27. [5]

6- الكتاب:13/1 ،وانظر المبرد ابو العباس محمد بن يزيد ،تحقيق:محمد عبد الخلق عضيمة ،عالم الكتب ،بيروت ،ص:2/2. وشرح الكافية:13/4- 14. [6]

والتحقيق في هذه السوابق أن تقوم الهمزة، ثم النون، ثم التاء، ثـم اليـاء، بحسب المتكلم، والمخاطب، والغائب([1])، وسُميت بحـروف بالمـضارعة، لانهـا تضارع اسماء الفاعلين، فمثلاً : إن عبد ا ليفعل، يوافـق قولـك: إن عبـد ا لفاعل([2]).

وتلتصق هذه السوابق بالافعال وحدها، وتحدد الشخص والعدد، والنوع([3])، ولها دلالات أخرى.

وجدير بالذكر أن الهمزة والنون لا تحددان النوع، والتاء والياء لا تحددان العدد، وإذا ُأريد تحديدهما، فتُعين بلاصقة الألف، أو الواو، أو نون الاناث([4]).

ولتوضيح دور السياق في توظيف سوابق المضارع تقوم الدراسة بتطبيق ذلك علي سابقة "التاء".

توظيف السياق في دراسة سابقة "التاء":

هذه السابقة خاصة بالفعل المضارع – كما اسلفنا القـول – ولهـا دلالات تصريفية، تحدد النوع([5]) والشخص([6]) والجنس، والعدد([7])، والزمن([8])، لكن مـن خلال السياق، ومن ذلك سابقة "التاء" في الفعل المضارع "تحمـل" فهـي صـيغة مترددة بين التذكير والتأنيث، والخطاب والغيبة، والسياق هو المحتكم، فلو قيـل: هى تحمل، وأنت تحمل، وهى تضرب وأنت تضرب، لا يعين علي تحديد المعني هنا الا السياق، لان كلمة "تحمل" في الجملة الاولي للغيبة والتأنيث، وفي الثانيـة، للخطاب والتذكير، ومثلها كلمة "تسمعان" وما يجـرى مجراهـا، ففيهـا يتوحـد الجنسان، فقد تكون لمخاطبين أو لمخاطبتين، وقد تكون لمؤنث في غيبـة: همـا تسمعان، فلا يكاد يظهر دلالتها الا في السياق.

1- لالة اللواصق التصريفية فى اللغة العربية،ص:14.. [1]

2- لكتاب :14/1. [2]

3- . عبد الرحمن ايوب دراسات نقدية فى النحو العربى ،مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع ،الكويت،ص:75. والنحو الوصفى من خلال القرءان الكريم ص:3.3. [3]

4-- فس المصدر،ص:73. [4]

5 - التذكير أو التأنيث. [5]

6 - التكلم أو الخطاب أو الغيبة. [6]

7- لمفرد أو المثنى أو الجمع. [7]

8- ماضى أو مضارع . [8]

ومن أمثلة ما تقدم قوله تعالي:((وألق ما في يمينك تلقف ما صـنعوا))([1])، فالفعل "تلقف" محتمل لمعنيين صرفيين متضادين، أولهما: الخطاب والتذكير، ولهذا يكون الفاعل "موسى" عليه السلام، وثانيهما: الغيبة والتأنيث، وعلي هذا التقـدير تكون العصا فاعلاً([2]).

وكذلك قول الفرزدق([3]):

يداك يد إحداهما النّيلُ كُلُّه   وراحتك الاخرى طعان تُغَامِرُه

موضع التأمل في البيت قوله: "تغامره" ذلك أن هذا الفعل صالح لأن يدل علـي الخطاب والتذكير: أنت تغامره، وصالح– من وجهة أخرى– لأن يدل علي التأنيث والغيبة: هى تغامره([4]).

أما توظيف السياق في معرفة زمن الفعل المضارع المسبوق بتلك الـسابقة فيتضح عندما تكون هناك تاءان فى أول الفعل المـضارع، فتحـذف احـداهما، فيفضى هذا الى تردد الفعل بين المضى والمضارعة، وذلـك نحـو:" تلظـى" و" تمنى"و" تيقظ"- وهذا من نظر برانى خـاطف – أفعـال ماضـية، وقـد تكـون مضارعة، والتاء محذوفة، والمعنى "تتلظى" و"تتمنى " و"تتيقظ" ،والحق أن السياق البنيوى كفيل أمين لرفع هذا الاشتباه، وإن قصّر أحياناً. ومن ذلك قولـه تعـالى :((فأنذرتكم ناراً تلظى))([5])، والمعنى "تتلظى"، وليس يصح فى الفهـم أن يكـون الفعل – فى مظهره الخارجى – ماضياً، وإلاّ لقيل "تلظـت"؛ لأن التأنيـث مـع المجازى واجب اذا كان ضميراً متصلاً"([6]) .وفى قوله تعالى: ((فإن تولوا فـإن ا   عليم بالمفسدين))([7])، فهو ذو دلالة واضحة لما أنا خائض فيه من أن السياق

---

1 – سور طه :2. [1]

2 – مكى بن ابى طالب مشكل اعراب القرءان .تحقيق: حاتم الضامن ، وزارة الاعلام ،بغداد،1975م ،ص:468/2. وانظر:ابن الانبارى، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. البيان فى غريب اعراب القرءان.،تحقيق: طه عبد الحميد طه ،مراجعة:مصطفى السقا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة.،198 ،ص:148/2. والعكبرى. التبيان :896/2. [2]

3- انظر :ديوانه، دار صادر،بيروت،196. ،ص:76/1. [3] وفى رواية اخرى: فى المخصص - (ج 1 / ص 1.1)
يَدَاكَ يَدٌ إحداهُما الجُودُ كُلُّه ... وراحَتُك الأُخْرَى طِعَانٌ تُغامِرُه.

4- الفارسى ،أبو على الحسن بن أحمد.تحقيق: حسن هنداوى ،ط1، دار القلم ،دمشق،دار العلوم والثقافة ،بيروت،1987م ،ص:224. [4]

5- سورة الليل :14. [5]

6 - ابن هشام المغنى،ص:741/2. [6]

7 - آل عمران :63. [7]

هو المُقْرر والمُحتَكَم؛ ذلك أن " تولوا " قد يكون ماضياً، وبهذا يتقرر أن لا شيء محذوف البتة، وقد يكون مضارعاً، فيتقرر أن ثمة "تاء" محذوفة من أوله، والمعنى "فإن تتولوا". ومنه قول الشاعر:([1])

تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او([2]) مضر

فالفعل بين المضى والمضارعة، وفيه خلاف، فإذا قُدر الفعل مضارعاً، أى: تتمنى، فلا ضرورة فيه وإذا ماكان بالضد ففيه ضرورة([3]).

وتلخيص القول: أن لسوابق المضارعة دلالات زمنية لا يمكن تحديدها إلاّ بواسطة السياق، إذ أن السياق يضم من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية والتاريخية، ما يساعد على فهم الزمن فى مجال أوسع من مجال أبنية الصرف المحدودة، الاّ أن هذا لا يعنى أن لواصق المضارعة لا تدل بذاتها على زمن معين؛ لأن تعيين الزمن فى لواصق المضارعة يتوقف على قرينة سواء أكانت لفظية أو معنوية([4]).

توظيف السياق فى درس سابقة الميم:

الميم من سوابق الاسماء يتم بناؤها عن طريق إلصاق (الميم) ببنية "فعل" فتصير "مفْعل" بفتح العين أو "مفْعِل"([5]) بكسر العين. وهى إلى جانب كونها بنية ذات معانٍ متعددة، تؤدى وظائف مهمة ضمن إطار التركيب والسياق، فقد تدل على الزمان والمكان والآلة والمبالغة والمصدرالميمى واسم الفاعل واسم المفعول، جاء فى شرح الشافية([6]): "أنّ المصدر الميمى، واسم المفعول، واسما الزمان والمكان، مشتركة فى الوزن، ويميز بينها بالقرائن. وتعتبر قرينة السياق الحكم الفصل وكبرى القرائن فى هذه المواضع، نحو:

1- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد.تحقيق:زهير زاهد ،ط3، عالم الكتب ،ومتبة النهضة العربية ،بيروت ،1988م ،ص:383/1. وانظر: مغنى اللبيب،ص:8.8/2 ،والعكبرى التبيان ،ص:268/1. [1]

2- البيت للبيد بن ربيعة ،انظر: ديوانه ،تحقيق: احسان عباس ،وزارة الارشاد والانباء،الكويت،1962م ،ص:213. [2]

3- جمال الدين بن هشام شذور الذهب .تحقيق :عبد الغنى الدقر،ط2، الدار المتحدة ،دمشق،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1994م ،ص:221. [3]

4- دلالة اللواصق التصريفية فى اللغة العربية ،ص:264. [4]

[5]- انظر:الكتاب،28/4،319،88،ومعانى القراءن :171،وشرح شذور الذهب:254، ومصطفى النحاس . مدخل الى دراسة الصرف العربى على ضوء الراسات اللغوية المعاصرة ،ط1،مكتبة الفلاح ،الكويت،،14.-1981،ص:52- 53:

[6]- شرح الشافية :188/2

- مُنْسكَب: اسم زمان ، أى: وقت الإنسكاب.
- مُرتَقَى: اسم مكان، أى: مكان الارتقاء.
- مُنْتَظَر: مفعول، أى :أن القوم ينتظرونه.
- مُعتَقِد :مصدر ميمى، يذهب الى دلالة الاعتقاد.

كما ان قالب"مفْعِل"بكسر العين بزيادة سابقة الميم قالب مرشح لعدة معـانى صرفية، فقد يستوعب اسم الزمان والمكان والمصدر، ومما جاء مـستوعباً لهـذه الوجوه جميعاً قوله تعالى :((فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخْلِفه نحن ولا انت مكاناً سوى))([1]). فالموعد فى هذا السياق الشريف محتمل للمصدر، ويعضد هذا قولـه تعالى: ((لا نُخْلِفه نحن ولا أنت))، ومحتمل للزمان، ويعضده: قوله((موعدكم يوم الزينة))، ومحتمل للمكان، ويعضده: ((مكاناً سوى))([2]).

وجاء قالب(مفعل) بفتح العين على معانٍ صرفية متعددة مع توحد اسمه، قـال تأبط شراً([3]):

وقالو لها لا تَنْكِحِيه فإنّه لأول سيف أن يلاقى مصرعا

ذلك أن(المصرع): يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون اسم المكان الذى يصرع فيه.

وإذا قلت: انتظرتك حتى مطلع الشمس، فيحتمل أن تكون كلمة "مطلع" للدلالة على المصدر الميمى، والمعنى: انتظرتك حتى طلوع الشمس، ويحتمل ان تكون اسـم زمان. وكذا إذا قلنا: "مقتل الرجل بين فكيه"، إلاّ أن هذه الجملة قد تكون جليـة لا لبس فيها، وذلك لتدخل السياق البنيوى فى توجيهها، إذ ينبىء السياق أن "المقتـل" اسم مكان، والذى رشّح هذا المعنى، هو ذكر الفكين. أما إذا قلنا: "يـؤلمنى ذلـك المقتل"، فإن احتمال تعدد المعنى يطل برأسه ما لم يسعفه السياق، فيجوز فى هذه المقولة وجهان:

---

[1]-.طه :58- 59

[2]- ابن هشام. مغنى اللبيب.:2- 776ز وقد رجح العكبرى كونه مصدرا ،انظر: ابو البقاء عبد الله بن حسين العكبرى . التبيان فى اعراب القراءن .:تحقيق: على البجاوى،ط2،دار الجيل،بيروت،1987- ،ص:893/2

[3]- تفسير البحر المحيط :4/7.وانظر: الأغاني - (ج 5 / ص 372)
هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار..

الاول: المصدر الميمى، والمعنى"القتل".

الثانى: اسم المكان، والمعنى: أن القائل يعتريه ألم فى موضع من مواضع الجـسم التى تعد مقاتل.

المبحث الرابع

توظيف السياق فى درس المقحمات

تتميز طائفة غير قليلة من المقحمات فى اللغة العربية بالسمة البنائيـة، إذ تتشكل بواسطتها بعض الابنية الصرفية بدلالات متنوعة، ومن أهم المقحمات التى تؤدى وظائف بنائية فى اللغة العربية وتقع فى حشو بنيـة الكلمـة مـا يـأتى: الياء،الالف، الواو، التضعيف.

أولاً: توظيف السياق فى درس "الياء":

الياء من المقحمات التى تشكل كثيراً من الابنية الصرفية([1])، وتضفى عليهـا دلالة صرفية محددة بمعونة السياق، ومن أشهر الأبنية التى تُقْحم فيها الياء بنـاء" فعيل"، فهو قالب يستوعب المصدر، والصفة الشبهة، وصيغة المبالغة، وقد يكـون بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول، وقد يتردد بين الأثنين ([2]) ولننظر إلى الأمثلة الآتية بياناً وتمثيلاً لما تقدم:

1- هذا رجلٌ قديرٌ اللجاجةِ والبيان. (قدير)

2- نعمل على تحرير الوطن السليب. (السليب)

3- اسماؤكم عندى فى ملف حفيظ . (حفيظ)

4- كيف يرضى هذا التِبيع الاستعباد . (التبيع)

يتكرر فى هذه الجمل القالب التصريفى " فعيل"، وهو فى الجملـة الاولـى غير محتمل؛ إذ أنّه جاء صفة مشبهة، والمعنى الكلى قريب من اسم الفاعل. أمـا فى الجملة الثانية، فقد قام القالب "السليب" مقام "المسلوب"، والمعنـى أنّـه اسـم مفعول. أما فى الثالثة فالأمر مغاير؛ إذ أن هذا القالب يتردد بين معنى اسم الفاعل واسم المفعول، وكلاهما متقبل، فقد يكون الملف محفوظـاً، وقـد يكـون حافظـاً للاسماء، والامر كذلك فى الجملة الاخيرة؛ إذ أن "التّبِيع" تحتمل أن يكون التابع، أو أن يكون المتبوع، وتكون الجملة عمادها التعجب من المتبوع الذى يرضى لغيـره

---

[1]- د.ميشال ذكريا .الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،14.2- 1982نص:14.

[2]- انظر: ظاهرة اللبس فى العربية ،ص:114

المهانة والاستعباد، أو التعجب من التابع الذى هانت عليه نفسه فرضى بالذل والهوان، وقد صدق الانبارى لما جعل بعض الكلمات التى أُنزلت هذا المنزل "فعيل" من الاضداد([1]).

وعلى صعيد صرفى آخر قد تقوم "فعيل" مقام"مُفْعِل" بضم الميم وكسر العين، و"مُفْعل" بضم الميم وفتح العين، ومن ذلك:

1- هذا جُرح أليم، "مُؤْلم".

2- محمد صاحب رأى حكيم، "مُحكَم" .

ويرد هذا البناء اسماً وصفة، فالاسم نحو: بعير، وقضيب، والصفة، نحو: شديد، وظريف([2])، ويأتى مصدراً للدلالة على الأصوات، نحو: زئير، ونعيق، أو للدلالة على اقتران الصوت بالحركة، نحو: خرير، وهزيز([3]) ويشكل "فعيل" بناء من أبنية الصفة المشبهة سواء أكانت قياسية أو سماعية، نحو: جميل، وحريص([4])... أو بناء من أبنية المبالغة، نحو: عليم، وخبير، وسميع([5]) .

ويأتى "فعيل" بمعنى "مفعول" للدلالة على ثبوت صفة لشخص ما، نحو: قتيل، جريح، وذبيح، ويستوى فيه المذكر والمؤنث، فيقال: رجلٌ جريح، وامرأةٌ جريح([6]).

ومن الناحية الزمنية فقد يدل "فعيل" على الماضى أو المضارع، يقال: شاةٌ رمى، أذا أردتَ أن تخبر أنّها قد رميت([7]).

ولللياء المقحمة وظيفة مهمة فى تشكيل أبنية التصغير، اذ تعتمد اعتماداً اساسياً على (الياء) فى أبنيتها([8])، وخير دليل على ذلك، دخولها فى أبنية التصغير، نحو: فُعيل، وفُعيعِل، وفُعيعِيل([9]).

---

[1]- الانبارى .الاضاد :142، 372

[2]- انظر: سيبويه .الكتاب :267/4، وابن عصفور الاشبيلى . الممتع فى التصريف .تحقيق:فخر الدين قباوة ،ط4،منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ،1399 – 1979 نص:1/ 84

[3]- سيبويه- الكتاب: 4/ 14 وابن قتيبة. أدب الكاتب :47، والصاحبى :375

[4]- الصاحبى:375، وشرحالشافية :148/1

[5]- سيبوية. الكتاب :1/ 11.،والمقتضب: 115/2.

[6]- سيبويه .الكتاب:647/3 ،وانظر نزهة الطرف فى علم الصرف:23

[7] الكتاب:3/ 648-

[8] [8]-ابن عصفور،المقرب:2/ 81

9- الكتاب:415/3،واللمع:275 ،والتصريح :317/2- 318

ونسبةً لدخول "الياء" فى كثير من الأبنية الصرفية مع توحـد البنـاء فـى بعضها فقد يحدث اشتباه والتباس فى دلالة تلك الابنية لا يقوم برفعه الاّ الـسياق، الذى يقف حكماً عند الاختلاف، فالدلالة مفتوحة على كل المعانى مـا لـم يعمـل السياق على رفع هذا الاحتمال.

توظيف السياق فى درس "الالف":

من المقحمات التى تشكل كثيراً من الأبنية الـصرفية([1])، ويقـوم الـسياق بتوظيفها فى دلالة محددة، ومن أشهر الأبنية التى تقوم الألـف بتـشكيلها "بنـاء فاعل"- بفتح العين- و"فاعِل"- بكسرها-، فقالب "فاعِل" حمـال لمعـان صـرفية متنوعة، ومن ذلك أنّه يأتى اسم فاعل، واسم مفعول، ومصدراً، وصـفة مـشبهة، وبمعنى النسب. ولا يخفى التقاء هذه المعانى الصرفية على صيغة واحدة متماثلـة مما يعمل على فرز مواضع لبس محتملة،([2]) لا بد لها من محدد دلالى تتكأ عليـه لتوضيحها، وكان هذا المتكأ هو السياق. ومن ذلك قوله تعالى: ((فهل ترى لهم من باقية))([3])، والمعنى فى الاية الشريفة: هل ترى لهم من نفس باقية، أو مـن أثـر باق، وقد تقوم "فاعِلة "مقام المصدر هنا فيكون المتعين: فهل ترى لهم من بقاء([4]) ،وقد سجل القرآن الكريم هذا اللون من التبادل الوظيفى المستند على السياق فـى كثير من الآيات بين اسم الفاعل واسم المفعول، ومن ذلك قوله تعالى :((فلينظـر الانسانُ مم خلق خلق من ماء دافق))([5]): بمعنى: مدفوق([6])، وقال تعـالى: ((لا عاصم اليوم من أمر ا الاّ من رحم))([7])، وقوله تعـالى: ((فهـو فـى عيـشة

---

[1] - دلالة اللواصق التصريفية فى اللغة العربية ،ص:

[2] --ظاهرة اللبس فى العربية ،ص:119

[3] - الحاقة :8

4- بن قتيبة ،ابو محمد عبد الله بن مسلم .تفسير غريب القراءن .تحقيق:السيد أحمد صقر ،المكتبة العلمية ،بيروت،1978م،صك483. وانظر:شرح الكافية :176/1،وشرح المفصل : 53/6 [4] وقال الطبرى: تفسير الطبري - (ج 22 / ص 558) بمعنى: فهل ترى لهم من بقاء; وكما قيل: العاقبة وماله من ناهية، وكما قيل(لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) بمعنى تكذيب،(وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) بمعنى خيانة.

[5] - الطارق:5- 6

[6] - انظر: تفسير القرطبى: 499/4. وفى دافق ما ليس فى مدفوق لما فى اللفظة من قوة واندفاع

7- هود :43 [7]

راضية))([1])، أى: مرضية([2]). حيث نهضت الدلالة لهذا الدور التبادلى الـوظيفى معتمدة على السياق.

ويتضح مما تقدم أن كل بناء من الأبنية العربية يشير إلى دلالات متعددة؛ ولهـذا قيل: إن الأبنية العربية "ما هى إلاّ قوالب فكرية تُصبُ فيها المعـانى فتحـددها وتعطيها حجمها ومعناها "([3])؛ لأن الكلمات فى الواقع لا تتضمن دلالة مطلقة، بل تتحقق دلالتها فى السياق الذى ترد فيه([4]). وعليه فقد يـدل اسـم الفاعـل علـى المصدر، نحوقوله تعالى: ((ولا تزال تطلعُ على خائنةٍ منهم الاّقلـيلا))([5])، أى: خيانة([6])، وقوله تعالى:(أزفـت الآزفـة لـيس لهـا مـن دون ا كاشـفة)([7])، أى:كشف([8]). وقوله تعالى: ((أنّا إخلـصناهم بخالـصة ذكـر الـدار))([9])، أى: الاخلاص. وقوله تعالى: ((فأما ثمود فأهلكوبالطاغية))([10])،أى: الطغيان([11]).

وتدل صيغة اسم الفاعل على الازمنة الثلاثة، حسب ورودها فى السياق، فقد تدل على الماضى، كما فى قوله تعالى :((فاطر السموات والارض))([12]). وقـد تـدل على الحال، كما فى قوله تعالى: ((فما لهم عن التذكرةمعرضين))([13])،فمعـرض تدل على الحال([14]). ونظيرها مالك واقفاً، أى: ألآن. وقد تدل على الاسـتقبال، نحو قوله تعالى: ((إنّى خالقٌ بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه مـن روحـى فقعوا له ساجدين))([15])، أى: سأخلق، دل عليه ما بعده من جملة الشرط. ونظيره قوله تعالى: ((إنّى جاعل فى الارض خليفة))([16])، وهذا مفهوم من سياق الايـة،

1-القارعة :6 [1]

2- انظر: تفسير القرطبى:366/6. والاتقان :27/1.. [2]

3- د.فاضل السامرائى معانى الابنية فى العربية ،بغداد،ط14.1،1- 1981،ص:14. [3]

4- الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،النظرية الالسنية ،ص:14. [4]

5- المائدة - 4 [5]

6- انظر: [6]

7- النجم:57- 58 [7]

8- انظر: [8]

9- سورة، ص: 46 [9]

10- الحاقة: 5 [10]

11- انظر: [11]

12- ابراهيم:1. ،وفاطر:1 [12]

13-المدثر:49:15

14- إعراب القرآن ،للزجاج :24/1. [14]

15-البقرة :3. [15]

16-البقرة :3. [16]

بدليل قول الملائكة: ((قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها)). ونظيرها كـذلك قولـه تعالى: ((ربنا إنّك جامعُ الناسِ ليوم لا ريب فيه))([1])، أي: ستجمع النـاس ليـوم القيامة([2]).

ومن وظائف اسم الفاعل كذلك أنّه يدل على الاستمرار والدوام بمـساعدة قرينـة السياق، نحوقوله تعالى: ((إن ا فالق الحب والنوى...))([3]) وقوله تعالى: ((فالق الإصباح))([4])، فَفَلْقُ الحبِ والنوى مستمر، وكذلك يفلق الإصباح فى كل يوم.

توظيف السياق فى درس التضعيف:Reduplication:

التضعيف من المقحما ت التى تؤدى وظائف صرفية بنائية دلالية، وهـى لاصقة تقع فى حشو بنية الكلمة، ومن أهم وظائفها أنّها تشكل بناء" فَعل" بدلالات صرفية متعددة منها: أنّها تأتى بمعنى الصيرورة، أى: صار ذا كذا، نحو أن يقال: حجر الطين، إذا صار كالحجر فى الجمود([5])، وعجزت المرأة وثيبت، إذا صارت عجوزاً ثيباً. وتستعمل لاصقة التضعيف "فَعل" للدلالة على نسبة الشىء إلى أصل الفعل، نحو: كفّرتُ زيداً، نسبته إلى الكفر، وقد قيل من كفّر مـسلماً فقـد كفـر. ويقال: جهلتُ فلاناً، بمعنى: نسبته إلى الجهل، وفَسقْتُ فلاناً، بمعنى: نسبته إلـى الفسق([6]).

وترد بمعنى السلب والإزالة، نحو: قشّرتُ التفاحة، بمعنى: أزلتُ عنهـا قـشرها، وقّذّيتُ عين فلان، إذا أزلتُ عنها القذى([7]).

وترد بمعنى اختصار حكاية الشىء، نحو: سبح، إذا قال: سبحان ا ، وهلّـل: إذا قال: لا إله إلاّ ا ، ومنه قول الرسول صلى ا عليه وسـلم: (إذّا كبـر الإمـام فكبروا)([1])، بمعنى: إذا قال الإمام: (ا اكبر فقولوا مثله: ا اكبر.([2])

---

[1] 1-ال عمران: 9

[2] 2-انظر: تفسير ابن كثير:349/1.

[3] 3-الانعام :95

[4] 4-الانعام :96

[5] 5-احمد محمد اليدانى . -نزهة الطرف في فن الصرف.تحقيق:لجنة احياء التراث العربى ،ط1 ،دار الافاق الجديدة ،بيروت ،14.1-1981،ص:15

[6] 6-المصدر السابق،ص:15 .وانظر شرح الشافية :94/1

[7] 7-ابو حيّان الاندلسى .ارتشاف الضرب من لسان العرب .تحقيق:محمد محى الدين عبد الحميد ،ط14، مطبعة النسر الذهبى ،14.4- 1984،ص:84/1

ولاتقتصر المعانى التى تدل عليها "لاصقة التضعيف"فى بناء "فَعل"عند هذا الحـد، بل تتعداه إلى تأدية دلالات معنوية أخرى، لافادة أغراض ومعانٍ متعددة تفهم من قرائن السياق منها: التكثير والمبالغة، نحوقوله تعالى:((وغَلّقَتْ الأبواب))([3]).

وأما من ناحية دلالتها على الزمن، فهى من المقحمات التى تحدد الزمن الصرفى فى بناء "فعل" وهولذاته يدل على عمل شىء فى زمن المشتق منه، نحو أن يقال: صبح للاتيان صباحاً، ومسى، بمعنى فعل شىء فى زمن معين، ويدل" فَعل" بذاته على الزمن المضى([4]).

لذا فإن لاصقة التضعيف من المقحمات التى تـشير إلـى دلالات معنويـة متعددة، لايمكن التفريق بين هذه المعانى إلاّ بواسطة السياق.

توظيف السياق فى درس "الواو":

الواو من المقحمات التى تدخل فى تشكيل كثير من الأبنية الصرفية، وهـى تشكل بناء" فعول" للدلالة على معانٍ صرفية متعددة، منها: أن بناء" فعـول" يـرد اسماً وصفةً، فالاسم، نحو: خروف، والصفة، نحو: عجوز([5]).

ويأتى "فعول"للدلالة على المبالغة، نحو: صبور وشكور، وغفور([6])، ويـستوى فيه المذكر والمؤنث، سواء أكانت بمعنى" فاعل" للدلالة على المبالغة، نحو: رجل صبور وامرأة صبور([7])، أو بمعنى "مفعول" للدلالة على المبالغة، نحو: رسـول، بمعنى مُرسلٌ.

وتلتصق به لاصقة التاء المربوطة، للأوصاف المؤنثـة، نحـو: حلوبـة وركوبة([8]).

1- مسند الامام احمدبن حنبل، تحقيق:صدقى محمد جميل العطار،ط2،دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع ،بيروتن1414- 1994 :438/3 [1]

2-ابو حيان .ارتشاف الضرب من لسان العرب:84/1 ،وانظر:تسهيل الفوائد :198 [2]

3- يوسف:23 [3]

4-شرح الشافية: 95/1 [4]

5- سيبويه.الكتاب:11/1.،384/3،و انظر:ابن هشام، جمال الدين بن هشام الانصارى. شرح قطر الندى وبل الصدى. تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد ط11،مطبعة السعادة،القاهرة،1383- 1963م،ص:274 [5]

سيبويه.الكتاب:11/1. .وانظر:ابن سيدة.على بن سليمان بن سيدة الاندلسى.المخصص،تحقيق:لجنة إحياء التراث العربى،منشورات دار الافاق الجديدة،ص:12/4.وشرح الشافية :162/1. [6] [6]

6-المبرد. المقتضب:165/3. -

7- نزهة الطرف فى علم الصرف:24 [8]

وذكر الثعالبى أن أكثر الادوية تبنى على"فعـول" كـاللعوق، والـصعُوط، والقَطُور([1]).

أما"فُعُول" بضم الفاء فيشكل بناء من أبنية جموع التكـسير للدلالـة علـى الكثرة، نحو: قَلْب وقُلُوب، وكَبد وكُبُود، وأَسد وأُسُود([2]). كما يكون للمصدر نحو: وصل وُصُولاً، وورد وُرُوداً، ولَزم لُزُوماً.

1-الثالبى.فقه اللغة وسر العربية :343.وانظر:المخصص:1.1/5-1.2 [1]

2-المؤدب،القاسم بن محمد بن سعيد .دقائق التصريف،تحقيق:د.احمد ناجى القيسى وآخرين،مطبعة المجمع العلمى العراقى،بغداد، 14.7- 1987م ،ص:399 [2]

المبحث الخامس

توظيف السياق فى درس اللواحق:suffixes

تتميز طائفة غير قليلة من اللواحق فى اللغة العربية بالـسمة البنائيـة، إذ تُشَكل بواسطتها بعض الابنية الصرفية بدلالات متنوعة تظهر من خلال الـسياق، ومن أهم هذه اللواحق التى تؤدى وظائف بنائية فى العربيـة: التـاء المربوطـة، والضمائر المتصلة، ولاحقة الياء، والتنوين، وغيرها. ولسنا بسبيل ذكرهـا كلهـا خشية الإطالة أو الإفلات من دائرة البحث.

أولاً- توظيف السياق فى درس لاحقة"التاء المربوطة":Agglutination

التاء من لواصق النوع، تلحق كثيراً من الأبنية الصرفية، ويقال لهـا تـاء التأنيث، وعدها سيبويه لاحقة فى قوله: "وإنّما لحقت "الهاء"كمـا تقـول: نـسابة للنّساب وليست "الهاء" من البناء فى شىء، إنّما تُلحق بعد البناء"([1]).

ولهذه اللاحقة دلالات متعددة يتدخل السياق فى تحديد اتجاهاتها. فقد أكدت الحقيقة اللغوية أن لاحقة التاء لاتدل على التأنيث فقط، وإنّمـا هـى ذات دلالات ووظائف بنائية، ومعنوية وزمنية مختلفة.

وتلحق التاء المربوطة بناء" فَعل" لتشكيل" فَعلَة " وهو من المصادر الدالـة على المرة، نحو: جلْسة، ونَظْرة وضربة ([2])... إذ يدل على وقوع الحدث مـرةً واحدةً([3]).

ولا يدل بناء"فَعلَة" على المرة مطلقاً؛ لأنّه قد يدل على مطلق الحـدث، أو يؤدى قيمة دلالية خاصة تظهر من خلال السياق، نحو:"رحمة"([4]) التـى تخلـص للمصدرية.

وتلحق لاحقة التاء بناء" فِعل" لتشكيل" فِعلة" للدلالة على اسم الهيئة، ويـدل هذا البناء على الهيئة، إن كان بناء المصدر عليها، فى نحو: الجِلْسة، والرِكْبة، كما يدل على الهيئة بالصفة فى نحو: حسنُ الرِكْبة، وجلستُ جِلْسة حسنَة([1]).

1-الكتاب:247/4 [1]

2- سيبويه .الكتاب:86/4،45 [2]

3- ابن قتيبة.أدب الكاتب. [3]

4- شرح الشافية:151/1- 152. [4]

ويتأتى بناء"فِعلة" على ضربين:

أحدهما: للحال التى عليها المصدر، ولا يراد بها العدد، وتظهر من السياق نحـو: فلان حسنُ الجِلْسة، ويراد بذلك أنّه متى جلس كان جلوسـه حـسناً فـى أوقـات جلوسه، إذ أن ذلك عادته فى الجلوس.

وثانيهما: أن يكون مصدراً كجميع المصادر، لا يراد به حال الفاعل فى" فَعلَة "، نحو: درى فلان دِرية([2]).

ويدل بناء " فُعلَة " على المبالغة فى صفة المفعول به، لكثرة ذلك الفعل عليه، نحو: ضُحكَة للذى يضحك منه الناس، ولُعنَة ، للذى يلعنه الناس([3])، وسُخْرة، للذى يسخر منه الناس ... وقد يدل هذا البناء على الألوان فى نحو: الحُمـرة والكُـدرة والشُهبة([4]).

ويدل بناء "فَعلَة" على جمع الكثرة، ويصاغ من وصف لمذكر عاقل صـحيح اللام، نحو: كامل و كملَة، ساحر و سحرة، وسافر وسفَرة([5]).

ويدل بناء "فِعلَة"، على جموع الكثرة([6]) كذلك، نحو: قِرد وقِردة([7]).

ويدل بناء"فُعُلَة" على الكثرة([8])، ويقاس فى "فاعِل" صفة للمذكر العاقـل فـى معتل اللام، نحو: قاضى، وقضاة، وغاز وغزاة، وعار وعراة، ورام ورماة، ومنه قول الاعشى:([9])

إما ترينا حفاةً لا نعال لنا إنّا كذلك ما نحفى وننتعل

وينتقل بناء "فُعلَة" من جموع الكثرة إلى المبالغة فى صفة اسم الفاعل، لكثرة ذلك الفعل عليه، يقال:ضُحكَة، إذا كان يضحك من الناس، وسُخَرة، إذا كان يسخر من الناس، ولُعنَة، إذا كان يلعن الناس([10]).

1- شرح الشافية :18/1.، وأوضح المسالك:265/2. [1]
2- المخصص:158/14، وشرح الشافية: 18/1.- 181. [2]
3- فقه اللغة وسر العربية: 33.. وشرح الشافية : 162/1.ومعانى الابنية فى العربية :72. [3]
4- الكتاب: 25/4، وشرح الشافيو 156/1. [4]
5- أوضح المسالك: 26/3.. [5]
6- الكتاب:575/3. [6]
7- إرتشاف الضرب:2.5/1. [7]
8- الكتاب: 631/3، والمقتضب:221/2. [8]
9- ديوان الاعشى الكبير.تحقيق: د. محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، ص:59. [9]
10- الانبارى. المذكر والمؤنث:165/2- 166، وفقه اللغة وسر العربية :33.، ونزهة الطرف فى علم الصرف:25. [10]

وتؤدى لاحقة التاء المربوطة وظائف دلالية معنوية، فضلاً عن دلالتها الأصـلية التى هى التأنيث، من أهمها: أنّها لتمييز واحد الجنس من جمعـه، نحـو: تمـر: وتمرة، وشجر:وشجرة، ومنه قوله تعالى: ((قالت نملة))([1]). إذ أن إلحـاق التـاء ب"قالت" لا يدل على أن النملة مؤنث؛ لأن التاء للوحدة، فتكون تاء"قالـت" لتـاء الوحدة فى "نملة"([2]). وبعبارة اخرى: إن التاء لم تلتصق ب"نملة" للدلالـة علـى التأنيث الحقيقى، بل التصقت بها للدلالة على تمييز الواحد من الجنس.

وتأتى هذه اللاحقة، للدلالة على الجمع فى"فاعِل" و"فَعُول"، و"فعّال"، نحـو: شارد، للمفرد، وإذا ارادوا الجمع قالوا "شاردة"، وسابل: وسابلة. وركوب:وركوبة، وحلوب: وحلوبة. وبغّال: وبغّالة، وجمال: و جمالة([3]).

وتستعمل للدلالة على المبالغة والتوكيد عند التصاقها ب" فعال"، نحو:علاّمـة، و"فاعِل"، نحو: راوية، وفَعُول، نحو: فَرُوقَة، ومِفْعال، نحو: مِطْرابة([4]).

وقد تدل على النسبة، نحو: الأشاعرة فى جمع أشعرى، والأحامدة فـى جمـع أحمدى، وغيرها من الابنية.

وهذا يدل على أن لاحقة التاء لا تدل على الأنوثة فى الأصل البتة؛ لأنّها ليست ذات أصالة فى التأنيث،([5])، بل هى ذات وظائف ودلالات معنوية متعددة، كالإفراد والتذكير والنسبة وغيرها، ولا تتميز دلالتها إلاّ فى إطار السياق الذى يلفها ويحيط بها... ومن العجب العجاب أن النحاة المشهورين لم يميزوا بـين حـالات التـاء المختلفة هذه، بل اختبطوها جميعاً خبط عشواء، وكرسوها تحت تاء التأنيث([6]).

وخير دليل على أن التاء لاتدل على التأنيث فقط، أنّه هنـاك طائفـة مـن المبانى أو الابنية، تدل على الصفات المختصة بالمؤنث، دون التـصاقها بلاحقـة "التاء"، فعلى سبيل المثال، لا تلتحق التاء ب"فاعِل" أو"مفْعِل" من الصفات المختصة بالمؤنث، نحو: حائض، وحامل، وطالق، وطامث، ومرضع... وإذا التصقت بهـا

1- سورة النمل،:الآية:18. [1]
2-.شرح الكافية :394/3، والبحر المحيط:175/2. [2]
3- البحر المحيط:157/2. [3]
4- شرح الشافية:4/3..،وارتشاف الضرب:194/3 [4]
5- برجسترسر. التطور النحوى للغة العربية . اخراج وتعليق:د. رمضان عبد التواب، مطبعة المجد،مكتبة الخانجى، القاهرةن 14.2- 1982م ،ص:2.7، والنحو العربى نقد وبناء،ص:142. [5]
6- دلالة اللوصق التصريفية:241. [6]

تدل دلالات معنوية متعددة، يقال: امرأة حامل من الحبل، وحاملة على ظهرهـا، ويقال: امرأة قاعد من المحيض، وقاعدة من القعود([1]). أما قولـه تعـالى:((يـوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت))([2]) فالتاء، ليست صفة دالة على التأنيث، إنّما دالة على التى فى حالة إرضاع الآن([3]).

لهذا فإن لاحقة التاء لا تختص بالتأنيث فقط، بل تحمـل دلالات معنويـة متعددة يتحكم فيها السياق الذى ترد فيه.

توظيف السياق فى درس لاحقة التنوين:Nunation :

التنوين من اللواصق التى تخص غرض النوع، تلحق الاسماء للدلالة على التنكير([4])، ولا تقتصر دلالتها عند هذا الحد، بل هى ذات دلالات تركيبية وزمنية ودلالات معنوية([5])يتحكم فيها السياق.

وتستعمل لاصقة التنوين عند خروجها عن استعمالاتها الحقيقية التى هـى التنكير بدلالات ووظائف متعددة منها:

- أنّها تدل على الوحدة، ويظهر ذلك بوضوح فى الفرق بين "لا" النافية للجـنس، و"لا" العاملة عمل "ليس"، نحو: "لا رجلَ فى الدار"، إذ إن "رجلَ" نكرة دالة علـى العموم، و"رجلٌ" فى "لا "رجلٌ فى الدار" نكرة دالة على الوحدة([6]). وتـدل علـى النوع فى، نحو: جاءنى رجلٌ، بمعنى: جاءنى رجلٌ لا امرأةٌ([7]). وتـدل علـى التعظيم، نحو: أتانى اليوم رجلٌ، أى: فى قوته ونفاذه، ومنه قوله تعالى: ((فـاذنوا بحرب من ا ورسوله))([8])، فلاحقة التنوين تدل على التعظيم فى"بحرب"، بمعنى أى حرب.

1- الكتاب:383/3، وأدب الاتب:229- 23.،والمذكر والمؤنث.ابوبكر الانبارى:173/1. [1]
2- الحج:2. [2]
3-البعد البلاغى والدلالى للترخص فى قرينة المطابقة عند أمن اللبس: [3]
4- الكتاب:2.2/2،والخصائص:24/3،65.. [4]
5- فى النحو العربى نقد وتوجيه:126،139. [5]
6-انظر: املاء ما من به الرحمن :11/1 ، والبحر المحيط :394/3. [6]
7- ظر: مغنى اللبيب : 9/1. [7]
8-البقرة:279. [8]

وتدل لاحقة التنوين على التحقير[1]، نحو: قوله تعالى: ((مـن أى شـىء خلقه من نطفة خلقه فقدره))[2]، فسر الزمخشرى الصاق التنـوين فـى " شـىء" بشىء حقير مهين، ثم بينه بقوله: ((من نطفة خلقه فقدره))[3].

ولا تقف الدلالات التى تؤديها هذه اللاحقة عند هذا الحد، بل تتعداها وتتجاوزها إلى دلالات أخرى، كدلالتها على التكثير، نحو قوله تعالى: ((إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين))[4]، بمعنى أجراً وافراً جزيلاً[5].

وقد تدل على التقليل، كقوله تعالى:((ورضوان من ا أكبر))[6]، بمعنـى: "رضوان قليل من بحار رضوان ا التى لاتتناهى، أكبر من الجنات؛ لأن رضـا المولى رأس كل سعادة"[7].

وترد بدلالة التهويل والتخصيص، فالاول، نحو قوله تعالى: ((واتقوا يومـاً لا تجزى نفس عن نفس شيئا))[8]، أى: يوماً عظيماً، والثانى، نحو: قولـه تعـالى: ((من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها))[9]... والمراد بـالوجوه هنـا وجوه الكفار، والنكرة عامة، المراد بها التخصيص[10].

وتقوم هذه اللاحقة كذلك بتأدية دلالات زمنية متعددة منها: أنّها تدل على زمـن محدد عندما تلحق الظروف، يقال: صيد عليه صباحاً، ومساء وعشيةً وعـشياً، إذا أردت عشاء يومك ومساء ليلتك؛ لأنّهم لم يستعملوه على هذا المعنى إلاّ ظرفاً[11].

وتتجلى الدلالة الزمنية للاحقة التنوين عند التصاقها ببناء اسم الفاعل، وتكـون حينئذٍ ذات دلالات زمنية متنوعة منها: أنّها تدل على الحـال والاسـتقبال، نحـو قولك: هذا ضارب زيداً غداً، فمعناه وعمله، مثل هذا يضرب زيداً غداً، فإذا حدثت

1- الكتاب:155/1، والبرهان:91/4، والاتقان:191/2.[1]
2- سورة عبس:18- 19.[2]
3- الكشاف:7.3/4[3]
4- الاعراف:113[4]
5-الكشاف:2/ 139، البرهان:92/4 [5]
6- التوبة:72[6]
7- البرهان:92/4،والاتقان:291/2.[7]
8- البقرة:48[8]
9- النساء:47.[9]
10- الكشاف:518/1- 519.[10]
11- الكتاب:225/1- 227.[11]

عن فعلٍ فى حين وقوعه غير منقطع كان كذلك، وتقول: هذا ضـارب عبـد ا الساعة، فمعناه وعمله، مثل: هذا يضربُ زيداً الساعة([1]).

وواضح أن هذه اللاحقة تتخذ السياق متكأً لها لتوظيف معانٍ ودلالات متعـددة ومتنوعة؛ إذ تؤكد الحقيقة اللغوية أن لاحقة التنوين لا تدل على التنكير فقط، بـل تتوزع دلالتها لإفادة أغراض أخرى يبينها السياق.

توظيف السياق فى درس لاحقة"الياء":

الياء من لواصق النسبة، تلحق الاسماء لتصريف أبنيتها، وقد عدها الدرس اللغوى القديم لاحقة مضافة إلى بنية الكلمة، كما أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "إنّما تلحق ياءى الاضافة بعد بناء الاسم"([2]). وهى تتألف من ياء مـشددة، وتـستخدم للانتساب إلى جماعة انسانية، كالقبيلة([3])، نحو: هُذلى، نسبةً إلى هذيل.

ومن الناحية الوظيفية، فإن لهذه اللاحقة دلالات متنوعة تتحقـق بحـسب التركيب والسياق([4]) شأنها فى ذلك شأن كثير من اللواصق التصريفية التى سـبق الحديث عنها، ومن أهم وظائفها: أن لها القدرة على تمييز الواحد من جنسه، فى نحو: روم، رومى وزنج، زنجى([5]). وقد فطن رضى الدين الاستراباذى إلى هـذا المعنى فى قوله:" ياء الوحدة أيضاً فى الاصل للنسبة، لأن معنى زنجى شـخص منسوب إلى هذه الجماعة بكونه واحداً منهم، إلاّ أنّه طرأ عليه معنى الوحدة "([6]).

وقد تدل هذه اللاحقة على التوكيد والمبالغة والقوة، وإشباع معنى الـصفة([7])، فى قوله تعالى: ((اتخذناهم سخرياً أم زاغت عـنهم الابـصار))([8]). إذ التـصق المصدر"السُخر" بضم السين وكسرها، بلاحقة الياء، لأن للنسبة زيادة قوة الفعـل، كما قيل"الخصوصية" فى الخصوص([9]).

1- الكتاب: 164/1 ، والمقتضب:4/2،154/119 [1]
2- الكتاب: 365/3 ، والمقتضب:12/3. [2]
3- الكتاب:335/3 ، والجمل للزجاجى:235.، والمقرب:54/2. [3]
4- دلالة اللواصق التريفيةفى اللغة العربية: 179 [4]
5- شرح الشافية:4/2 ، و انظر :باكيزة رفيق حلمى، دكتور.صيغ الجموع فى اللغة العربية:33 [5]
6- شرح الكافية:79/2.. [6]
7- الخصائص:1.4/3، وشرح الشافية:4/2. [7]
8- سورة ص:63. [8]
9- البحر المحيط:،47/2. ودراسات لاسلوب القرءان الكريم:ق2 ،ج1،صك36./ [9]

ولا تقتصر دلالات اللواصق البنائية فى اللغة العربية عند هذا الحـد، وإنّمـا تتعداه إلى نوع آخر من اللواصق، تعرف باللواصق المركبـة : Compound Affixes، وتتألف من لاحقتين تصريفيتين متتاليتين، وخير مثال على ذلـك فـى العربية لاحقة " ية " المركبة من الياء المشددة والتاء المربوطة، وهى تدل علـى المصدر الصناعى، ويقال له : "المنحوت"([1]).

ويذهب المحدثون من اللغويين إلى أن المصدر الصناعى، هو اسم مصوغ من اسم آخر بألحاق ياء مشددة بعدها تاء مربوطة، نحو: الانـسانية، والحريـة، والكلاسيكية، والتقدمية([2]).

وتجدر الاشارة إلى أن لاحقة الياء هذه لا تدل على النسبة، ولاحقـة التـاء المربوطة لا تدل على التأنيث، وإنّما تنقل الوصف إلى الاسم([3]).

وتوحى لاحقة المصدر الصناعى بشحنات عاطفية فـى اسـتخدامات متكلمـى اللغة، وتتصف الجذور الملتصقة بها لقوتها على التأثير فى النفس، ومـن أمثلـة ذلك: الحرية، والاشتراكية، والدكتاتورية، والتقدمية، والرجعيـة([4])... وطغيـان العاطفية فى مثل هذه الأبنية هو ما أهلها لأن تكون وسيلة فعالة لتقريـب مـآرب السياسيين فى العامة.

توظيف السياق فى درس لاحقة "الألف والنون":

لاصقة من لواصق العدد، تلحق الاسماء والافعال للدلالة على التثنية، قـال سيبوية: "أعلم أن التثنية إذا لحقت الافعال المضارعة علامة للفاعلين، لحقها ألـف ونون"([5])، وقد تلحق الاسماء وتكون بالالف والنون فى حالة الرفع، وبالياء والنون فى حالتى النصب والجر([6]).

1- جرجس عيسى الاحمر. قاموس الاعراب، ط7،دار الملايين ،بيروت ، 1979،ص:161. [1]

- يوسف احمد المطوع،دكتور، الموسوعة النحوية والصرفية ،ط1، الكويت،14.4- 1984،ص:96/3. وانظر المدخل إلى علم الصرف:82. [2]

3- د. سمية عبد المحسن المنصور. أبنية المصدر فى الشعر الجاهلى ،ط1،مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 14.4- 1984م ،ص:33.. وانظر:مدخل إلى دراسة الصرف العربى:82. [3]

4- دلالة اللواصق التصريفية فى اللغة العربية:218. [4]

5-الكتاب: 19/1،17،والمقتضب:39/3. [5]

6- الكتاب:385/3. وانظر: أبو البركات،عبد الرحمن ابى سعيد الانبارى. أسرار العربية. تحقيق: محمد بهجة البيطار ،مطبعة الترقى،دمشق، 1377- 1957م،ص:47 وما بعدها [6]

والالف والنون من اللواحق التى تؤدى وظائف دلالية معنوية، إلى جانب دلالتها الاساسية، فهى تلحق بناء " فَعِل" لتشكيل " فَعلان"، ويكون فى الصفات والاسماء، نحو: الريّان والعطشان والغضبان([1]). وقد يدل هذا البناء على المبالغة فى نحو: الرحمن([2]).

وتلحق لاصقة الالف والنون بناء"فِعل" لتشكيل "فِعلان" للدلالة على جموع الكثرة، نحو: جيران، وقيعان، وتيجان([3]).

وقد يكون" فِعلان" بناء من أبنية المصادر، نحو: حرمه، يحرمه،حِرمانا، وأتيته إتياناً، وقالوا: لقيه: لقياناً، وعرفه: عرفاناً([4]) .

ولهذه اللاصقة دلالات بنائية أخرى حين تشكل على" فُعلان"، إذ تأتى بدلالات متعددة، منها: أنّها تأتى فى الاسم والصفة، فالاسم نحو: عُثْمان، وذُبيان، ودُكّان، والصفة، نحو: عُريان، وخُمصان([5]).

كما يستعمل للدلالة على جموع الكثرة، نحو: جمل: جُملان، وبطن: بُطنان، وزُق: زُقان، ونحو: راكب: رُكبان، وصاحب: صُحبان، وفارس: فُرسان.

وقد استعمل هذا الجمع فى القرآن الكريم للدلالة على القلة النسبية، كقوله تعالى: ((والذين إذا ذكروا بآيات ا لم يخروا عليها صماً وعمياناً))([6]).

لذا فإن لاصقة الالف والنون ذات وظائف ودلالات ظرفية بنائية، تلحق بناء(فعل) لتشكيل فَعلان، وفُعلان، وفِعلان، وفَعلان[7]، ... للدلالة على معانٍ متعددة بدلالات متنوعة تفهم من السياق.

توظيف السياق فى درس لاحقة الضمير المتصل:

تعد من اللوحق التصريفية فى الدراسات اللغوية الحديثة([1]). ويرى الدكتور تمام حسان أنّها أوسع اللواصق مجالاً؛ لأنّها يمكن أن يستفاد منها معانٍ ثلاثة:

---

[1] 1- الكتاب: 259/4.

[2] 2-الكشاف:6/1 ، والبحر المحيط:16/1- 17، والبرهان:5.2/2.

[3] 3- الكتاب:59/3..

[4] 4- الكتاب: 8/4، وأبنية المصادر فى الشعر الجاهلى: 225.

[5] 5- الكتتاب:614/3.

[6] 6- الفرقان :25.

[7] 7-نحو: غلى، غَليان ،،ووهج: وَهَجان.

الشخص والعدد والنوع([2]) إلى جانب ذلك فهى تحدد الـزمن. وهـى تعـد مـن مظاهرالانسجام التطابقى والتوافق الشكلى فى الـسياق([3]). وتلتـصق بالاسـماء والافعال معاً.

واللواحق الضميرية فى اللغة العربية هى التاء"تَ، تُ، تِ، تما، تم، تن" ، والياء التى تدل على التأنيث، والواو التى تدل على الجمع، والالف التى تدل على التثنية، وياء المتكلم، وكاف الخطاب، " ك، كِ، كما، كم، كُن"، وهاء الغيبة:"هـ ـ ،ها،هما،هم،هن" و"نا" التى للمتكلمين.

وتتضح الدلالة السياقية للاصقة "التاء" عندما تحدد الفاعـل، وهـو المـتكلم، وتشترط استخدام "أنا" معها، مثلاً: "التاء" فى " أنا كتبتُ هى التى تحـدد نوعيـة الشخص فى التركيب النحوى.

وتتضح الدلالة السياقية للاصقة "الياء" عندما تحدد الفاعل المؤنث، وتستلزم أن يقال: أنتِ أكتبى الدرس.

وتتجلى الدلالة التركيبية والسياقية للاحقة الكاف فى مثل: كتابك مفيد، وكتبكم مفيدة، إذ أن الكاف استلزمت فى الجملة الاولى استعمال مورفيم "مفيدة" ملتحمـة بلاصقة التاء المربوطة، للدلالة على التأنيث، وهذا التناسق والتوافق يشيران إلـى الدلالة التركيبية والسياقية.

وتلتصق لاحقة "الكاف" هذه ب"إيا" لتشكيل ضمير منفـصل منـصوب ... ولا تأتى" إيا" فى اللغة العربية الاّ فى هذا السياق، وليس لها وظيفة أخرى غير هـذه الوظيفة، وهى الاشتراك مـع الـضمائر المتـصلة لتؤلـف ضـمائر النـصب المنفصلة([4])، كقوله تعالى :((إياك نعبد وإياك نستعين))([5]).

1- اللغة العربية معناها ومبناها:159،112،وانظر:د. ميشالذكريا. الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية – الجملة البسيطة- ،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 14.3- 1983م ،ص:156 [1]

2- اللغة العربية معناها ومبناها:159. [2]

3- البعد البلاغى والدلالى للترخص فى قرينة المطابقة : [3]

4- د. سميح أبو مغلى. فى فقه اللغة وقضايا العربية ،ط1،دار مجدلاوى للنشر والتوزيع،عمان،14.7-1987،ص:1.2 [4]

5- سورة الفاتحة :الآية:4 [5]

والنون من الضمائر المتصلة التى تحدد النوع، والعدد، وتلتصق بالافعال دون الاسماء، نحو: هن يفعلن، ولن يفعلن ... وتسمى هذه النون بنون الإناث([1]).

ويلحظ استعمالات الضمائر المتصلة فى غير مقامها بكثرة فى القرآن الكريم، إذ يستعمل ضمير الجمع فى مقام المثنى، والواحد فى مقام الجمع ... وكل ذلـك يستدعى النظر والتأمل، ففى قوله تعالى:((ألقيا فى جهنم كـل كفـار عنيـد))([2])، جاءت بنية الفعل"ألقيا" لخطاب مالك خازن النار، وكأن الخطاب موجـه لاثنـين، وهو فى حقيقته موجه لواحد، فكأنّه أراد أن يقول له: ألق ألق، قاصـداً التوكيـد بتثنية الفاعل عن تثنية الفعل وتكراره([3]). وهو نوع من الترخص فـى المطابقـة العددية([4]).

1- الكتاب:2/1.، والجنى الدانى:149. [1]
2- سورة .ص: 1.2 [2]
3 - والكشاف: 387/4، و- انظر: سر صناعة الاعراب:155/1، وفقه اللغة وسر العربية دراسات فى القرءان الكريم ،ق2،ج4،ص:263. [3]
5- البعد الدلالى والبلاغى للترخص فى قرينة المطابقة ،ص: [4]

مدخل: -

يظن كثير من الناس أن النحو هوالإعراب، والصواب أن النحو أشـمل وأعم من الإعراب، فالنحو دراسة للعلاقات التي تربط بين الكلمات فـي الجملـة الواحدة مع بيان وظائفها([1]). وبداخل النحو تلتقي كل انظمة المـستويات اللغويـه الاخرى: صوتية، وصرفية، ودلالية، و سياقية.

والسياق النحوي هو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة، مـن خلال القرائن النحوية، المعنوية منها كا لإسناد، والتعدية واللفظية منها كالاعراب، والرتبة والمطابقة وغيرها.

فالجملة تشكل شبكة من العلاقات السياقية التى تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، والتي تعتمد في وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق.

وعليه فقد خرج النحو من إطار الكلمة ووظيفتها في التركيب الى نطاق السياق، بل إمتد دور النحو في دراسة النص جميعه، فقـد تخطـى دور النحـو الإعراب ومشكلاته على مستوى الكلمة، وتعداه إلى مستوى التركيب، وما يتعلق به من وظائف الكلمات والعلاقات المعنوية التي تربط مفرداته ومسائل نظم الكلام فيه([2]).

وقد استطاع ابن جني([3]) وعبد القاهر الجرجاني([4]) أن يكشفا العلاقـات الداخلية بين المفردات التي يتالف منها التركيب، وجعل ابن جني المعني اسـاس صحة التركيب النحوي وقبوله، كما أن عبد القاهر رأي أن اللفظ مفرداً لا يـشكل قيمة دلالية، ولا نستطيع تقييمه منفرداً بعيداً عن السياق اللغوي الذي ورد فيه، كما أن تأليف الكلام ونظمه علي قواعد النحو، ليس اساساً في صـحة المعنـى، بـل الاساس هو اتساق التركيب في المعني مع قواعد التركيب.

---

[1] - محمد محمود داود.العربية وعلم اللغة الحديث،دار غريب للطباعة والنشروالتوزيع،القاهرة،1423-2..1م،ص:167.

[2]كمال بشر . درسات في علم اللغة ، القسم الثاني ، ص : 64

[3] انظر : الخصائص : 3/ 99

[4] انظر : دلائل الاعجاز : 81 -82

فالتفاعل بين الكلمات، ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل دلالـي نحـوي معاً، فبين الجانبين تعاون مشترك وتبادل تاثير([1]).

وهذه عودة إلى توظيف السياق في الدرس النحوي توظيفاً عمليـاً معاصـراً يعتمد في دوره على الدلالة وما تؤديه من أغراض تواصلية في المجتمع.

وقد عد كثير من المحدثين إبتعاد النحو عن الدلالة في بعض الامثلة الثغـرة التي يدخل منها الحاقدون للطعن في قيمة النحو العربي حديثاً، فزعموا انه خـال من المضمون مما جعله في نظرهم جسداً بلاروح.

والمضمون يعني إرتباط المعنى بالتركيب، وهي دعوة سبق إليها إبن جنـي وعبد القاهر الجرجاني، فالنحو عند عبدالقاهر([2]) ليس هذا العلم الذي يبحث فـي ضبط أواخر الكلمات، ولاهو جملة القواعد الجافة، ولاهو ذلكم الشئ الذي لا مكان له في البلاغة ولا في الفن([3]) وإنّما النحو عنده العلم الذي يكشف لنا المعاني، وما المعاني هنا إلاّ الالوان النفيسة المتباينه التي ندركها من علاقات الكـلام بعـضه ببعض وفي سياقه الذي إلتحف به.

فدراسة النحو إذن ليست مسألة معرفة بقواعد النحو والصرف، وإنّما النحـو معرفة معاني العبارات ووضعها موضعها، وفائدة هذه العباراة إذا جاءت على هذا السياق أو ذاك، ومدى ما استطاعت أن تحققه من دلالات، فالقاعدة الواحدة لا تنتج دلالة واحدة في كل السياقات المستخدمة فيها، بل يختلف معناها من سـياق إلـى آخر([4]).

واستناداً على ما تقدم خاص علماء النحو المحدثون إلى أن المعنـى النحـوي لايفسره الإعراب فقط، لأن الإعراب قرينة واحدة من مجموعة القـرائن التـي تتضافر لتوضيح المعنى([5])، فالمعنى الدلالي الذي يستخلصه المرء من الكلام اشبه

---

[1] انظر : محمد خماسة . النحو والدلالة ، ص : 85 . والتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص : 125

[2] انظر : دلائل الاعجاز : 65

[3] د . محمد زكي العشماوي . قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث . دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 14.4 ، 1984 ، 83 .

[4] د . محمد حمساسه عبد اللطيف . الجملة في الشعر العربي . مطبوعة الخانجي ، 199. ، ص : 218 – 219

[5] اللغة العربية معناها : 189

ما يكون بالمركب الكيماوي الذي تنحل فيه لتعطي شيئاً واحداً ليس فيـه أجـزاء متلاصقه أوأقسام متمايزة، بل فيه صورة جديدة تولدت من جماع ذلك كله.

إذن فقد أدرك القدماء أن فهم العناصر التركيبية يتوقـف أحيانـاً علـى معرفـة السياق، فأدخلوها في صميم القواعد ومن ثَم اصبحت قضايا السياق حاضرة فـي قواعد الأبواب وقواعد التوجيه. وإذا كانت معطيات السياق وطبيعة تشكل المعنى فى ذهن المتلقى تؤثر فى تحليل العناصر التركيبة، فإنّها تتمثل بأُسس تسهم مـع غيرها في توجيه النص الوجه الذي يقتضيه.

فالتحليل النحوي يحتوي مجموعة مـن العناصـر أو القـرائن اللغويـة، اللفظية، والمعنوية، والحالية، وأن هذه العناصر، تمثل علامات ودلائل تفهم إمـا من السياق cotext أو من المقام cotextofsituation ويتضافر بعضها مع بعض لتوضيح المعنى النحوي. ولما كانت هذه العلامات والقرائن ذات أثر فى التحليـل النحوى فإن الدراسة سوف تتناولها بشىء من التفصيل فى المساحة القادمة.

المبحث الأول

توظيف السياق في درس قرينة الإسناد

الإسناد هو العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل. وتغدو هذه العلاقة عند فهمها قرينة معنوية على أن هـذا مبتـدأ وذاك خبر، وأن هذا فاعل وذاك مفعول.... ولذلك يكون الإسناد من قبيل القرائن السياقية المعنوية([1]).

ومن هنا تقوم الدراسة بالكشف عن دور السياق فـي توظيـف درس المبتـدأ والخبر، ودرس الفعل والفاعل.

- توظيف السياق في درس المبتدأ والخبر:-

o يشيع فى أداءتنا الكلامية أن يجتزأ المسند أو المسند إليه من السياق البنيوي إجتزاء غير مخل بالمعني، والمعول عليه في هذه الجهة هو السياق، ذلك أنه يقوم مقام هذا الفراغ الوظيفى"الحذف"وليس ملحظ الحذف"الترخص في الإسناد" أمـراً ملقي على عواهنه، بل لايكون إلاعن دليل، وإلأ كان فيه ضرب من تكاف علـم الغيب في معرفته([2]).

وقد حدد النحاة([3]) حالات حذف المسند والمسندإليه، والمبتدأ والخبر، وجوبـاً وجوازاً، وأشترطوا لذلك الدليل على المحذوف، وينقسم الدليل عند ابن هشام إلـى نوعين: أحدهما: صناعي-اي نحوي- والآخر: غيرصناعي وينقسم إلى مقـالي: وهو ما يعرف من تتابع الفاظ الجمل، والاخر مقامي (حالي) وهو يرتبط بالموقف الكلامي([4]).

ويرتبط الدليلان الصناعي والمقامي (الحالي) بالـسياق اللغـوي. ويمكـن معرفة ذلك من خلال النظر في الآيات الكريمة الآتية في قوله تعـالى: ((ســورة انزلناها وفرضناها))([5])، وقوله تعالى: ((فآمنوابا ورسوله ولا تقولوا ثلاثة))([6])،

---

[1] د . احمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات . دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط2 ، 1999 ، ص : 23.

[2] الخصائص : 2/ 362

[3] انظر : الكتاب : 2/ 13. ، وهمع الهوامع : 2 / 539 ، وشرح ابن عقيل : 244

[4]معني اللبيب ، لابن هشام ، دار الفكر ، ط6 ، 1985 ، ص : 789

[5] النور : 1

[6] النساء : 171

وقوله تعالى: ((كأنهم يوم يرون ما يوعدون لـم يلبثـوا إلاّ سـاعة مـن نهـار بلاغ))([1])، وقوله تعالى: ((لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل))([2]).

فالمبتدأ في هذه الآيات قد حذف إعتماداً على فهمه من السياق، ففي الآية الأولى: (سورة) خبر عن مبتدأ تقديره (هذه)، وفى الثانية: (ثلاثة) خبر عن مبتدأ تقديره بواسطة السياق(هم) وفى الثالثة: (بلاغ) خبرعن مبتدأ تقديره (ذلك) وفـى الآخيرة (متاع قليل) خبر عن المبتدأ المفهوم من السياق، تقديره (هذا) أو (ذلـك)، وقد ذكر ابن هشام([3]) الحالات التي يحذف فيها المبتدأ جوازاً، لوجود دليل عليـه ولفهمه من السياق والمقام.

كما وضع النحاة ضابطاً لحذف الخبر جوازاً مؤداه أن حذفه يكون عنـد وضوح المعنى المراد، من خلال السياق، وشريطة أمن اللبس، بوجود الدليل الذي يدل عليه([4]).

ويمكن تطبيق ذلك على الآيات الكريمة الآتية: قال تعالى: ((وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات مـن الذين أوتوا الكتاب من قبلكم))([5]).

فالخبر في هذه الآية قد حذف من الجملة الثالثـة: ((والمحـصنات مـن المؤمنات)) وحذف كذلك من الجملة الرابعة ((والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم))؛ وذلك لعلمه من السياق وذكره فـي الجملتـين: الاولـى والثانيـة، وهو((حل لكم))، وعلى هذا فالمعنى: ((والمحصنات من الذين آوتوا الكتاب حـل لكم))((والمحصنات من المؤمنات حل لكم))([6]). ويجـوز كـذلك حـذف المبتـدأ والخبرمعاً إذا دل السياق عليهما، كما في قوله تعـالى: ((واللائـي يئـسن مـن المحيض من نسائكم إن إرتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، والائـي لـم يحـضن))([7]).

---

[1] الاحقاف : 35
[2] ال عمران : 196
[3] معني اللبيب : 822 – 823
[4] همع الهوامع : شرح ابن عقيل ، شرح الاشموني : 1/ 287
[5] المائدة : 5
[6]ابو السعود حسين الشاذلي . المركب الاسمي الاسنادي وانماطه من خلال القران الكريم ، ط1 ، 141. – 199. ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ص : 71
[7] الطلاق : 4

والمعنى المراد كما يدل عليه السياق: واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثـة أشـهر، فحذف المبتدأ والخبر معاً. وهو: فعدتهن ثلاثة اشهر، لدلالـة ماقبلهمـا عليهمـا وفهمهما من السياق.

وإذا إنتقلت الدراسة من درس حذف المبتدأ والخبـر إلـى درس الإبتـداء بالنكره نجد أن السياق ينبغي بل يجب أن يكون هو المحور الذي يدور حوله هـذا الدرس. فقد إشترط النحاة علاقات معنوية بين المبتدأ والخبر فـي المعنـى، لـذا اوجبوا أن يكون المبتدأ معرفة، أو ما قارب المعرفة([1]) من النكـرات إذا أفـادت النكرة، وهو ما اشار إليه النحاس في أكثر من موضع مثل قوله تعالى: ((لها طلع نضيد))([2])، قال: "رفعت طلعاً بالابتداء وإن كان نكرة لما فيه من الفائدة"([3]).

فالاصل فى المبتدأ أن يكون معرفة لانكرة، لأنّه محكوم عليه، ولابد أن يكون معلوماً للسامع، لأن الحكم على المجهول لايفيد. إلاّ أن المنع ليس على إطلاقـه، وليس راجعاً إلى النكرة في حد ذاتها، ولكنه متعلق بعدم حصول الفائدة بدليل أنّـه إذا تحققت الفائدة من الإبتداء بالنكرة جاز وقوعها مبتدأ، فالقانون العام الذي اتفـق عليه النحاة، هو أن النكرة يجوز الإبتداء بها إن أفادت، أي: إن سمح السياق بذلك ووضح المعنى، وإلاّ فلا. وقد أشار إبن مالك إلى ذلك بقوله:([4])

ولايجوز الإبتداء بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة

وقد إختلف العلماء في المواضع التي تحصل فيها الفائده حتى اوصـلها بعـضهم إلى اربعين موضعاً([5]) إلاّ أن الناظرالمدقق يرجعها إلى القانون العـام، وهـو إن أفادت جاز وإلاّ فلا، لأن كثيراً من المواضع التي ذكرها النحـاة مردهـا إلـى السياق لا إلى المسوغات اللفظية التى سردوها، ومن ذلك على سـبيل المثـال لا الحصر قولهم: من مسوغات الإبتداء بالنكرة ان تقع بعد واو الحال، كما في قول الشاعر([6]):

---

[1]- انظر : المقتضب : 4/ 127 ، والكتاب : 328 – 329

[2] - ق : 1.

[3]- اعراب القران للنحاس : 4/ 222

[4]- شرح ابن عقيل :

[5]- انظر : مغني اللبيب ، . 615–618 ا لنحو الوافي : 1/ 44.

[6]- قائله مجهول ، وهو في شرح ابن عقيل : 1/ 1.4 ، ومغني الللبيب 613

سرينا ونجم قد أضاء، فمذ بدا   محياك أخفى ضوؤه كل شارق.

وحقيقة الامر في هذه المسالة إنّما مردها الى السياق الكاشف والموضح للمعنى لا إلى واو الحال، بدليل وقوع النكرة مبتدأ في أول جملة حالية من غير ذكر للواو في قول الشاعر:([1])

الذئب يطرقها في الدهر واحدة   وكل يوم تراني مُديةٌ بيدي

فكلمة (مدية) مبتدأ نكرة، ولم يتقدم عليها واو الحال([2])، ولهذا قال إبن هـشام: "بهذا يعلم أن إشتراط النحويين وقوع النكرة بعد واو الحال ليس بلازم"([3]).

وقولهم من مسوغات الإبتداء بالنكرة أن تدل على التفصيل والتنويع، كمـا فـي قول الشاعر: ([4])

فأقبلتُ زحفاً على الركبتين   فثوب لبستُ وثوب أجر

فالتفصيل الحاصل من الشطر الثاني هو المسوغ في رأي النحاة للإبتداء بـالنكرة (فثوب...وثوب)([5]).

وفي الحقيقة لايمكن أن نفصل الشطر الثاني عن الشطر الاول، حتى يمكن الإبتداء به، ولذلك نجد بينهما الترابط السياقي، الذي يرجع الفضل إليه في جـواز الإبتداء بالنكرة.

وقد فطن أبو جعفر النحاس إلى أثر السياق والمعنى في جـواز الإبتـداء بالنكرة، حيث قال معلقاً على قوله تعالى: ((وجوه يومئذٍ خاشعة))([6])، " فأبتـدئ بالنكرة، لأن المعنى للكفار، وإن كان الخبر جرى على الوجوه"([7]).

وفي الحقيقة أن الإبتداء بالنكره جائز وواقع في الكلام العربي، فقد أثبت الواقع اللغوي صحة الإبتداء بالنكرة، حتى ولو لم توصف، أو تعتمد علـى حـرف لـه الصدارة أو غير ذلك من المسوغات التي تشبث بها النحاة. وقـد أجـاز الفـراء

---

[1]- لا يعلم قائله ، والشاهد جواز كون المبتدا "مدية " نكرة لانه واقع في اول جملة حالية .انظر ك مغني اللبيب : 613

[2]- مغني اللبيب : 613

[3]- نفس المصدر : 613

[4]- البيت لامرئ القيس ، انظر ديوانه 159 ، وهو في سيبويه : 1/ 44 والخزانة : 1/ 18. ، وشرح ابن عقيل : 1/ 1.4

[5]- مغني اللبيب ك 614

[6]- الغاشية : 2

[7]- اعراب القران للنحاس : 1477

الإبتداء بالنكرة في قوله تعالى : ((سواء منكم من أسر القول ومن جهر به))([1])، فقال: " من، ومن" في موضع رفع، الذي رفعهما جميعاً (سواء)([2]). ولم يعمد الى التأويلات التي تبررالإبتداء بالنكرة.

توظيف السياق في درس الفاعل:

الفاعلية هي الشق الثانى للإسناد، ففكرة الإ سناد تتمثل في الفاعل، وهـي التي تجعله مرفوعاً. ولقد ربط سيبويه بين العلامة الاعرابية فـي حالـة الرفـع والمعنى أو السياق ممثلاً في فكرة الإسناد بشقيها الإبتدائية والفاعلية، فكل ما هـو مبتدأ أومحمول على الفاعلية، أو نائب عن الفاعل فهو مرفوع([3]).

ولم يصرح الفراء بفكرة الاسناد، ولكننا نجد عنده فكرة إنشغال الفعل بالفاعـل وتفرغه له في مواضع كثيرة، من مثل قوله تعالى: ((لاتعد عيناك عـنهم))([4])،" الفعل للعينين"([5]). وفي قوله تعالى: ((يوم تذهل كل مرضعة عما أرضـعت))([6]). "رفعت القراء (كل مرضعة) لأنّهم جعلوا الفعل لها"([7])، فرفع الإسم إنّمـا يكـون بجعل الفعل له، فإن لم يكن كذلك تحول إلى علامة أخرى وهذا يـرتبط بطبيعـة الحال ببنية الفعل والنظر إلى المعنى والسياق، يقول الفراء في قوله تعالى: ((ولا يسمع الصمُ الدعاء))([8])، "ترفع الصم" لأن الفعل لهم. وقد قرأ ابوعبـد الـرحمن السلمي ولاتُسمع الصم الدعاء" بنصب" الصم" بوقوع الفعـل عليـه"([9]). فلفظـة (الصم) مرفوعة إذا كان الفعل لهم، أو بمعنى آخر، إذا كـانوا هـم الفـاعلين ومنصوبة إذا كان الفعل واقعاً عليهم، أي: تُسمِع، يسمع.

وفي مسالة الفاعل الحقيقي والمجازي يتضح توظيـف الـسياق لتوضـيح الفاعل، فالفراء يشير إلى أن الفاعل إنّما هو الذي يقوم بالفعل ويحدثه، فإذا جـاء

---

[1]- الرعد : 1.
[2]- معاني القران للقراء : 2/ 59 – 6.
[3]- د . ابراهيم بركات . العلاقة بين العلامة الاعرابية والمعني في كتاب سيبويه ، مكتبة الخانجي ، 1983 ، ص : 1/ 13 -14
[4]- الكهف : 28
[5]- معاني القران للقراء :2/ 14.
[6]- الحج : 2
[7]- معاني القران للفراء : 2/ 214
[8]- الانبياء : 45
[9]- معاني القران للفراء : 2/ 14.

غير ذلك كان مجازاً يرتبط بوضوح المعنى من السياق مع أمن اللبس، ونجد ذلك عند تعرضه لقوله تعالى: ((فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض))([1])، " وذلك من كلام العرب، أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط. ومثله قوله تعالى: ((ولما سكت عن موسى الغضب))([2])، والغضب لا يسكت، إنّما يسكت صاحبه، وإنّما معناه سكن، وقوله تعالى: ((فإذا عزم الأمر))([3])، وإنّما يعزم الامر أهله"([4]) . والفراء في هذا النص لايوحد بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي، أوبمعنى آخر بين الفاعل الحقيقي والفاعل في المصطلح، ولهذا يجعل الغضب لايسكت، وإنّما يسكن، لأن الفاعل عنده هو الذي يقوم بالفعل، ولا يصح للغضب أن يقوم بالسكوت. ونجد هذا عند أبي عبيدة([5])، والزجاج([6]).

ويتضح من أقوالهم أن العلاقة المعنوية المستفادة من السياق بين تلك الافعال وفاعليها ليست علاقة تآلف، فالفعل هنا ليس مما يقع على الفاعل مما أحدث هذا التنافر الذي لا يجبره الا تحويل سياق ومعنى الفعل إلى معنى وسياق يتناسب مع الفاعل أو أن يقولوا بالمجاز.

---

[1]- الكهف : 77
[2]- الاعراف : 154
[3]- محمد : 21
[4]- معاني القران للفراء : 2/ 12 ، 357/1
[5]- مجاز القران 1/ 41. – 411
[6]- معاني القران واعرابه ، 3/ 3.6

المبحث الثاني

توظيف السياق في درس قرينة التخصيص

التخصيص قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني التي تقيـد الإسـناد بجهـة خاصة([1]). وأمثلة هذه القرينة متعـددة منهـا، التعديـة، والغائيـة، والظرفيـة، والاخراج، وغيرها. ففي التعدية يُلاحظ أن المفعول به قيد في الاسناد حال دون فهم الإسناد على إطلاقه، نحو قولنا: ضـرب زيـد عمـراً، فإيقـاع الـضرب على(عمر) تخصيص لعلاقة الإسناد. وفي الغائية يقدم المفعول لأجله مثلاً علـى التخصيص، إذ يقيد الإسناد بسبب، نحو: أتيتُ رغبة في لقائك. وإسناد الفعل دون سبب أعم منه، ولذلك عُد المفعول لأجله واحداً من قيود الإسناد.

وفي الظرفية يخصص الإسناد بتقييده زماناً أو مكاناً، نحو صـحوتُ إذ تطلـع الشمس، وعوقب الجاني أمام الناس.

وفي الاخراج يدل الإستثناء على أن الإسناد لايشمل المستثنى، لأنّـه أُخـرج منه، نحو قولنا: نجح الطلاب إلاّ علياً، فإسناد النجاح إلى الطلاب هنا أُستثني منه واحد، للدلالة على أخراجه منهم، ففي الإخراج تقييد الإسـناد وتخـصيص لـه، فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حيث نفهم هذه القرينة المعنوية مـن الـسياق الذي يلفها. فإذا قلنا: جاء القوم إلاّ زيداً، فإننّا قد أسندنا المجئ إلى القوم وأخرجنا زيداً من هذا الإسناد.

وقرائن التخصيص كثيرة سوف تقوم الدراسة بتناولها لتؤكد توظيف السياق فى درسها والإهتداء إليها، وتقع تحت مظلة التخصيص ثمان قرائن وهـي علـى النحو التالي:

1- توظيف السياق في درس قرينة التعدية:-

التعدية قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول به([2]) يقـول عبـد القـاهر الجرجاني: "كذلك إذاعديت الفعل إلى المفعول، فقلت ضرب زيـد عمـراً، كـان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الاول بالثاني ووقوعه عليه"([1]).

---

[1]- انظر : مبادئ اللسانيات : 6229 – 23 ، واللغة العربية معناها ومبناها ، ص : 194 – 2.4

[2] - اللغة العربية معناها ومبناها،ص:195

فالمفعول به هنا يعتبر تعبيراً عن الجهة وأن التعدية تخـصيص لعلاقـة الاسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه.

ويدل مصطلح المفعول به على ما وقع عليه فعل الفاعل عنـد سـيبويه([2])، وكذلك هو عند الفراء([3]) والنحاس([4]).

وقد وظف معربوا القرآن السياق لمعرفة الفاعل من المفعول عند الإلتباس كما في قوله تعالى: ((لاينال عهدي الظالمين))([5]) وفـي قـراءة عبـد ا بـن مسعود:((لا ينال عهدي الظالمون))([6])، فقال الفراء: " فُسرهذا لأن ما نالـك فقـد نلته، كما تقول: نلت خيرك، ونالني خيرك"([7]). والفراء بذلك يعلق معنى الفاعليـة والمفعولية بمعنى الفعل. ويوضح الاخفش الفرق المعنوي بين الفاعل والمفعول به، حيث يقول: "لا ينال عهدي الظالمين". لأن العهد هو الذي لاينالهم، وقال بعضهم: " لاينال عهدي الظالمون"، والكتاب بالياء، وإنّما قالوا:" الظالمون" "لأنّهم جعلـوهم الذين لاينالون"([8]).

وقد جمع الزجاج بين قولي الفراء و الأخفش حيث جعل المعنى في الرفـع والنصب واحداً؛ "لأن النيل مشتمل على العهد وعلى الظالمين، إلاّ أنّه يجعل قراءة النصب أقوى لموافقة رسم المصحف، لأن المعنى أن إبراهيم عليه الـسلام كأنّـه قال:"واجعل الإمامة تنال ذريتي، وأجعل هذا العهد ينال ذريتي"([9]).

وكذلك نقل النحاس عن المبرد أن المعنى يوجب نصب الظالمين ، ثم حكّم السياق اللغوي في إختيار هذا المعنى، حيث قال: " قال ا عز وجل لإبراهيم عليه السلام: ((إني جاعلك للناس إماماً))([10])، فعهد إليه بهذا، فـسأل إبـراهيم فقـال:

---

[1] - دلائل الاعجاز:118.
[2]- الكتاب 1/ 117
[3]- معاني القران 1/ 21 ، 113
[4]- نفس المصدر 1/ 76
[5]- البقرة : 124
[6]- انظر البحر المحيط : 1/ 377
[7]- معاني القران 1/ 76
[8]- معاني القران للاخفش : 1/ 146 تحقيق : فائز فارس دار البشير ، دار الامل ، ط3 ، 14.1 – 1981
[9]- معاني القران واعرابه : 1/ 2.5
[10]- البقرة : 124

((ومن ذريتي)) فقال جل وعز: ((لاينال عهدي الظـالمين)) ،لا اجعـل إمامـاً ظالماً"([1]).

وعندما نتامل قوله تعالى: ((إنّما يخشى ا من عباده العلمـاء))([2])، نجـد أن السياق قد اوضح المعنى على الرغم من التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول، إذ لا يمكن لعاقل أن يتصور أن ا يخشى من العلماء، وكذلك في قوله تعالى: ((وإذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات))([3]). فا هو الذي إبتلي إبراهيم وليس العكس.

ومن هنا نستنتج أن موقعية الفاعل أو المفعول والرتبة والعلامة الإعرابية قد لا تستطيع تمييز المفعول به، فقد تتخلف كل هذه الاشـياء ويبقـى الـسياق هـو الحارس الامين على المعنى.

2-توظيف السياق في درس قرينة الغائية:-

الغائية قرينة معنوية دالة على المفعول له (المفعول لأجله)، أو علـى معنى المضارع بعد الادوات الآتية: اللام ،وكي ،الفاء، ولن، وإذن. فـإذا قلـت: أتيت رغبة في لقائك، أو كي ألقاك، أولألقاك.... فإنك قد أسندت الأتيان إلى نفسك مقيداً بسبب خاص، وهذا القيد هو الغائية، ويعتبر جهة في فهم الاتيان، لأن الأتيان هنا مفهوم من جهة كونه مسبباً عن الرغبة في اللقاء([4])، وقد جاء شرط الغائيـة عند سيبويه حيث قال: " انتصب لأنّه موقوع له، ولأنه تفسير لما قبله لم كان"([5])، وقال إبن السراج: "إنما يذكر لأنه عذر لوقوع الأمر"([6]).

وقد اشار معربوا القرآن الى معنى العلة والغائية في تقـديرهم الـلام أو غيرها في دراستهم، حيث قدر الزجاج اللام، لمعنى المفعول له، في قوله تعـالى: ((وما أختلف فيه إلا الذين أُوتوه... بغياً بينهم))([7])، قال: "وقوله بغياً بينهم، نصب

---

[1]- اعراب القران للنحاس : 1/ 258 – 259
[2]- فاطر : 28
-
- [3]البقرة :37
[4]- اللغة العربية ومعناها ، ص : 195 – 196
[5]- الكتاب : 1/ 367
[6]- ابن السراج ، ابو بكر محمد بن السري . الاصول في النحو . تحقيق عبد الحسين الفتلي ، الرسالة ، 1985 ، ط1 ، ص : 1/ 249
[7]- البقرة : 213

بغياً على معنى مفعول له، المعنى: لم يوقعوا الإختلاف إلا للبغي"([1])، ومثل ذلك قوله تعالى: ((ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضاة ا))([2])، قال:" ونـصب إبتغاء مرضاة ا   على معنى المفعول له، المعنى: يشريها لإبتغاء مرضاة ا "([3])، وتبعه النحاس في ذلك([4]).

ويتضح توظيف السياق في قرينة الغائية بجلاء في تفسير الفـراء لقولـه تعالى: ((يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت))([5]) قال الفراء: "نصب (حذر) على غير وقوع من الفعل عليه، لم يرد يجعلونهم حذراً، إنما هـو كقولك: " أعطيتك خوفاً وفرقاً، فأنت لاتعطيه الخوف، وإنما تعطيـه مـن أجـل الخوف([6]).

وقد تحذف أداة الغائية إعتماداً على السياق كما في قوله تعالى: ((ثم آتينـا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شىء))([7])، فقد قدر الزجـاج لاماً محذوفة، حيث قال: " و(تمام) منصوب، مفعـول لـه، وكـذلك (تفـصيلاً)، والمعنى: آتيناه لهذه العلة، أي: للتمام والتفصيل"([8]).

3- توظيف السياق في درس قرينة المعية:-

المعية قرينة معنوية تستفاد منها المصاحبة، وإصطلاح المعية مقصور على قرينة المفعول معه والمضارع بعد الواو، نحو: لا تأكل السمك وتـشرب اللـبن. والفرق بين الواو هنا، والواو التي في المفعول معه، هو في التضام بين الواو وما يتبعها، فالذي يضام الواو في المعية إسم منصوب، والـذي يـضام الـواو فـي المصاحبة مضارع منصوب، ومن هذا يتضح أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها.

---

[1]- معاني القران واعرابه : 1/ 276
[2]- البقرة : 2.7
[3]- معاني القران واعرابه : 1/ 269 ، 148 ، 2/ 519
[4]- اعراب القران للنحاس : 4/ 221
[5]- البقرة : 19
[6]- معاني القران للفراء : 1/ 17
[7]- الانعام : 154
[8]- معاني القران واعرابه : 2/ 337

فالواو في درس المعية بمعنى (مع) ويفهم ذلك من السياق، لأنها لاتشرك المفعول معه مع ما قبله في الحكم، وقد فرق سيبويه([1]) بين معنى العطف ومعنى المعية حيث يقول: "ويدلك على أن الإسم ليس على الفعل في المعية في(صنعت) أنك لوقلت: أقعد وأخوك، كان قبيحاً، حتى تقول: أنت لأنه قبيح أن تعطف على المرفوع المضمر. فإذا قلت: ما صنعت أنت، ولو تركت هي، فأنت بالخيار، إن شئت حملت عليه الأول، وإن شئت حملته على معنى الأول([2]). ويتضح من النص أن سيبويه يفرق بين معنيين، من خلال المعنى والسياق، أحدهما: معنى العطف على الفاعلية، وفيه إشراك للمعطوف في معنى الفعل([3])، أما الأخر فمعنى المعية، لايشترك فيه ما بعد الواو مع ما قبلها، فإن معنى النصب في المفعول معه مخالفته في الحكم أو خروجه عن تلك الشركة، ومن هنا كان قول الكوفيين إن "المفعول معه منصوب على الخلاف"([4])، تفسيراً للمعنى كما كان تفسيراً للعامل.

4-توظيف السياق في درس قرينة الظرفية:-

الظرفية قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول فيه. ومعنى الظرفية هنا هو للتخصيص، أي: لتقييد زمن الإسناد أو مكانه على معنى الإقتران. فإذا كانت الظرفية في المفعول فيه على معنى الإقتران، فإن الظرفية في حروف الجر علاقة إحتواء بين معنى الحدث المستفاد من الفعل وبين الإسم التالي لحرف الجر([5]).

وإذا كان حرف الجر (في) للوعاء، فإن النحاة([6]) يجعلون شرط الظرف أن يتضمن معنى (في) دون ظهورها في الكلام، بل تلاحظ في السياق، فإن لم

---

[1]- انظر : الكتاب : 1/ 297 ، والاصول : 1/ 2.9 ، واللمع : 143 ، والانصاف : 1/ 248 – 249 ، وشرح المفصل : 2/ 49

[2] - سيبويه .الكتاب : 1/ 297

[3]- الاعراب والمعني . د . محمد احمد خضير ، مكتبة الانجلو المصرية ، 2..1 ، ص : 58 ، وانظر العلاقة بين المعني والاعراب في كتاب سيبويه ، ص: 26

[4]- ابن الانبارى. الانصاف : 1/ 22. ، وابو حيان . الارتشاف : 1/ 6.3

[5]- اللغة العربية معناها ومبناها ، 197

[6]- انظر شرح المفصل : 2/ 41 ، ومعاني القرءان للاخفش : 1/ 49

يتضمن معنى (في) كان اسماً وليس ظرفاً، وإن ظهرت كان اسماً مجـروراً بهـا أيضاً، وقد جاء ذلك عند سيبويه([1]) وإبن السراج([2]).

وينقسم الظرف الى متصرف وغير متـصرف([3])، ويجـوز فـي الظـرف المتصرف أن يستعمل ظرفاً وغير ظرف، وأختلف المعنى في الحالتين إعتمـاداً على السياق، فقد أجاز الفراء أن يكون مرفوعاً في قوله تعالى: ((والركب أسـفل منكم))([4])، حيث قال: " قوله أسفل منكم" نصبت، يريد: مكاناً أسفل مـنكم، ولـو وصفهم بالتسفل وأراد: والركب أشد تسفلاً لجاز ورفع"([5])، ولكنه لايجوز عنده في قوله تعالى: ((الحج أشهر معلومات))([6])، والمعنى: وقت الحج هذه الاشـهر، ولا يجوز النصب لأن تلك الأشهر ليست محددة فهي نكرة غير محصورة([7]).

ويجوز ايضاً أن يضاف المصدر الى الظرف ويكـون فاعلـه فـي المعنـى والسياق على سبيل التوسع، ومن أمثلة ذلك، قولـه تعـالى: ((بـل مكـر الليـل والنهار))([8]) ويمكن تقدير المعنى على الظرفية من خلال السياق، أي مكـر فـي الليل ومكر في النهار، وأجاز الفراء هذا الوجه، كما أجاز أن يكون الليل والنهـار فاعلين في معناهما على التوسع، لأن المعنى معروف وواضح من خلال السياق، حيث قال: " المكر ليس لليل ولا للنهار، إنما المعنى: بل مكركم بالليل وبالنهـار، وقد يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم وليلك نائم، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهـو فـي المعنـى للآدميين، كما تقول: نام ليلك وعزم الأمر، إنما عزم القوم، فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب" ([9]). وفي قوله: "هذامما يعرف معناه" إشارة واضحة من الفراء في توظيف السياق لفهم المعنى.

---

[1]- الكتاب : 1/ 216
[2]- الاصول : 1/ 19.
[3]- انظر الكتاب : 1/ 419
[4]- الانفال : 42
[5]- معاني القران للفراء : 1/ 411
[6]- البقرة : 167
[7]- معاني القران : 1/ 119 ، 2/ 2.3
[8]- سبا : 33
[9]- معاني القران للفراء : 2/ 363

وكذلك قال الأخفش: " والليل و النهار لايمكران باحد ولكن يُمكـر فيهمـا، كقوله تعالى: ((من قريتك التي أخرجتك))([1]) وهذا من سعة العربية"([2]).

- توظيف السياق في درس قرينة التقوية:-

- **أولاً: المفعول المطلق:**

التقوية أو التوكيد والتحديد قرينة معنوية دالـة علـى المفعـول المطلـق، والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذي يفيده الحدث في الفعـل، وذلـك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته، لأن المصدر هو اسم الحدث، ففـي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل، وتكون التقوية بواسطة ذكره مفرداً منوناً على سبيل التأكيد، أو مضافاً لمعين لإفادة النوع، أو موصوفاً لإفـادة النوع أيضاً، أومميزاً لعدد فيكون العدد نفسه مفعولاً مطلقاً والمصدر تمييزاً، وقـد يكون المصدر اسم مرة أومثنى اسم المرة فيفيد العدد أيضاً([3]).

وكان سيبويه والمبرد قد تنبها إلى العلاقة المعنوية بين الفعل والمنـصوبات التي يعمل فيها([4])، فإن هذه العلاقة بين المفعول المطلق وعامله هي التـي تحـدد كونه مفعولاً مطلقاً، فالفعل _ التام _ عند النحاة يتضمن الحدث والـزمن، وهـذا الحدث هو المصدر المنتصب توكيداً لفعله، أوبياناً لنوعه أوعـدده، والتوكيـد لا يكون الآ بالتكرار، والذي يتكرر في جملة المفعول المطلق هو الفعل، إما بلفظـه ومعناه، أو بمعناه وحده، حين يكون لفظ المصدر المطلق مخالفاً للفظ العامل.

والمفعول المطلق قد يكون من لفظ الفعل ومعناه مثل قوله تعالى: ((وكلـم ا موسى تكليماً))([5])، أو من معناه دون لفظه، مثل قوله تعالى: ((وا أنبتكم من الأرض نباتاً))([6])، فمصدر (أنبت) هو (إنباتاً) فيكون المصدر بذلك مـن معنـى الفعل وإن إختلاف اللفظ([7]).

---

[1]- سورة محمد : 13

[2]- معاني القران للاخفش : 445

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها : 198

[4]- الكتاب : 1/ 34 ، والمقتضب : 3/ 187

[5]- النساء : 164

[6]- نوح : 17

[7]- انظر معاني القران للاخفش : 51 ، ومعاني القران للنحاس : 5/ 4.

وقد يختلف العامل في لفظه كلية عن المصدر إلا انه يكون مرادفاً له، فيقوم بتوجيهه، وجاء ذلك عند الزجاج في تفسير قوله تعالى: ((يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً))([1])،"وغروراً منصوب على المصدر، وهذا محمول على المعنى لأن معنى إيحاء الزخرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال: يغرون غروراً"([2]). وفي تفسيره توظيف صريح للسياق اللغوي في دلالة الآية على المفعول المطلق.

ومثل ذلك جاء عند النحاس في قوله تعالى: ((واشتعل الرأس شيباً))([3])، حيث قال:" في نصبه قولان: أحدهما أنه مصدر، لأن معنى إشتعل شاب"([4]).

وقد يلتمس معنى الفعل الناصب للمصدر المؤكد فيما سبقه من السياق، وقد جاء ذلك عند سيبويه([5])، كما جاء عند الأخفش، حيث قال في قوله تعالى: ((وزينّا السماء بمصابيح وحفظاً))([6])،" كأنه قال: وحفظناها حفظاً، لأنه حين قال: "وزيناها بمصابيح" قد أخبر أنه نظر في أمرها وتعاهدها، فذا يدل على الحفظ"([7]).

وقال الزجاج في قوله تعالى: ((كتاب الله عليكم))([8])، "أنه منصوب على التوكيد محمول على المعنى ، لأن معنى قوله: (كتاب الله عليكم)، كتب الله عليكم هذا الكتاب"([9])، فالاخفش والزجاج كلاهما فهم من خلال سياق تلك الآيات معنى المفعول المطلق.

ثانياً : التوكيد:

إرتبط التوكيد بالزيادة عن المعنى المقصود، فوقف معربوا القرآن عند كلمات التوكيد يبحثون لها عن إضافة، تضيفها عن المعنى، فإذا وجدتْ الإضافة

1- الانعام : 117
2- معاني القران واعرابه للزجاج : 2/ 312
3- مريم : 4
4- اعراب القران للنحاس 3/ 5 ، 112
5- الكتاب :1/ 381 ، 382
6- فصلت : 12
7- معاني القران للاخفش : 2/ 465
8- النساء : 24
9- معاني القران واعرابه للزجاج : 2/ 36

والفائدة لم تكن توكيداً، ويخرج عن ذلك التحلية كالتقوية أو الإبلاغ أو رفع المجاز، فإنّها أغراض للتوكيد زائدة عن الفائدة .

وقد أشا ر الفراء الى التوكيد اللفظي بمصطلح التكرار. كما عرف الغرض من التوكيد ففيه قوة وإبلاغ. فوقف عند قوله تعالى : ((ولا طائر يطير بجناحيه))([1])، ثم بحث عن فائدة اللفظة " بجناحيه" فلا يجد لها إلاّ الإبلاغ في الكلام، أي: توطيده وتقويته، يقول الفراء: :" وأما قوله: ((ولاطائر يطير بجناحيه))، فإن الطائر لايطير إلاّ بجناحيه، وهو في الكلام بمنزلة قوله تعالى : ((له تسع وتسعون نعجة انثى))([2])، وكقولك للرجل: كلمته بفي ومشيت إليه على رجلي إبلاغاً في الكلام"([3]).

ويوضح الزجاج معنى التوكيد في الآية ويقول: " وقال: (يطير بجناحيه) على جهة التوكيد؛ لأنك قد تقول للرجل طر في حاجتي، أي أسرع"([4]). وهو ما يفهم منه أن الغرض من التوكيد هنا رفع المجاز. كما أشار إلى ذلك أبو حيان حيث قال: "إنّه تاكيد لقوله (ولاطائر)، لأنّه لاطائر إلاّ ويطير بجناحيه، وليرفع المجاز الذي كان يحتمله قوله (ولا طائر) لو إقتصر عليه، ألا ترى إلى استعمال الطائر للعمل في قوله تعالى: ((وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه))([5]).

6- توظيف السياق في درس قرينة الملابسة:-

الملابسة قرينة معنوية على إفادة معنى الحال. وقد عرف النحاة([6]) الحال بإنها وصف يبين هيئة الفاعل أو المفعول، فمعنى: جاء زيد راكباً، جاء زيد في هذه الحال([7]). كما اشترطوا أن يكون الحال مذكوراً لبيان الهيئة، وبعبارة أخرى

---

[1]- الانعام : 38

[2]- ص : 23 ، وهي قراة ابن مسعود

[3]- معاني القران للفراء : 1/ 332

[4]- معاني القران واعرابه : 2/ 269

[5]- الاسراء : 13 ، وانظر البحر المحيط : 4/ 119

[6]- انظر : شرح الاشموني : 258 ، والاصول : 1/ 13 ، شرح ود الكافية : 1/ 198 وشرح ابن يعيش : 55/2 5، وشرح التصريح : 1/ 365

[7]- انظر : شرح المفصل : 2/ 55 ، والاصول : 1/ 213

أن يكون مفهماً في حال كذا، وهو شرط دلالي يميزه عن النعت، الذي لايفيد ذلك بلفظه بل باللزوم، كما يميزه عن التمييز الذي يأتي لبيان الجنس لالبيان الهيئة([1]).

ويمكن تقدير معنى الحال من السياق الذي ورد فيه، كما في قوله تعـالى: ((إذ القلوب لدى الحناجر كا ظمين))([2])، قال الأخفش: "انتصاب (كاظمين) علـى الحال، كأنه اراد: القلوب لدى الحناجر في هذه الحال"([3]).

كما يظهر إعتبار النحاة للمعنى و السياق في تنكير الحال، حيث إشـترط البصريون أن تكون الحال نكرة([4])، فإن جاءت معرفة أُولت على زيادة الألـف واللام، كما في: مررت بهم الجماء الغفير وغيرها([5]). ومذهب جمهور النحـويين أن الحال لا تكون الا نكرة، وأن ما ورد منها معرفاً لفظاً فهو منكر معنى([6]).

واشترط النحاة كذلك أن تكون الحال مشتقة([7])، إلا أنهم وجدوا اسماء جامدة نصبت علي الحال([8])، ومن ذلك ايضاً الحال الموطئة، وهي الجامدة الموصـوفة من مثل قوله تعالى: ((فتمثل لها بشراً سوياً))([9]).

واذا بدا أن شرط الإشتقاق شرط لفظي، فإن النحاة بتأويلهم غير المشتق إنمـا لجأوا إلى المعنى والسياق، في حين نجد الرضى الاستراباذي بعد ذلـك يقـول: رافضاً التأويل: أنه "لاحاجة الى هذا التكلف، لأن الحال هو المبين للهيئة، وكل ما قام بهذه الفائده فقد حصل فيـه المطلـوب مـن الحـال، فـلا يتكلـف تاويلـه بالمشتق"([10]).

وعلى هذا فقد عبر الاستراباذي بوضوح في ضرورة توظيف السياق فـي درس الحال ونادى بالنأي بالدراسات النحوية عن التكلف والتاويل.

---

[1]- انظر شرح الكافية : 1/ 198 ، 199

[2]- غافر : 18

[3]- معاني القران للاخفش : 2/ 161

[4]- الكتاب : 1/ 36. ، 372

[5]- نفس المصدر : 1/ 375 وهمع الهوامع : 4/ 18 – 19

[6] - شرح ابن عقيل : 2/ 248 – 249

[7]- شرح الكافيه : 1/ 2.7

[8]- شرح المفصل : 2/ 61

[9]- مريم : 17 ، وانظر همع الهوامع : 4/ 39

[10]- انظر شرح الكافية : 1/ 2.7

ولقد تقرر لدى النحاة([1]) الى درجة الاجماع بأن الحال فـضلة، والفـضلة فـي اصطلاحهم ما زاد على ركني الاسناد في الجملة، أو ما جاء بعد تمام الكلام، لـذا يجوز على حد قولهم حذف الحال.

إلا أن حذفها قد يترتب عليه أحياناً فساد في المعنى والاعتقاد اذا كان الامـر متعلقاً بقضية دينية عقدية، وذلك في كثير من المواضع ممـا يجعلنـا نقـرر أن توظيف السياق في درس الحال هو الفيصل في كون الحال فضلة ام غير فـضلة، ومن خلال النصوص التالية يتضح لنا جلياً موضع الحال في الدرس النحوي، قال تعالى: ((ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى))([2])، وقال تعالى: ((ولاتمـش فـي الارض مرحاً))([3])، وقوله: ((ومـا خلقنـا الـسموات والارض ومـا بينهمـا لاعبين))([4]). وقال أحد الشعراء([5])

إنّما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء.

فلو حذفت الحال في الاية الاولى، وهو جملة (وانتم سكارى)، لأصبح المعنى نهياً عن الصلاة إطلاقاً، والمراد النهي عنها في حالة السكر ليس غير.

ولو حذفت الحال (مرحاً) في الاية الثانية، لأصبح المعنى النهي عن المشي في الارض، والمراد النهى عن مشى المرح والخيلاء، لا عن المشي في كل حال.

ولو حذفت الحال (لاعبين) في الاية الثالثة، لأصبح المعنى نفياً لقيـام ا عـز وجل بخلق السموات والارض، وفي هذا فساد في المعنى والإعتقاد، لأن المعنى: لم يخلقهما ا لاعباً، وإنّما لحكمة هو أرادها.

ولوحذفت الحال في (كئيباً) في البيت لفسد المعنى المراد، إذ لا معنى لقولنـا: "إنّما الميت من يعيش"، لأن الشاعر قصد أن يقول: إنما الميت من يعيش فى حالة كآبة([6]).

---

[1]- الجمل في النحو : 35 ، وشرح المفصل : 2/ 555 وشرح بن عقيل : 2/ 42 ، وهمع الهوامع : 4/ 7

[2]- النساء : 43

[3]- الاسراء : 37

[4]- الانبياء : 16

[5]- هو عدي بن الرعلاء الغساني ، انظر الخزانة : 4/ 187 واللسان ، مادة " موت "

[6]- سلمان القضاة ، الحل فضلة : مجلة الجاث اليرموك منشورات جامعة اليرموك ، المجلد " 7 " العدد " 1" 1989 ، ص : 129

فالحال إذن ليست فضلة كما تبين لنا من المواضع السابقة حتى يمكن الإستغناء عنها، بل هي عمدة كما هو واضح من السياق إذ لايمكن التخلص منها مع إستقامة المعنى.

7- توظيف السياق في درس قرينة التفسير:-

التفسير قرينة معنوية على إفادة معنى التمييز، ولاشك أن الإبهام عموم، وأن التقييد تخصيص لهذا العموم، وما دام التفسير يزيل الإبهام فهو تخصيص يزيل العموم([1]).

وتعددت المصطلحات الدالة على التمييز عند النحاة ومعربي القرآن، فقد سمى بالتفسير([2]) والبيان([3])، والتبيين([4]) وارتبطت هذه المصطلحات بمعنى التمييز، كما إرتبط التمييز عند النحاة بالإبهام الذي يدل عندهم على أن الجملة تامة من ناحية التركيب النحوى، ولكنها غامضة من ناحية المعنى([5]).

ويكون الإبهام في المفرد والجملة، فمن أمثلة المفرد (عندي رطل) حيث يقع الغموض بسبب كلمة (رطل)؛ لأنّه يحتمل كثيراً من الموزونات، فإذا قلت: "عندي رطل عسلاً"، زال الإبهام وظهر المعنى.

ومن أمثلة الجملة : (طاب زيد)، ويأتي الغموض من اسناد الطيبة الى زيد، والمقصود اسنادها إلى شئ يتصل به، يحتمل أن يكون لسانه، أو قلبه، أونفسه، أو غير ذلك، فإذا قلنا: طاب زيد نفساً، رفع الابهام عن الجملة([6]).

وشرط التمييز أن يكون نكرة جنساً مقدراً بمن([7])، وقيل أنّه يجئ فضلة بعد تمام الكلام([8])، إلاّ أن الناظر المتفحص للمعنى قد يساوره نوع من الشك في وصف التمييز بأنّه فضلة، ففي قوله تعالى: ((فلن يقبل من أحدهم ملء الارض

1- اللغة الربية معناها ومبناها : 198
2- انظر معاني القران للفراء : 1/ 225 ، 226 ومعاني القران للزجاج : 2/ 198 ، 2.8
3- انظر اعراب القران للنحاس : 1/ 23. ، 238 ، 276
4- المقتضب : 3/ 32
5- انظر : د : حلمي خليل . العربية والغموض . دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1988 ، ط1 ، ص : 128
6- انظر العربية والغموض : 129
7- شرح المفصل : 2/ 7. – 71
8- المصدر السابق : 2/ 7.

ذهباً))([1]) لايمكن اعتبار (ذهباً) عنصراً يمكن الاستغناء عنه من السياق ويستقيم المعنى. فإذا قلنا: (فلن يقبل من أحدهم ملء الارض) بدون ذكر (ذهب) لاختل السياق ولأنبهم المعنى.

أما إذا اختاف شرط التنكير فإن النحاة([2]) يختلفون في أعراب المنصوب المعرفة، كإختلافهم في إعراب كلمة (نفسه) من قوله تعالى: ((ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه))([3])، فالفراء يعربها تمييزاً مؤولاً المعرفة بالنكرة([4]). وسبب هذا الاختلاف الإعرابي إختلاف التفسير حول المعنى المقصود من التركيب، وبأرجائه الى السياق بشقيه اللغوي والمقامي يتضح في كثير من الاحيان.

8- توظيف السياق في درس قرينة الإخراج:-

الإخراج قرينة معنوية على إرادة معنى الإستثناء، فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق([5])، فإذا قلنا جاء القوم الاّ زيداً، فإننّا قد اسندنا المجئ إلى القوم وأخرجنا زيداً من هذا الإسناد.

وما يتحكم في الإسناد هو معنى المخالفة، أي: خروج المستثنى من حكم المستثنى منه، وهذه الفكرة هي أساس النصب في المستثنى عند سيبويه الذي يقول: هذا باب لا يكون المستثنى فيه الاّ نصباً لأنّه مُخْرج مما ادخلت فيه غيره([6]). ومعنى الخروج هذا نجده ماثلاً عند أبي عبيدة في قول ا تعالى: ((فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا إمرأتك))([7])، حيث يقول: "إنّها منصوبه، لأنّها في موضع مستثنى واحد من جميع، فيخرجونه منهم، يقال مررت بقومك إلاّ زيداً"([8]).

---

[1]- ال عمران : 91
[2]- انتظر الكتاب : 2/ 112 والجمل : 242 ، وشرح المفصل : 2/ 7. وتسهيل الفوائد : 115
[3] - البقرة :0 13.
[4]- معاني القران 1/ 79 ، وانظر معاني القران للزجاج : 2/ 299 في قوله تعالي " او عدل ذلك الصيام "
[5]- اللغة العربية معناها ومبناها :199
[6]- الكتاب : 2/ 33. ، وانظر العلاقة بين العلامة والمعني : 112
[7]- سورة هود : 81
[8]- مجاز القران : 1/ 295

وقد حكّم النحاة والمعربون([1]) السياقين اللغوى والمقـامي فـي المعنـى المقصود خاصة في القرآن الكريم في آياته التي تتضمن تركيب الإستثناء، ومـن ذلك قوله تعالى: ((وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس))([2]).

فتساءلوا: هل إبليس من الملائكه أم من غيرهم، فإذا كان من الملائكة كان الإستثناء متصلاً، وإن لم يكن منهم كان الاستثناء منقطعاً، وقد جعلـه أبوعبيـدة إستثناء متصلاً، حيث قال: " نصب إبليس على إستثناء قليل من كثير" ([3]) بينمـا جعله الزجاج منقطعاً، لأن إبليس لم يكن من الملائكة، وقد عرض القولين وأختار هذا القول لاستناده على السياق اللغوي، حيث قال: "قال قوم إن إبليس كـان مـن الملائكة فاستثنى منهم في السجود، وقال قوم من أهل اللغة لم يكـن إبلـيس مـن الملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى: ((إلا إبليس كان مـن الجـن))([4])، فقيـل لهؤلاء: فكيف جاز أن يستثنى منهم؟ فقالوا: إن الملائكة_ وإياه_ أمروا بالسجود، قالوا ودليلنا على أنّه أُمِر معهم، قوله تعالى: ((إلاّ إبليس أبى))([5])، فلـم يـأب إلاّ وهو مأمور، وهذا القول هو الذي نختاره، لأن إبليس كان من الجن كما قال عز وجل، والقول الآخر غير ممتنع ويكون (كان من الجن)،أي: كان ضالاً، كمـا أن الجن كانوا ضالين، فجعلهم منهم، كما قال في قصته وكان من الكافرين، فتأويلهـا أنّه عمل عملهم فصار بعضهم، كما قال عز وجل: ((المنافقون والمنافقات بعضهم اولياء بعض))([6]). والزجاج في ذلك يحكّم السياق اللغوي فيستدعي من القرآن ما يؤيد القولين ويختار أحدهما، إلاّ أنّه لا ينفي جواز الآخر، وذلك لأن لفظة (الجن) في آية الكهف تعني أنّه اشترك معهم في الضلال مع أنّه من الملائكة.

9- توظيف السياق في درس قرينة المخالفة:-

---

[1]- انظر معاني القران للاخفش : 2/ 631 ، ومعاني القران للفراء 1/ 317 ، 318 ، وانظر الكتاب : 2/ 31. ، وشرح ابن عقيل : 2/ 215

[2]- البقرة : 34

[3]- مجاز القران 1/ 38

[4]- الكهف : 5

[5]- البقرة : 34

[6]- التوبة : 67 ، وانظر معاني القران للزجاج : 1/ 82

المخالفة قرينة معنوية يقصد منها أن جزءاً مـن أجـزاء التركيـب يخالف أحكام الإسناد الجاري([1]). ويبدو هذا جلياً في باب الإختصاص، نحـو: " نحن – السودانيين– لانقبل الضيم" ف"السودانيين"، هنا جـزء يخـالف مقتـضى الإسناد الذي يتطلب خبراً، ولذلك لايمكن أن تعرب كلمة (السودانيين) خبـراً، لأن المراد معنى يخالف ما ذكر وهو أخُص وأعنى. على حين أن المتكلم إذا قـال: " نحن – السودانيون- لانقبل الضيم"، لايعني شيئاً مما سبق من التخصيص، إنّمـا يريد مجرد الإخبار، فيجري الإسناد مطلقاً دون تقييد أو مخالفة.

وقرينة المخالفة يمكن إستخدامها في عدد آخر من ابواب النحـو فتكـون مثلاً هي التفسير لما يرد من تعدد حركة المضارع فـي نحـو: لاتأكـل الـسمك وتشرب اللبن. حيث ذهب جمهور النحاة([2]) إلى كون المركب الإسمي الإسـنادي المقترن بالفاء أو الواو: يجوز فيه ثلاثة اوجه إعرابية، وكل وجه من هذه الوجوه الثلاثة يقوم على إعتبار معنوي خاص به، وواجب المتكلم أو المعرب أن يختـار من هذه الاوجه ما يناسب السياق ويساير معنى التركيب، وينطبـق ذلـك علـى المضارع في قوله تعالى: ((من يضلل ا فلا هادي له ويـذرهم فـي طغيـانهم يعمهون))([3])، فيجوز جزم المضارع في هذه الاية عطفاً على الجملـة الاسـمية الجوابية، وتكون الواو عاطفة، ويجوز نصبه بأن مضمرة وجوباً وتكـون الـواو للمعية، ويجوز رفعه على أن الجملة مستأنفة، والواوحرف إستئناف([4]).

كما وردت نصوص كثيرة خُولف فيها في الاعراب لاختلاف المعنى، وقـد إندراح مثل هذا في التوابع المتعاطفة، التي تخالف ظاهر نسقها الاعرابي ، تنبيهـا على المعنى الذي يحتمله سياقها مدحاً كان أو ذماً، وذلك من خلال ما تردد – مثلاً - في توجيه قراءات: (الصابرين) في قوله تعـالى: ((والموفـون بعهـدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس..))([5])، و(الصلاة) في قوله

---

[1]- مبادئ اللسانيات : ص : 231

[2]- انظر مغني اللبيب : 626 ، جامع الدروس العربية . درس الكتب العلمية : 3/ 54

[3]- الاعراف : 186

[4]- انظر شرح ابن عقيل : 2/ 277 ، والنحو الوافي : 4/ 477

[5]- سورة البقرة : 177 ، وقد قرء الجمهور " الصابرين " نصبا ، وقراها الحسن والاعمش ويعقوب رفعا ، انظر البحر المحيط : 2/ 7

تعالى: ((حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقومـوا قـانتين...))([1]).
و(وذي القربى)، في قوله تعالى: ((وبالوالدين إحساناً وبـذي القربـى واليتـامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب))([2])، وكلمة (المقيمين) فـي قولـه جلت حكمته: ((والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمـين الصلاة والمؤتون الزكاة))([3]).

فالمخالفة الاعرابية بمجردها هي التي أوحت بإفراد هذه الصفات بمدح محدد، فعدل عن نسقه نصباً على المدح أو الاختصاص، تنبيهاً على فضيلة الصبر فـي الشدائد، ومواضع القتال، وإظهاراً لمزيته على سائر الاعمال.

أما الصلاة الوسطى، فقد تضافر على إبراز أهميتها فـي سـياقها القرآنـي اعتباران، أولهما: ذكرها خاصة بعد دخولها في حكم العمـوم قبلهـا، والآخـر: العدول بها عن نسقها نصباً على الإختصاص حثاً على المحافظة عليها لإنـشغال الناس عنها، ويصدق هذا المعنى كذلك على " ذي القربى" نصباً، للتنبيه على عِظَم حقيه في الجوار والقرابة، ولما كانت إقامة الصلاة هي عماد شرع ا ، فقد غُيـر نسقها الاعرابي، تنبيها على فضلها، وتعظيماً لمكانة مقيميها على وجهها([4]).

وأظن أن هذه المعاني وغيرها مما يكشف عنه سياق هذه الآيـات، قـد دعت أبا علي الفارسي إلى الحكم بأن المخالفة الاعرابية في مثل هذا المقام أبلـغ من جريان الكلام على نمط واحدٍ، فيرى– فيما نقل عنه– أنّه " إذا ذُكرتْ الصفات الكثيرة في معرض الذم أوالمدح، فالأحسن أن يُخالف في إعرابها، ولاتجعل كلهـا جارية على موصوفها لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف والإبلاغ في القول، فإذا خُولف بإعراب الاوصاف كان المقصود أكمـل لأن الكـلام عنـد

---

[1]- البقرة : 238 ، وقرا الجمهور " الصلاة " بالكسر ، وقراها نصبا محمد بن ابي سادة ، ورويت كذلك عن السيدة عائشة ، انظر البحر المحيط : 2/ 242

[2]- النساء : 36 ، وقد قرا الجمهور " ذي " بالياء ، نصبا وقرا ابو حيوه بالالف نصبا

[3]- النساء : 162 ، قرا الجمهور" المقيمين " بالياء نصبا وقرا بالواو رفعا ، كلا من ابن جبير وعمرو بن عبيد والحجدري وعيسي بن عمر ومالك بن دينار والاصمعى عن الاعمش ويونس وهارون عن ابي عمرو ، انظر :المقبس : 1/ 2.4 والبحر : 539

[4]- انظر د : احمد سعد محمد . التوجيه البلاغي للقراءت القرانية ، مكتبة الاداب ، ط2 :1 142 – 2... ، القاهرة , ص : 111 – 112

الإختلاف يصير كأنّه أنواع من الكلام، وضروب من البيان، وعند الإتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً وجملة واحدة([1]).

9-توظيف السياق في درس قرينة النسبة :-

النسبة قرينة معنوية تجعل علاقة الإسناد نسبية([2])، والنسبة هنا غير التخصيص، لأن التخصيص تقييد على حين أن النسبة إلحاق. ويدخل في النسبة معنى الإضافة، ومعاني حروف الجر، التي تضيف معاني الافعال إلى الاسماء وتنسبها إليها.

ومن المعروف أن النحاة([3]) القدماء أولوا هذه الحروف الدالة على المعاني إهتماماً خاصاً إذ أفردوا للحديث عنها ابواباً واسعة ومؤلفات متعددة، وكان النحاة حريصين على شرح ما تفيده معاني الجر من تعليق، على أن التعليق بين الجار والمجرور وبين ما تعاق به إنما يكون بمعنى الحدث لا بمعنى الزمن. فالتعليق بوساطة ما يفهم بالحرف من نسبة هو في حقيقته إيجاد علاقه نسبية بين المجرور وبين معني الحدث الذي في علاقة الإسناد([4]).

نحو: "جلس زيد على الكرسي "، فالكرسي متعلق بالجلوس، أي: الحدث، لا بالمعنى، أي: الزمن.

وليس لحروف الجر معنى معجمي كما في الاسماء والافعال، وإنّما دلالاتها وظيفية تظهر في السياق([5])، وهذه الدلالات المبهمة التي عُرفتْ بها لايمكن ظهورها بوجه محدد إلا من خلال السياق، حيث يسهم السياق اللغوي في إظهار وتغليب وجه دلالي معين من بين الوجوه الدلالية لكل من دلالات الحرف.

ومن شواهد المناسبة بين دلالة حرف الجر والسياق اللغوي: "تاب على"، و"تاب إلى"، فالاول: يرد في سياق تفضل ا بالتوبة على عباده، ودلالة الإستعلاء فيه تناسب كون التوبة تفضلاً من ا عز وجل. والثاني: يرد في سياق إتجاه

---

[1]- انظر البحر المحيط : 2/ 7 -8 ، والبرهان في علوم القران : 1 / 249 ، ومعترك الاقران للسيوطي 1/ 254

[2]- مبادئ اللسانيات :

[3]- انظر: مغني اللبيب : 17 /488 والجني الداني وغيرها

[4]- مبادئ اللسانيات :

[5]- اللغة العربية معناها ومبناها :

العبد بالتوبة إلى ا ، ودلالة إنتهاء الغاية وإتجاه الفعل– المفهومة من " إلى"– تناسب كون التوبة من العبد، فهو يتوجه بها إلى ا عز وجل([1]).

أما الإضافة فهي علم الجر، فلا يكون الإسم مجروراً إلا بالإضافة، وتكون بحرف الجر أو بمعناه([2])، وتنقسم إلى إضافة محضة "أو معنوية" وإضافة غير محضة "أو لفظية" وهي إضافة المشتقات الى معمولاتها.([3])

وفي هذه الإضافة يُعرف النحاة معنى المضاف إليه ومحله الإعرابي، فقد يكون فاعلاً في المعنى إذا أفصح السياق عن ذلك كما في قوله تعالى: ((بإتخاذكم العجل))([4]) ومثله قوله تعالى : ((وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين))([5])، فالمصدر مضاف الي الفاعلين في المعني، كانوا بعبادتهم إياها كافرين([6])، وقد يجوز تقدير إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول، ويتغير المعنى في التقديرين، وقد جاء ذلك عند الفارسي في شرحه لقوله تعالى: ((ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مِريةٍ من لقائه))([7]) فعلى إضافة المصدر إلى المفعول يكون المعنى من لقاء موسى الكتاب، وأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، ويجوز أن يكون الضمير لموسى في "من لقائه" ويكون الفاعل محذوفاً، والمعنى من لقائك موسى في الحشر والإجتماع للبعث أو في الجنة([8]).

وتظهر قيمة السياق جلية في قوله تعالى : ((ولولا دفع ا الناس))([9]) فالتركيب في هذه الآية لايحتمل إلاّ وجهاً واحداً ذلك أن المعتقد الديني، والعرف، والسياق البنيوي، كل ذلك يقتضي هذا المعنى.

10- توظيف السياق فى درس قرينة التبعية:

---

[1]- د : محمد محمد داود . القران الكريم وتفاعل المعاني ، دار غريب للطباعة والنشر ، 1423 ، 2..2 ، القاهرة ، ط ، ص : 25

[2]- انظر : المقتضب : 4/ 136 ، شرح المفصل : 2/ 117 والكتاب : 1/ 419

[3]- انظر الاصول : 2/ 5 ، وشرح الكافية : 1/ 273

[4]- البقرة: 54.

[5]- الاحقاف:6.

[6] - إعراب القرآن للنحاس:226/1.

[7]- السجدة : 23

[8]- الحجة للفارسي : 2/ 23

[9]- الحج : 4.

التبعية قرينة معنوية عامة تضم فروعاً، هي النعت، والتوكيـد والعطـف والإبدال([1]).

أولاً: البدل:

البدل تابع مقصود بالحكم، أو مقصود بما نسب إلى المتبوع أما غيره من التوابع، فهي مكملة للمتبوع المقصود بالحكم، لا أنها هي المقصودة في الحكم([2]).

ومعنى ذلك أنّه يمكن الاستغناء بالبدل عن المبدل منه، ومن هنا كانـت جملـة: مررت بأخيك زيد، مثل: مررت بزيد، عند المبرد([3]).

هذا ويرتبط البدل بالمعنى إذ لابد من مراعاة السياق في تقدير البدل، يقول ابـن جني في قوله تعالى : ((إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنيين إذهما في الغار))([4])، فقال: (وقوله "إذهما في الغار" بدل من قوله عز وجل "إذ أخرجه الذين كفروا" فإن قلت: فإن وقت إخراج الذين كفروا له قبل حصوله صلى ا عليه وسلم فـي الغار، فكيف يبدل منه وليس هو هو، ولا هو أيضاً بعضه، ولاهو أيضاً من بـدل الإشتمال، ومعاذ ا أن يكون من بدل الغلط "([5]).

فإبن جني في هذا النص يجمل اقسام البدل، وينفي عن الآية أن تكون من بدل الغلط، لأنّه لا يقع في القرآن، وهو يشير إلى المعنـى اللغـوي "المعجمـي" والمعنى الإصطلاحي للغلط، معتمداً في إشارته هذه على السياق اللغوي والحالي.

ثانياً: النعت :

جاءت مصطلحات النعت([6])، والصفة([7])، والوصف([8])، للدلالة على معنـى الوصفية عند النحاة مما يشير إلى إرتباط المصطلح بالمعنى اللغوي. فقد لاحـظ الفراء العلاقة المعنوية بين النعت السببى وما بعده، فقال في قوله تعالى: ((ربنـا

---

[1]- مبادئ اللسانيات : ، ص : 23

[2]- شرح قطر الندي وبل الصدي ، ص : 439 ، شرح الكافية : 337/1

[3]- المقتضب : 4/ 295

[4]- التوبة : 4.

[5]- المحتسب : 291

[6]- انظر اعراب القران للنحاس : 3/ 415

[7]- معاني القران للاخفش : 2/ 488 ، ومعاني الزجاج : 12/1

[8]- المحتسب : 2/ 1.7 ، 298

أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها))([1])، خفض "الظالم"؛ لانّه نعت للأهل، فلما أعاد الآهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها([2])، فالظالم في المعنى، والسياق من أهل القرية وليس من القرية، لذلك كانت العلاقة المعنوية هي ما يربط النعت السببى بما بعده، بينما يرتبط بما قبله.

ولننظر الى تعليق الخليل على قول العرب: "هذا جحر ضبٍ خربٍ" فهو يرى أن التبعية فيه واضحة من السياق، لأن الخرب نعت للجحر، وليس نعتا للضب، لكنّه نعت الذي أضيف الى الضب فجروه، لأنّه نكرة كالضب، ولأنّه في موضع يقع فيه نعت الضب([3]).

ولا يكتفي الخليل بهذا، بل يأتي بالصورة المقابلة فيقول: " ولايقولون إلاّ "هذان جحرا ضب خربان" من قبل أن الضب واحد، والجحر جحران، وإنّما يغلطون إذا كان الآخر بعدة الأول، وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً"([4]).

فهو هنا يقصد أن العرب يغلطون لاسباب يتطلبها السياق، وهوغلط جائز عنده، لانّه في هذه الحالة تكفي القرائن الاخرى في الكشف عن المعنى النحوي كقرينة الإفراد والتذكير والتنكير "المطابقه" وقرينة الصيغة، والموقع الإعرابى، أو قرينة التبعية، ومن قبل السياق الذي يمثل القرينة الكبرى.

11-توظيف السياق فى درس قرينة العطف:

الاصل في العطف أن يعطف المفرد على المفرد، والجملة على الجملة، كما يعطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل، بل المضارع على المضارع، والماضي على الماضي، لكنه يجوز عطف الاسم على الفعل، والماضي على المضارع، والمفرد على الجملة، وبالعكس، إذا صح إتحاد المعطوف عليه بالتاويل، بأن كان الاسم يشبه الفعل والمضارع ماضي المعنى، والماضي مستقبل المعنى والجملة في تأويل المفرد([5]).

---

[1]- النساء : 75

[2]- معاني القران للفراء : 277/1

[3]- الكتاب : 1/ 217

[4]- نفس المصدر

[5]- انظر همع الهوامع 5/ 271 – 272 ، وشرح الكافية : 1/ 328

ومعنى ذلك أن مبرر المخالفة بين المعطوفين هو المعنى والسياق، فهما مختلفان في اللفظ ومتفقان في المعنى .

وقد جاء عند النحاة ما عرف بالعطف على المعنى أو الموضع إتكالاً على السياق، فمن ذلك ما جاء عند الزجاج في قول ا تعـالى: ((واتبعـوا مـاتتلوا الشياطينُ على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون النـاس السحر وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنّما نحن فتنةٌ فلا تكفر فيتعلمون منهما مـا يفرقون به بين المرء وزوجه))([1]) حيث أجاز أن يكون" فيتعلمون" معطوفاً علـى محذوف إتكالاً على المعنى والسياق، إذ قال:" وقيل (فيتعلمون) عطف علـى مـا يوجبه معنى الكلام، المعنى: إنّما نحن فتنة فلا تكفر، فلا تتعلم، ولا تعمل بالسحر فيأتون ويتعلمون([2])، ومثل ذلك: ((ولتكملوا العدة))([3])، قـال: "ومعنـى الـلام والعطف ههنا معنى لطيف، هذا الكلام معطوف محمول على المعنى: فعـل ا ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة([4]).

وفي هذه الامثله يتضح إعتبار السياق في العطف على الموضـع ، بـل إن السياق قد جعل المعربين يقدرون محذوفاً يعطف عليه اللفظ حتى يتسق التركيب اللفظي والمعنى المقصود.

---

[1] - لبقرة: 1.2.

[2] - معنى القرآن واعرابه:1/1،185/162.

[3] - البقرة :185.

[4] - معانى القرآن واعرابه للزجاج :241/1. وانظر: اعراب القرآن للنحاس :84/2.

المبحث الثالث

توظيف السياق في درس العلامة الإعرابية (parsing)

يدور الإعراب في اللغة حول معاني الإبانة والإفصاح والإظهار والإيضاح، والتكلم بالعربية وعدم اللحن، "وإنما سمى الإعراب إعراباً، لتبيينه وإيضاحه"([1]). ومفهومه في الإصطلاح لايبعد عن ذاك المعنى اللغوي، حيث يعني عند النحاة الإبانة عن المعاني بإختلاف أواخر الكلمات لتعاقب العوامل في اولها ...([2]).

هذا ويتردد على الأذهان منذ أمد بعيد إهتمام العلماء بظاهرة الإعراب، وبالسر الذي ألجأ العرب إليها، فطفقوا يعللون لذلك نظراً وتطبيقاً ويبررون قيمة الإعراب في الإبانة عن المعاني الوظيفية التي تعتور الكلمات في سياقها، وأثر ذلك في تنوع الدلالة أو في تحديدها تقديماً وتأخيراً([3]).

وبعيداً عن هم الجدل والخلاف الذي شغل مساحة واسعة في فكرنا اللغوي قديماً وحديثاً([4])، فإنه ينبغي الاّ نغالى في تقديرنا لعلاقة حركات الإعراب بالمعنى، إذ إن بعض ظواهر الإعراب ليس لها بذلك المعنى كبير تعلق، وإن كنا لاننكر صلة تلك الحركات بالمعاني الوظيفية من فاعلية ومفعولية وغير ذلك، لأنّها وضعت أصلاً للوفاء بهذه المهمة. ومن ثم يصبح لمقولة " الإعراب فرع المعنى" تلك المقولة المأثورة عن القدماء([5]) قيمتها العلمية، لأنّها تنص صراحة على أن حركات الإعراب بمفردها لا تدل على المعاني الوظيفية أو الدلالية التي تعتري الكلمة داخل سياقها، ولكنها، "فرع" لذلك، ودال من دواله بمعونة القرائن المقالية والحالية التي تلابس السياق([6]).

---

1 - أنظر: اللسان مادة"عرب"

2 - شرح المفصل:72/1.

3 - أنظر: الايضاح فى علل النحو :7.،و ابن قتيبة.تأويل مشكل القرآن :14 ، والمبرد.المقتضب:146/1، وابن جنى. الخصائص:35/1.

4 - أنظر : الايضاح فى علل النحو ، وابراهيم مصطفى . إحياء النحو:22،وخليل عمايرة . فى التحليل النحوى:67.

5 - أنظر:السيوطى. البرهان فى علوم القرآن :3.2/1، والاتقان:235/1.

6 - السهيلى. نتائج الفكر.تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، جامعة قار يونس، ليبيا، 1978م ، ص:82. وأنظر: اللغة العربية معناها ومبناها :177

فمن الباحثين من إرتضى العلامة الإعرابية مدخلاً في تحديد المعاني النحوية، ومنهم من غيب دورها الوظيفي في تحديد المعاني، والحق أن المغالاة في المذهبين ظاهر أمرها، فليس يصح في الفهم أن تكون العلامة الإعرابية للوصل([1])، والا يكون لها فضل جلي في بيان المعاني النحوية، والأمثلة كثيرة عن وفرة ما تذكره مظان النحو واللغة.

ومن جهة أخرى لايستقيم أن يُعتقد بأن العلامة هي المحتكم الاوحد الذي يفاء إليه في تحديد المعاني، ذلك أن لسياق الحال دوراً كبيراً فى ذلك، فضلاً عن قرائن أخرى كثيرة([2]).

فليس إختلاف الحركات في الإعراب سببه إختلاف العوامل كما يرى النحاة، وليس سببه المتكلم كما رأى ابن مضاء([3])، أو لأن الحركات الإعرابية ذات معانٍ محددة، فالضم علم الإسناد، والكسر علم الإضافة، والفتح علم الخفة، كما يرى الأستاذ إبراهيم مصطفى([4]). وإنما سببه طبيعة العلاقات السياقية، وبناء التراكيب في اللغة العربية على التمييز والفرق بين المعاني، وذلك في ضوء القرائن المختلفة - المعنوية واللفظية والحالية - المتوفرة في السياق.

فإذا قلنا ما أحسنُ زيدٍ؟ في مقام الإستفهام، يجب أن نغيره في ما أحسن زيداً في مقام الإستحسان وفي: ما أحسن زيد، في مقام النفي([5]). وإذا قلنا: نحن- السودانيين- نكرم الضيف، في مقام الإختصاص، يجب أن نغيره في: نحن السودانيون نكرم الضيف في مقام الإخبار. وإذا قلنا: لن يقوم زيد، بنصب الفعل، يجب أن نغيره في: يقومُ زيد: تحقيقاً لعدم المماثلة بين ما هو مسبوق بلن، وما هو خلو منها، لأن اللغه بنيت أساساً على الفهم والتمييز([6]).

---

[1] - داؤد عبده . ابحاث فى اللغة العربية. مكتبة لبنان ، بيروت، 1973م، ص:97- 129.
[2] - ظاهرة اللبس فى العربية، جدل التواصل والتفاصل:67.
[3] - الرد على النحاة:87.
[4] - إحياء النحو:5..
[5] - الصاحبى فى فقه اللغة:3.9، وأسرار العربية:24- 25,
[6] - د. مصطفى النحاس. المعنى النحوى فى ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، فى قضايا الادب واللغة،مؤسسة الصباح، الكويت،إعداد :د. عبده بدوى،14.1- 1981،ص:177.

وكما أن الإعراب فرع من المعنى، يشارك في تحقيقه، وكـذلك المعنـى يشارك في الإعراب([1])، فالمتكلم قد يتوصل من المعنى إلى حقيقة الإعراب، ولنا أن نتأمل هذا المثال: أكل الكمثرى عيسى، لا نستطيع تحديد الفاعل والمفعول من خلال الإعراب ولكننا إذا نظرنا إلى المعنى والسياق تحقق لنا ذلك، ف(الكمثرى) نوع من المأكولات، (وعيسى) و احد من الناس، ولايعقل من ترتيب الجملـة ان تأكل الكمثرى عيسى، ولكن المعنى يرشد إلى أن الفاعل هو عيسى.

وكذلك المعنى والسياق هو الذي يقيم الإعراب في قولـه تعـالى: ((إن ا بريء من المشركين ورسوله))([2]) بالعطف على المشركين، ولكن المعنى والسياق يأبيان هذا الوجه الإعرابي الذي يفسد المعنى، فا سبحانه وتعالى لايبرأ من نبيه صلى ا عليه وسلم. لذا فالعلامة الإعرابية قاصرة بمفردها عن تفسير المعـاني النحوية، لأمور أهمها: أن المعربات التي تظهر عليها الحركات أقل من مجمـوع ما يمكن ورودها في السياق من الكلمات. فهناك الإعراب بالحـذف والإعـراب المقدر للتعذر أو للثقل، أو لإشتغال المحل، وهناك المحـل الإعرابـي للمبنيـات والمحل الإعرابي للجمل. وكل هذه الإعرابات لاتتم بواسطة الحركـة الإعرابيـة الظاهرة ومن هنا كان الإتكال على العلامة الإعرابية، وإعتبارها كبـرى الـدوال على المعنى النحوي عملاً يتسم بكثير من المبالغة([3]).

بل لقد ورد في التراث العربي كثير من الأمثلة والشواهد الدالة علـى أن العرب كانت تترخص أحياناً في قرينة الإعراب([4])، فمـن المعـروف أن اللغـة العربية تتمتع بظواهر موقعية سياقية كثيرة، مثل ظاهرة الوقف([5])، "جاء زيـد " وظاهرة التخلص من إلتقاء الساكنين([6])"لم اضربِ الولـد" وظـاهرة الإتبـاع أو المجاورة ([7]) "الحمدُ لُله" و"هذا جحر ضبٍ خربٍ"، وظاهرة المناسبة([8]) "الأولاد

---

[1] - أنظر: الخصائص:3/1،342،341، 255/3.
[2] - التوبة:3.
[3].فى قضايا اللغة والادب،ص:183.
- البعد البلاغى والدلالى للترخص فى قرينة المطابقة،ص: 183- 184.
[5] - الاتقان:1...
[6] - شرح ابن عقيل :71/1.
[7] - املاء ما من به الرحمن:111/1.
[8] - اللغة العربية معناها ومبناها:

حضروا" و"أنت تفهمين" و"على صديقي"، وكل هذه الظواهر تعتبر عكس الحركة الإعرابية تماماً، ومع ذلك أقرها اللغويون إستجابة لمطالب السياق، فالنظام اللغوي يقضي بضم الدال في "جاء زيد"، ولكن السياق يتطلب الوقف بالسكون تعبيراً عن الصمت الناتج عن تمام المعنى أو انقطاع النفس أم غير ذلك من أسباب الوقف.

والنظام اللغوي يقضي بسكون الباء في "لم اضرب الولد" ولكن السياق يتطلب تحريك الباء بالكسر تخلصاً من إلتقاء الساكنين، إذ ليس في اللغة العربية إلتقاء ساكنين، فهي لغة وصل.

والنظام اللغوي يقضي بضم الدال في"الحمد " ولكن الموسيقى الصوتية بين الحرفين "الدال ولام الجر" تتطلب الكسر.

والمجاورة بين الكلمتين "ضب خرب" في قول العرب" هذا جحر ضب خرب" تتطلب الجر. ومنه قول امرئ القيس:-

كأن ثبيراً في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مُزمل([1]).

والنظام اللغوي يقضي بفتح الراء في " الأولاد حضروا"، لأن الماضي مبني على الفتح، وبضم الميم" في أنت تفهمين"، لأن المضارع يرفع بالضمة، وبضم القاف في "علي صديقي"، لأن الخبر مرفوع، ولكن واو الجماعة يناسبها ضم ما قبلها، وياء المخاطبة يناسبها كسر ما قبلها، وكذلك ياء المتكلم.

وإذا كانت العلامة الإعرابية وحدها قاصرة عن تفسير الظواهر النحوية، والعلاقات السياقية جميعها، فإن القرائن كلها - لفظية ومعنوية مسئولة عن وضوح المعنى النحوي، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى النحوي.

---

[1]- تفسير القرطبي - (ج 6 / ص 94)

فخفض مزمل بالجوار، وأن المزمل الرجل وإعرابه الرفع، قال: زهير: لعب الزمان بها وغيرها * بعدي سوافي (5) المور والقطر

قال أبو حاتم: كان الوجه القطر بالرفع ولكنه جره على جوار المور، كما قالت العرب: هذا جحر ضب خرب، فجروه وإنما هو رفع.

وهذا مذهب الاخفش وأبي عبيدة ورده النحاس وقال: هذا القول غلط عظيم، لان الجوار لا يكون في الكلام أن يقاس عليه، وإنما هو غلط ونظيره الاقواء.

وفائدة القول بالأعتماد على القرائن في فهم المعنى النحوي، أنه ينفـي عـن النحو العربي كل تفسير ظني أو منطقي لظواهر السياق([1]).

ولعل من المناسب أن نشير إلى الفرق بين المعنى النحـوي المـستفاد مـن السياق، وبين المعنى الدلالي، فالأول يخضع للعلاقات القائمة بين الكلمات، والأدلة المتوفرة من السياق، أما المعنى الدلالي فيخضع للعلاقات العرفية بين المفـردات ومعانيها، كما يخضع للعلاقات الإجتماعية والمقام الذي يقال فيه النص أو الجملة، وذلك مصداق قول البلغاء: " لكل مقام مقال"، " ولكل كلمة مع صاحبتها مقام"، ولذا فنحن نقول عن (زيد) في قولنا: " لم يضرب زيد " إنّه فاعل، مع أن الفعل لـم يقع، لكن القرائن الموجودة في السياق، من كونه اسماً مرفوعاً وقع بعد فعل مبني للمعلوم، تعطيه معنى وظيفياً نحوياً هو الفاعلية، كذلك، نقول في "ضُرب اللصُ"، اللص: نائب فاعل، مع أنّه لم ينب عن الفاعل في شئ غير أنّه واقع موقعه وأخـذ إعرابه، فهو في الحقيقة مفعول به وقع موقع الفاعـل. ومعنـى ذلـك أن قـول النحويين: " الإعراب فرع المعنى " إنما يقصدون به المعنى الوظيفي لا المعنـى الدلالي([2]).

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها،ص: 232.
[2] - قضايا اللغة والادب:188.

المبحث الرابع

توظيف السياق في درس قرينة الرتبة

الرتبة: وصف لمواقع الكلمات في التركيب[1]، وهي نوعان: رتبة محفوظة، ورتبة غير محفوظة . فالمحفوظة تخص النحو، لأن أي إختلال يمسها يجعل التركيب مختلاً غير مقبول. على حين أن الرتبة غير المحفوظة تخص البلاغة، إذ إهتم بها علم المعاني الذي بين أغراض التقديم ضمن دراسة الأسلوب لا التركيب. ومن أمثلة الرتب المحفوظة تقدم الموصول على الصلة والموصوفة الصفة، والمؤكد على المؤكد، والفعل على الفاعل، والمضاف على المضاف إليه، وأدوات الشرط والجزم والنفي الإستفهام، وهي التي وصفت بأن لها الصدارة دوماً([2]).

ومن أمثلة الرتب غير المحفوظة تقدم المبتدأ على الخبر، والفاعل على المفعول، والفعل على المفعول، والفعل على الحال([3]). وليس القصد من الفصل بين ذينك النوعين من الرتبة إخراج الرتب غير المحفوظه من نطاق النحو نهائياً، لأنها قد تكون القرينة الوحيدة التي يُلجأ إليها لكشف علاقة الإسناد ولا سيما في المبنيات وما لا تظهر عليه الحركة، نحو: (ضرب موسى عيسى)، إن موسى هنا فاعل، وعيسى (مفعول به) إستناداً إلى أن الاصل تقدم الفاعل وتأخر المفعول به، مع أن ذلك ليس رتبة محفوظة. كذلك قد تعكس الآية، فتغدو الرتبة غير المحفوظة محفوظة على سبيل الإلزام، كما في وجوب تقديم الخبر على المبتدأ نحو: " أين الحرية" و (في الدار صاحبها) ، وقوله تعالى: ((لكل أجل كتاب))([4]).

ويتضح مما تقدم أن الرتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزءين مرتبين من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه.

ولاشك أن قرينة الرتبة لها أهميتها وأثرها الفعال في التمييز بين المركب الإسمي والإسنادي، والمركب الفعلي، أي: بين الجملة الإسمية والفعلية، فالترتيب

---

[1] ـ مبادىء اللسانيات ،ص:232.
[2] ـ حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع:163/5.
[3] ـ ظاهرة اللبس في العربية،ص:68.
[4] ـ الرعد :38.

بين عنصري الجملة الفعلية (الفعل + الفاعل) أمر حتمـي ملتـزم، فـلا يمكـن التغاضي عنه، فلو تقدم الفاعل على الفعل، لأصبحت الجملة إسمية، ولـذلك رأى النحاة أن الفعل مع الفاعل كالكلمة الواحدة، فلا يجوز ان يتقدم الفاعل على الفعـل كما لايجوز أن يتقدم جزء من الكلمه على جزئها الآخر([1]).

أما الجملة الإسمية فالامر مختلف فيها عن الفعليـة، فالترتيـب فيهـا لـه صورتان، الأولى: الترتيب الحر أو الجائز، وتأتي هذه الصورة حينمـا لايكـون هناك مانع يمنع جواز التقديم والتأخير، ولا يترتب عليه إخلال أو فساد يعود إلى الصيغة أو التركيب أو السياق. والثاني: الترتيب المقيد أو الملتـزم، فـإذا كانـت ظروف النص هي التي تميز المبتدأ والخبر فيما سبق، فإنّه قد يطرأ على السياق أو المقام، ما يجعل الترتيب مقيداً وملتزماً.

وفي كلا الحالتين فالمحتكم في التقديم والتأخير هو السياق إذا وجدت قرينة توضح المراد وتمنع اللبس ويعرف بواسطتها كل من المبتدأ والخبر، ففـي هـذه الحالة لا يلزم الترتيب، بل تكون الرتبة حرة غير مقيدة، ومن ذلك قول الكميت([2])

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال اهل الجاهلية نفعل

وأصل الجملة في هذا البيت: كلامنا كلام النبيين، فالمبتـدأ هـو (كلامنـا) والخبر هو (كلام النبيين)، وكل منهما متعين من سياق الكلام.

ومن ذلك ايضاً العبارة المأثورة في قولهم: " أبو يوسف أبو حنيفة"([3])، والمراد بها تشبيه إبي يوسف - تلميذ إبي حنيفة- بإبي حنيفة وهو أستاذه، وبهذه القرينة وهي التشبيه يتعين أن يكون (أبويوسف) مبتدأ، و(أبوحنيفة) خبـراً سـواء تقدم أو تأخر.

---

[1] - أبو السعود حسنين الشاذلى. المركب الاسمى الاسنادى وأنماطه من خلال القرآن الكريم، ط1،141.- 199.، دار المعرفة الجامعية،ص:55.

[2] - شرح ابن عقيل :243/1. شرح ابن عقيل - (ج 1 / ص 234)
فإن الغرض تشبيه كلامهم بكلام النبيين الهداة، لا العكس.

[3] - المصدر السابق:233/1. وانظر:شرح الكافية:257.حيث يقول:" شرح الرضي على الكافية - (ج 1 / ص 257)
أي مثل أبي حنيفة، ولو أردت تشبيه أبي حنيفة بأبي يوسف، فأبو يوسف هو الخبر، ومثله قول أبي تمام: شرح الرضي على الكافية - (ج 1 / ص 258)
لعاب الافاعي القاتلات لعابه * وأرى الجني اشتارته أيد عواسل (1) أي: بنو أبنائنا مثل بنينا، ولعابه مثل لعاب الافاعي."

فالخبر في هذه النصوص المذكورة متعين بسياق الكلام ووجدت قرينـة معنوية تدل علية، لذلك لا يتعين الترتيب.

وقد يطرأ على العبارة من الظروف التي تتعلق بالصيغة أو السياق والمقـام ما يستدعي الخروج عن الترتيب المألوف، فيتقدم الخبر وجوباً، وبداهـة يتـأخر المبتدأ، كما في الآيات: ((يسألون أيان يوم الدين))([1])،((يقول الإنسان يومئذ اين المفر))([2])، ((ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين))([3]).

فالخبر في هذه الآيات على الترتيب: "أيان، أين، متى" وقد تقدم على المبتـدأ وجوباً، لأن صيغته إستفهام، وذلك يقتضي الصدارة، وهذا شامل للمبتدأ، فإذا ورد أحدهما بصيغة من صيغ الصدارة إستدعت أن يذكر أولاً.

كما يجب تقديم الخبر على المبتدأ، إذا أدى الكلام إلى الرداءة وعدم ملاءمـة للذوق اللغوي، كما إذا عاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبـةً([4])، ففـي قولـك:" صاحبها في الدار"، "رجاله للعدل"، "طلابه للعلم"، يتبين لنا رداءة التركيب وفساده وعدم ملائمته للذوق اللغوي، ولوعكسنا العبارة وقلنا: " في الـدار صـاحبها "، " للعدل رجاله"،" للعلم طلابه"، لوجدنا إستقامة في التركيب، وملاءمة للذوق اللغوي، وتحقيقاً لوظيفة الضمير في الربط والمطابقة.

ويشارك سياق الحال في تحديد أركان الجملة ودلالتها حتى مع عدم إلتـزام الترتيب، يقول ابن جني: " أومأت إلى رجل وفرس فقلت : كلم هذا هذا فلم يجبه، لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت؛ لأن في الحال بياناً لما تعني، وكذلك قولـك: ولدت هذه هذه من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة([5]).

فالسياق الخارجي في الخطاب المنطوق يحدد الفاعل والمفعول وإن لم يـراع المتكلم رتب التركيب.

---

[1] - االذاريات:12.
[2] - القيامة:1..
[3] - يونس: 24.
[4] - شرح ابن عقيل:24/1،488..
[5] - الخصائص:35/1.

المبحث الخامس

توظيف السياق في درس قرينة الصيغة

الصيغة هي المبنى الصرفي للأسماء والأفعال والصفات وهي قرينة لفظية يقدمها علم الصرف للنحو([1]). وأمثلة هذه القرينة في بيان المعنى النحوي كثيـرة. فالفاعل والمفعول والمبتدأ أو الخبر ونائب الفاعل، ونحو ذلك يطلب فيها أن تكون أسماء لا أفعالاً؛ ولذلك لايتوقع أن يجيء الفاعل غير اسم، كأن يأتي فعلاً، نحـو: (جاء شرب). وإن حدث مثل ذلك لجأنا إلى التأويل عن طريق إعراب الحكايـة، نحو: (جاء تأبط شراً)([2])، أي: جاء المسمى بهذه الجملة. والمصادر مـن بـين الاسماء تكون مفعولاً مطلقاً، ومفعولاً لأجله، ويكون الخبر والحال والنعت صفات.

على أن هناك صيغاً ذات أثر نحوي في السياق، فقد ذكر الصرفيون أن(فعل) و(وأفعل) من معانيها: التعدية، نحو: قّومتُ زيداً وقعدته، وأقمت زيـداً وأقعدتـه وأقرأته([3]). و(فاعل) من معانيها التشارك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحـدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ ينسب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابـل نسبة المفعولية، فإذا كان أصل الفعل لازماً صار بهذه الصيغة متعدياً، نحـو: مـا شيته، والأصل: مشيت ومشى. وهذا بخلاف(تفاعل) التي تدل على التشريك بـين اثنين فأكثر كما في قوله تعالى: ((من قبل أن يتماسا))([4])، "فالمسيس وإن كـان من الرجل، فالمرأة مشاركة فيه بتمكين الرجل"([5])، فالمفاعلة تدل على المـشاركة في أصل الفعل، فيكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى، نحو: تخاصم

---

[1] - مبادىء اللسانيات:233.

[2] - "تفسير الرازي - (ج 1 / ص 37)
ومن فروع هذا الباب أنك إذا جعلت جملة اسم علم لم تغيرها ألبتة ، بل تتركها بحالها مثل تأبط شراً وبرق نرحه ." الإكمال - (ج 1 / ص 4.)
وأما تأبط أوله تاء معجمة باثنتين من فوقها وبعد الألف باء مشددة فهو تأبط شراً الشاعر الفهمي واسمه ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب بن تمي بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

[3] - شذا العرف فى فن الصرف:41- 43.

[4] - المجادلة: 3- 4.

[5] - التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية :4.- 41. ، وانظر: الكتاب:9/4، ومعانى القرءات للازهرى:2.7/1-2.8، والكشف:298/1، والحجة فى القراءات السبع: 74.

زيد وعمرو([1])، ومن الصيغ الصرفية التي تنبئ عن المعنى النحوي في السياق: (فَعُل، يفْعُل) من أفعال السجايا، نحو: شَرُف على يشرُف، وكَرُم وعظُم.

و(انْفَعَلَ)، و(تَفْعل) من أفعال المطاوعة، نحو : قطعته فانقطع، وكسرته فأنكسر، ونبهته فتنبه، وكسرته فتكسر([2])- فجميع هذه الصيغ معناها اللزوم. ومن هنا تكون الصيغة دالة على أن الفعل لا يصل إلى المفعول به.

كذلك صورة الفعل مبنياً للمعلوم أو مبنياً للمجهول قرينة على أن ما بعدها فاعل أو نائب فاعل([3])، فالفعل المبني للمعلوم هو ما ذُكر فاعله، نحو: ضرب زيد عمراً، والمبني للمجهول هو ما ذُكر معه فاعله وأُنيب عنه غيره، نحو: ضُرب زيد. ومثله الوصف المعتمد (اسم الفاعل واسم المفعول) يدل على أن المرفوع بعده فاعل أو نائب فاعل، نحو: أقائم الزيدان؟، أمظلوم أخوك؟، فالزيدان فاعل لقائم، وأخوك نائب فاعل لمظلوم، فالأول: من فعل مبني للمعلوم، والثاني: من فعل مبني للمجهول، وإذا ثنيتْ الصيغة، فقيل: أقائمان الزيدان، كان الوصف خبراً مقدماً، والزيدان مبتدأ مؤخراً، لأن المطابقة لازمة بين المبتدأ والخبر...ولا تلازم بين الفعل والفاعل الظاهر([4]).

وقد يحدث أن يقع لبس من تداخل المعاني النحوية، كأن تكون الصيغة مرشحة لمعنيين نحويين متباينين أو أزيد، ولكن للسياقين المقالي والحالي فضلاً في ترجيح معنى على غيره([5])، ومن ذلك قوله تعالى: ((ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين))([6])، فالظاهر أن قوله –تنزه- "ائتيا طوعاً أو كرهاً" صيغتان تحتملان المفعول له والحال، ولكن لإستكمال السياق البنيوي فضلاً كبيراً في تعيين المعنى النحوي، فمجئ (طائعين) يرجح أن يكون المعنى النحوي المكتنف في (طوعاً وكرهاً) حالاً([7]).

وكذا تكون الصيغة عاملاً من عوامل الكشف عن المعنى النحوى .

---

[1] - شذى العرف:42- 43.
[2] - انظر: الكتاب:41/1. ومغنى اللبيب:196/1.
[3] - قضايا اللغة والادب،ص: 179.
[4] - شرح ابن عقيل :189/1.وشرح الرضى على الكافيةك86/3.
[5] - ظاهرة اللبس فى العربية،ص:165.
[6] - فصلت:11.
[7] - مغنى اللبيب:729/2- 73..

وجدير بالذكر أن إعتماد العرب على دلالة السياق وإتكاءهم عليه جعلهم لا يبالون أحياناً بالتباس بعض الصيغ، إذ اللبس مد فوع عندئذ بدلالة الـسياق علـى المقصود، يقول المازني: " وبعض العرب لا يبالي الإلتباس فيقول: قد كيد زيـد يفعل كذا وكذا، وما زيل يفعل كذا وكذا، يريدون كاد، وزال"([1]).

وبناء(كيد) و (وزيل) من (كاد) و(زال) يلتـبس بـصيغة (فُعِـل) المبنيـة للمجهول نحو: قيل وبيع، إلاّ أنهم فعلوا ذلك إتكاء على دفع السياق لهـذا اللـبس، لأن (كاد) لاتستلزم بعدها إسماً منصوباً على المفعولية ومن ثّمّ فلا تُبني للمجهول. ولذا قال إبن جني تعليقاً على "كيد وزيل:: "ولم يخافوا إلتباسه (بفُعِل)لأنك لا تقول: كدت زيداً يقوم، ومازلت زيداً يقوم، فيخاف أن يلتبس (كيد زيد يقوم، ومـا زيـل زيد يقوم، ب(فُعِل) منه([2]).

وقد أكّد ابن جني أن السياق هو الذي يعول عليه لتحديد دلالـة الـصيغ أو الالفاظ الملبسة حيث يقول: " وهذا باب واسع جداً، وإنما يعتمد في تحديد الغرض فيه بما يصحب الكلام أو بدلالة الحال فإن لها في إفادة المعنى تأثيراً كبيراً، وأكثر ما يعتمدون في تعريف ما يريدون عليها([3]).

---

[1] - المازنى، المنصف فى شرح كتاب التصريف. تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين،ط1.عيسى البابى الحلبى ،1954م،ص:252/1.
[2] - نفس المصدر:253/1.
[3] - المصدر السابق:255/1.

المبحث السادس

توظيف السياق في درس قرينة المطابقة

المطابقة قرينة لفظية توثق الصلة بين أجزاء التركيب، وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين([1]).

والمطابقة في اللغة، هي الاتفاق والموافقة([2])، وجاءت بهذا المفهوم عند النحاة القدماء([3]) والمحدثين([4]).

ومسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر، فلا مطابقة في الأدوات، ولا في الظروف، إلاّ النواسخ المنقولة عن الفعلية، فإن علاقاتها السياقية تعتمد على قرينة المطابقة وأما الخوالف فلا مطابقة فيها، إلاّ ما يلحق (نعم) و(بئس) من تاء التأنيث، وتكون المطابقة فيما يأتي([5]):-

1- العلامة الإعرابية: (الرفع والنصب والجر).
2- الشخص: (التكلم والخطاب والغيبة).
3- العدد : (الإفراد والتثنية والجمع).
4- النوع : (التذكير والتأنيث).
5- التعيين : (التعريف و التنكير).

فبالمطابقة في أي واحدة من هذه المجالات الخمسة تقوي الصلة بين المتطابقين وتتوثق العرى بين أجزاء التركيب وبدونها تتفك العرى، وتصبح الكلمات المتراصة منعزلاً بعضها عن بعض ويصبح المعنى عسير المنال، كما في الآتي:-

1- تركيب صحيح المطابقة : الرجلان الفاضلان يقومان.
2- مع إزالة المطابقة في الإعراب : الرجلان الفاضلين يقومان.
3- مع إزالة المطابقة فى الشخص : الرجلان الفاضلان تقومان.

---

[1] - مبادىء اللسانيات :234- 235.
[2] - لسان العرب مادة"طبق".
[3] - شرح الكافية:327/1، وهمع الهوامع:172/5- 174. وشرح ابن عقيل:193/3- 194.
[4] - إحياء النحو،ص: 56 ومناهج البحث فى اللغة:238.
[5] - انظر: اللغة العربية معناها ومبناهانص:211.

4- مع إزالة المطابقة فى العدد : الرجلان الفاضل يقومون.

5- مع إزالة المطابقة فى النوع : الرجلان الفاضلتان يقومان.

6- مع إزالة المطابقة فى التعيين : الرجلان فاضلان يقومان.

7- مع إزالة المطابقة فى الجميع : الرجلان فاضلات أقوم.

فالمطابقة إذن عنصر مهم من عناصر الترابط السياقي في الجملة العربيـة لا يمكن التخلي عنها، وإن حدث ذلك فلا بد من توظيف السياق لفهم دلالة التركيب، كما في قوله تعالى: ((هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منـازل لتعلموا عدد السنين والحساب))([1])، قال الفراء: " ولم يقل قـدرهما، فـإن شـئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة، لأنه به تعلم الشهور، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعاً، فأكتفى بذكر احدهما عن صاحبه"([2]).

وقد جعل الزمخشري الضمير عائداً الى القمر، وكذا أبو حيان، "لأنّه هـو المراعي في عدد السنين والحساب، عند العرب، بينما يقول إبن عطية إنّه يحتمل أن يريدهما معاً بحسب أنهما مصرفان في معرفة عدد السنين والحـساب، لكنـه اجتزئ بذكر أحدهما([3]). وخلافهم هنا يرتبط بالسياق الخارجي فمنهم مـن جعـل القمر وحده هو المراعى في عدد السنين والحساب، فعليه يعود الضمير، ومـنهم من جعل الشمس أيضاً كذاك، فالضمير يمكن أن يعود إليهما معاً لكنـه أجتـزئ بأحدهما عن الآخر([4]).

ومن نماذج توظيف السياق في درس المطابقـة أيـضاً، قولـه تعـالى: ((واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين))([5])، قال ابو حيان: "الصلاة أهم ولهذاعاد الضميرعليها"، وكذلك كانت التجارة أهم في آية الجمعة فعاد

---

[1] - يونس : 5.

[2] - الفراء .معانى القرآن:458/1.

[3] - راجع ،الكشاف:225/3، والبحر المحيط:125/5.

[4] - تفسير البغوى ،أبو محمد الحسين بن مسعود:معالم التنزيل121/4. دار طيبة للنشر والتوزيع،ط4، 1417-1997. تفسير البغوي - (ج 4 / ص 121)
ولم يقل: قدرهما.
قيل: تقدير المنازل ينصرف إليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما، كما قال: " والله ورسوله أحق أن يرضوه " (التوبة -62).
وقيل: هو ينصرف إلى القمر خاصة لأن القمر يعرف به انقضاء الشهور والسنين، لا بالشمس.

[5] - البقرة:45.

الضمير عليها دون اللهو([1]). وإذا كان القياس عودة الضمير إلى الأقرب، فإننـا نجد آية الجمعة على نقيض من ذلك في قوله تعالى: ((وإذا رأوا تجارة أولهـواً إنفضوا إليها))([2])، فعاد الضمير على "التجارة" وهي الأبعد، مما يجعلنا نقرر أن السياق هو المتكأ الأساسي على فهم المعنى.

ومن ذلك أيضاً ترك المطابقة في الشخص، كما في قولـه تعـالى: ((أوَلا تعلمون أن ا يعلم ما يسرون وما يعلنون))([3])، وعلى هذه القراءة([4]) وجهان من المعنى بحسب النظر الى السياق فإنها تحتمل أن تكون خطاباً للمؤمنين، تنبيهاً لهم على جهل الكفار بعالم السر والعلانية، كما تحتمل أن تكون خطاباً للكفار تنبيهـاً لهم على سماع ما يأتي بعد، ثم أعرض عن خطابهم على سبيل الإلتفات إهمـالاً لهم([5]).

أما الترخص في النوع إعتماداً على السياق فنجده في الصفات التي لايوصف بها إلا المؤنث، لعدم توهم أنها لمـذكر، مثـل : طـالق، وناشـز، وحـائض، ومرضع([6])، وقد تحذف التاء الدالة على التأنيث عند أمن اللبس ووضوح المعنى من السياق كما في قوله تعالى: ((إقام الصلاة))([7])، ((من بعد غلبهم))([8]).

أما تجاهل المطابقة في الإعراب، لوضوح المعنى من السياق فقد يتضح في قولهم " هذا جحر ضب خرب"([9])، لأن الضب لا يوصف بالخراب. وكـذا فـي

---

[1] - البحر المحيط:185/1، وانظر،معانى القرآن للاخفش:81/1، ومجاز القرآن لابى عبيدة39/1 ،واعراب القرآن للنحاس:22/1.- 212، واتبيان للعكبرى:59/1.

[2] - الجمعة :11.

[3] - البقرة 77.

[4] - القراءة بالتاء فى "تعلمون" من قراءة ابن محيصن ، انظر: البحر المحيط :247/1.

[5] البحر المحيط : 274/1.

[6] - الزمخشرى . المفصل فى صنعة الاعراب ، دار الجيل ،ص:2...

[7] - الانبياء :73.

[8] - الروم :3.

[9] - الخصائص - (ج 1 / ص 55)

وتلخيص هذا أن أصله: هذا جحر ضب خربٍ جحره، فيجري " خرب " وصفاً على " ضب " وإن كان في الحقيقة للجحر. كما تقول مررت برجل قائم أبوه، فتجري " قائماً وصفاً على " رجل " وإن كان القيام للأب لا للرجل، لما ضمن من ذكره. والأمر في هذا أظهر من أن يؤتى بمثال له أو شاهد عليه. فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف إلى الهاء، وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت، لأن المضاف المحذوف كان مرفوعاً، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس " خرب " فجرى وصفاً على ضب - وإن كان الخراب للجحر لا للضب - على تقدير حذف المضاف، على ما أرينا. وقلت آية تخلو من حذف المضاف، نعم، وربما كان في الآية الواحدة من ذلك عدة مواضع.

قوله تعالى: ((عاليهم ثياب سندس خضر))([1]) بجر (خضر). وهو إعراب تدعوا إليه اسباب جمالية خالصة لا صلة بينها وبين مطالب المعنى الوظيفي([2]).

[1] - الانسان:21. تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 53)
وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض إما على المجاورة وتناسب الكلام، كما في قول العرب: "جُحْرُ ضَب خربٍ"، وكقوله تعالى: { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ } [الإنسان : 21] وهذا سائغ ذائع، في لغة العرب شائع

[2] - اللغة العربية معناها ومبناها:234.

المبحث السابع

توظيف السياق في درس قرينة الربط

الربط قرينة تدل على إتصال أحد المترابطين بالآخر([1])، وله دور في إظهار المطابقة وإبرازها بين أجزاء الكلام ، وتوضيح معنى الإسناد. ويتم الربط بين الموصول وصلته، والمبتدأ وخبره، والحال وصاحبه، والمنعوت ونعته، والقسم وجوابه، والشرط وجوابه، ونحو ذلك([2]).

ويكون الربط بالضمير مستتراً وبارزاً. فالمستتر نحو: "زيد قام"، أي: هو، والبارز، نحو:" زيد قام ابوه"([3]).

وحين يعود الضمير على مذكور ينبغي أن يطابقه من حيث العدد والشخص والنوع، نحو قوله تعالى: ((إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه))([4]) وقوله تعالى : ((فوجد من دونهما إمرأتين تذودان))([5]) وقوله تعالى: ((وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى))([6])، أي: هو، كما يكون الربط بالحرف، كالفاء الرابطة لجواب الشرط، واللام الواقعة في جواب القسم، وألف ولام التعريف النائبة عن الضمير، نحو قوله تعالى: ((جنات عدن مفتحة لهم الابواب))([7])، أي: أبوابها، وقوله عز وجل: ((فإن الجنة هي المأوى))([8]) أي: مأواها.

ومن المعروف أن جواب الشرط إن لم يكن صالحاً لأن يكون شرطاً، وجب إقترانه بالفاء، لتربطه بالشرط، لفقد المناسبة اللفظية حينئذ بينهما([9]). كذلك تحتاج أما ولولا، والقسم، إلى أدوات ربط حتى يُعلم أن ما بعدها جواب لها.

كما يكون الربط بإعادة اللفظ أو المعنى، فاللفظ كقوله تعالى: ((الحاقة ما الحاقة))([10]). والمعنى نحو: "محمد شفيعي نبي ا ". ويقوم اسم الإشارة مقام أداة

---

[1] - مبادىء اللسانيات :235.
[2] - المصدر السابق: 235 ، وانظر : جامع الدروس العربية:133/2- 134.
[3] - الاشمونى. شرح الاشمونى. المكتبة الازهرية:128/1.
[4] - الزخرف :59.
[5] - القصص : 23.
[6] - يس : 2..
[7] - سورة ص: 5.
[8] - النازعات: 41.
[9] - مصظفى الغلاييني. جامع الدروس العربية،ص:196/2.
[10] - الحاقة :1

الربط كما في قوله تعالى: ((يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن))([1]) وقوله تعالى: ((والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار))([2]).

وحين يعود الضمير يكون عوده على مذكور متقدم لفظاً ورتبة نحـو قولـه تعالى: ((ونادى نوح إبنه))([3]) ((وعصى آدم ربه))([4]) ((إذا أخرج يده لـم يكـد يراها))([5])، أو لفظاً دون رتبة، نحو قوله تعالى: ((فـأوجس فـي نفـسه خيفـة موسى))([6]) ((ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون))([7]) ((فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان))([8])، أو رتبة دون لفظ ([9]) ويعود بعض الضمائر علـى متـأخر لفظـاً ورتبة([10]) كضمير الشأن ونعم وبـئس، كقولـه تعـالى: ((إن تبـدو الـصدقات فنعماهي))([11])، ((وساء مثلاً القوم))([12]).

وقد يعود الضمير على شئ لم يذكر في السياق اللغوي، لكنه يفهم من سـياق الحال([13])، وأشهر الأمثلة على عود الضمير دون ذكر المرجع قوله تعالى: ((حتى توارت بالحجاب))([14]). ومثل ذلك "الهاء" في قوله تعالى: ((إنّا أنزلناه فـي ليلـة القدر))([15])، أي: القرآن، لأن الإنزال يدل عليه إلتزاماً([16])، ومنه قولـه تعـالى: ((فمن عُفِي له من أخيه شئ فإتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان))([17])، ومن ذلك

[1] - التغابن:9.
[2] - البقرة :39.
[3] - هود :42.
[4] - طه :121.
[5] - النور : 4.,
[6] - طه : 67.
[7] - القصص : 78.
[8] - الرحمن : 39 .
[9] - نحو : أكرم خالداً أبوه، فالضمير فى "أبوه" عائد إلى "خالد" المتقدم لفظاً على الفاعل وان كان متأخر رتبة.
[10] - نحو : أكرم أبوه خالداً، وهو لا يجوز؛ لان الهاء فى "أبوه" عائدة على "خالداً" المفعول به وهو متأخر فى الرتبة عن الفاعل.
[11] - البقرة : 271.
[12] - الاعراف : 177.
[13] - انظر، معانى القرآن للفراء: 4.4/2 ، ومعانى القرآن واعرابه للزجاج : 331/4، ومجاز القرآن لابى عبيدة :182/2.
[14] - ص : 32.
[15] - القدر:1.
[16] - الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى :56/1..
[17] - البقرة : 178.

قوله تعالى: ((فلولا إذا بلغت الحلقـوم))([1])، وقولـه تعـالى: ((كـلا إذا بلغـت التراقي))([2])، أضمر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها([3]).

وقد يدل عليه السياق فيضمر ثقة بفهم السامع، نحو قوله تعالى: ((كل مـن عليها فان))([4]) ((ما ترك على ظهرها من دا بـة))([5])، أي: الأرض أو الـدنيا. وقوله تعالى: ((ولأبويه))([6])، أي: الميت، ولم يتقدم له ذكر.

وقد يعود على مصدر الفعل المتقدم المفهوم من السياق، كقوله تعالى: ((ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم ا عليه وإنّه لفسق))([7])، وقال الفراء: "أكلكم مما لم يذكر اسم ا عليه فسق، أي: كفر، وكنى عن الأكل"([8]).

أما في قوله تعالى: ((وإن تدع مثقلةٌ إلى حملها لا يُحمل منه شـئ ولـو كان ذا قربى))([9])، فالضمير المستتر في" كان" كما يقول النحاة عائد على مفهـوم من سياق الفعل "تدع" ،أي: ولو كان المدعو ذا قربى([10]).

ومنه قوله تعالى: ((اعدلوا هو أقرب للتقوى))([11])، فإن الضمير عائد علـى العدل المتضمن له "إعدلوا" ومنه قوله تعالى: ((وإذا حضر القسمة أولوا القربـى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه))([12])أي: المقسوم، لدلالة القسمه عليه.

وقد يعود على لفظ المذكور دون معناه ، نحو قوله تعالى: ((ما يعمـر مـن معمر ولا ينقص من عمره))([13])، أي: عمر معمر آخر([14]).

---

[1] - الواقعة : 83.
[2] - القيامة : 26.
[3] - الاتقان : 56/1..
[4] - الرحمن : 26.
[5] - فاطر : 45.
[6] - النساء : 11.
[7] - الانعام : 121.
[8] - معانى القرآن : 352/1.
[9] - فاطر :18 .
[10] - التحرير والتنوير - (ج 11 / ص 466)
والضمير المستتر في كان } عائد إلى مفعول { تدع } المحذوف ، إذ تقديره : وإن تدع مثقلة أحداً إلى حِملها كما ذكرنا . فيصير التقدير : ولو كان المدعوّ ذَا قربى ، فإن العموم الشمولي الذي اقتضته النكرة في سياق الشرط يصير في سياق الإثبات عموماً بَدَليًّا .
[11] - المائدة : 8.
[12] - النساء : 8.
[13] - فاطر : 11.
[14] - الاتقان : 56/1..

وقد يعود على بعض ما تقدم، نحو قوله تعالى: ((وبعولتهن أحق بردهن))([1]) بعد قوله "المطلقات"، فإنه خاص بالرجعيات والعائد عليه عام فيهن وفي غيرهن([2]).

وقد يعود على المعنى، كقوله تعالى في آية الكلالة: ((فإن كانتا اثنتين))([3]) ولم يتقدم لفظ مثنى يعود عليه.

ومن كل ما سبق يتبين لنا أهمية السياقين اللغوي وغير اللغوي في تقدير مرجع الضمير.

وإذا اختلط الامر في معرفة الضمير احتكم الى السياق نحو: ((لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم))([4])، فالضمير عائد على الكافرين، لا على الأبواب، بدلالة السياق البنيوي في (منهم) ولو أعاده على الأبواب لقال (منها).

ولا شك أن النص القرآني لاتفسره الجملة منه أو اللفظة منفردة، وإنما يفسره ما حوله من السياق البنيوي، من ألفاظ وآيات، وجمل، قد تمتد الى النص القرآني كله، وقد يفسره ما هو خارج عن النص القرآني، من مثل السنة المطهرة أو اسباب النزول، وكل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني، من متكلم، ومخاطب، وزمان، ومكان، وخصوص، وعموم، وهو ما يسمى بالسياق الحالي أو المقامي.

وعليه فإن هناك آيات كثيرة امتنعت عن ذكر المرجع ثقة بفهم السامع لدلالة السياق عليه، كما تقدم ذكره.

---

[1] - البقرة : 228.
[2] - الاتقان : 56/1.
[3] - النساء : 176.
[4] - الحجر : 44.

المبحث الثامن

توظيف السياق في درس قرينة التضام

المقصود بالتضام هو أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنـصراً آخـر فيسمى التضام هنا (التلازم) أو يتنافى معه، فلا يلتقي به ويسمى هذا (التنافي)([1]). وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر، فإن هذا الآخر قد يدل عليه بمبنى وجودي، على سبيل الذكر، أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاسـتتار أو الحذف، وهذا هو المعنى الذي نقصد إليه في هذه الدراسه.

وصور التلازم كثيرة منها: تلازم الموصول وصلته، وتطلـب كـلا وكلتـا مضافاً إليه معرفة مثنى، ويطلب العائد مرجعاً، والـتلازم بـين حـرف الجـر ومجروره، والمبهم وتمييزه، وواو الحـال وجملـة الحـال، وحـرف العطـف والمعطوف والنواصب والجوازم والفعل المضارع، والجواب الذي لايصح شرطاً والحرف الرابط، وهلم جرا.

ويتم الذكر أحياناً عن طريق الأختيار، فتُذكر الضميمة إذا لم تعن القـرائن الأخرى على تقديرها، وتستتر أو تحذف إذا دل السياق عليهـا علـى أن يكـون الحذف دائماً مع وجود القرينة الدالة على المحذوف.

فالمضاف والمضاف اليه يتطلب أحدهما الآخر، ويحذف كل منهما مع وجـود القرينة، كقوله تعالى: ((وأشربوا في قلوبهم العجـل بكفـرهم))([2])، أي: حـب العجل([3])، وكقوله تعالى: ((وجاء ربك))([4])، أي: أمـر ربـك([5])، فقـد حـذف المضاف فيما سبق لقيام قرينة تدل عليه مستمدة من السياق.

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها : 217.

[2] - البقرة : 93.

[3] - شرح ابن عقيل :76/2. تفسير الطبري - (ج 2 / ص 357)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: وأشربوا في قلوبهم حب العجل.

* ذكر من قال ذلك:

1561 - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، حدثنا معمر، عن قتادة:(وأشربوا في قلوبهم العجل)، قال: أشربوا حبه، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم. تفسير القرطبي - (ج 2 / ص 32)

وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل إلى باطنها، والطعام مجاور لها غير متغلغل فيها.

[4] - الفجر : 22.

5- تفسير الرازي - (ج 3 / ص 232)

كما حذف المضاف لدلالة سياق الحال عليه في قولـه تعـالى : ((وأسـأل القرية))([1])، وقوله تعالى: ((و الأمر من قبل ومن بعـد))([2]). وقـد يحـذف المضاف اليه، كما في قوله تعالى في قراءة ابن محيصن: ((فلا خوفَ عليهم))([3])، أي: فلا خوف شئ عليهم.

فالتضام قرينة لفظية ذات أثر في إنسجام العناصر النحوية، لأنّها تحدد وظائفها وما تشير إليه من معانٍ في السياق النحوي.

ومن أمثلة ذلك أن إسم الموصول وصلته يمثلان عنصرين لا يقوى أحـدهما على الأستغناء عن الآخر، أو الحلول محله. فإذا قلنا: جاء الذي أحبه، إنـصرف معنى الصلة إلى الذي مباشرة دونما تطرق إحتمال كونها خبراً أوصفة أو حـالاً ...، لأنها جزء متمم للموصول، لايغني عنه، كما أن الموصول مفتقر لهذا الجزء – اي الصلة – إفتقاراً واضحاً([4]).

المراد : جاء أمر ربك ، وليس فيه إلا حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، وهو مجاز مشهور ، يقال : ضرب الأمير فلاناً ، وصلبه ، وأعطاه ، والمراد أنه أمر بذلك ، لا أنه تولى ذلك العمل بنفسه ، ثم الذي يؤكد القول بصحة هذا التأويل وجهان الأول : أن قوله ههنا : { يَأْتِيَهُمُ الله } وقوله : { وَجَاء رَبُّكَ } إخبار عن حال القيامة ، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الملائكة أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبّكَ } [النحل : 33] فصار هذا الحكم مفسراً لذلك المتشابه ، لأن كل هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على البعض

[1] - يوسف : 82. وانظر : تفسير الطبري - (ج 3 / ص 339)

والمعنى: أهل القرية، وكما قال الشاعر، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوي:

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا!... وَمَا هي، وَيْبَ غَيْرِكَ بالعَنَاقِ (3)

يريد: بُغَامَ عنَاق، أو صوتَ [عناق]، (4) كما يقال:"حسبت صياحي أخاك"، يعني به: حسبتَ صياحي صياحَ أخيك.

[2] - الروم : 4. وانظر: تفسير ابن كثير - (ج 6 / ص 3.3)

أي: من قبل ذلك ومن بعده، فبني على الضم لما قُطع المضاف، وهو قوله: { قَبْلُ } عن الإضافة، ونُويت.

[3] البقرة : 38، وانظر : تفسير البحر المحيط - (ج 1 / ص 214)

: قرأ الجمهور بالرفع والتنوين ، وقرأ الزهري وعيسى الثقفي ويعقوب بالفتح في جميع القرآن ، وقرأ ابن محيصن باختلاف عنه بالرفع من غير تنوين وجه قراءة الجمهور مراعاة الرفع في { ولا هم يحزنون } ، فرفعوا للتعادل . قال ابن عطية : والرفع على إعمالها إعمال ليس ، ولا يتعين ما قاله ، بل الأولى أن يكون مرفوعاً بالابتداء لوجهين : أحدهما : أن إعمال لا عمل ليس قليل جداً ، ويمكن النزاع في صحته ، وإن صح فيمكن النزاع في اقتياسه . والثاني : حصول التعادل بينهما ، إذ تكون لا قد دخلت في كلتا الجملتين على مبتدأ ولم تعمل فيهما . ووجه قراءة الزهري ومن وافقه أن ذلك نص في العموم ، فينفي كل فرد من مدلول الخوف ، وأما الرفع فيجوزه وليس نصاً ، فراعوا ما دل على العموم بالنص دون ما يدل عليه بالظاهر . وأما قراءة ابن محيصن فخرجها ابن عطية على أنه من إعمال لا عمل ليس ، وأنه حذف التنوين تخفيفاً لكثرة الاستعمال . وقد ذكرنا ما في إعمال لا عمل ليس ، فالأولى أن يكون مبتدأ ، كما ذكرناه ، إذا كان مرفوعاً منوناً ، وحذف تنوينه كما قال لكثرة الاستعمال ، ويجوز أن يكون عري من التنوين لأنه على نية الألف واللام ، فيكون التقدير : فلا الخوف عليهم ، ويكون مثل ما حكى الأخفش عن العرب : سلام عليكم ، بغير تنوين . قالوا : يريدون السلام عليكم ، ويكون هذا التخريج أولى ، إذ يحصل التعادل في كون لا دخلت على المعرفة في كلتا الجملتين ، وإذا دخلت على المعارف لم تجر مجرى ليس

[4] - جامع الدروس العربية :1.6/1.

والموصوف والصفة متلازمان، ولكن كل منهما يحذف فتدل عليه القرينـة عند حذفه، نحو: صليت بالجامع، والمراد بالمسجد الجامع، ومنه قولـه تعـالى: ((وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة))([1])، والمراد المسجد الأقصى([2]).

والضمير العائد يذكر فيكون قرينة دالة على الإرتباط بين جملة فرعية وبين أجزاء الجملة الكبرى، ولكنه إذا قامت قرينة أخرى تفيد هذا الضمير أو تدل على هذا الضمير العائد أمكن حذفه، نحو: ما هذا الذي صنعت، وقوله تعالى: ((واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً))([3])، والفعل يذكر أو يحذف إذا دلـت عليـه القرينة بالتفسير نحو، قوله تعالى: ((إذا السماء إنـشقت))([4])، أو دخـول الأدوات التي تطلب الأفعال على الإسم المنصوب، نحو: إلتمس ولو خاتمـاً مـن حديـد. فالحذف لايتم إلاّ بقرينة تدل على المحذوف. والمبتدأ والخبر متلازمان، ويحـذف كل منهما إذا دل السياق عليه كما قال ابن مالك([5]):

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

وفي جواب كيف زيد قل دنف فزيد إستغنى عنه إذ عُرف

فالترخص في التضام ظاهرة شائعة في الاحداث الكلامية، وقد تبين أن للسياق فضلاً جليلاً في الكشف عن المحذوف "فكل ما كان معلوماً في القول جارياً علـى الناس فحذفه جائز لعلم المخاطب"([6]).

وقد عرج ابن يعيش على هذه الظاهرة - ظاهرة الترخص في التـضام- أي الحذف، معولاً على دلالة السياق البنيوي والحالي، ومن ذلك إلماحته إلى حـذف المبتدأ أوالخبر مع أنهما متلازمان، فلا بد منهما، إلاّ أنّه قد توجد قرينة لفظيـة أو حالية تغني عن أحدهما، فيحذف لدلالتها عليه، " لأن الألفاظ إنما جئ بها للدلالـة على المعنى، فإذا فهم بدون اللفظ جاز ألا تأتي به ويكون مراداً حكماً وتقديراً([7])

---

[1] - الاسراء :7.
[2] - تفسير ابن كثير - (ج 5 / ص 48)
أي بيت المقدس
[3] - البقرة : 48.
[4] - الانشقاق : 1.
[5] - شرح ابن عقيل - (ج 1 / ص 244)
يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل:
[6] - المبرد ، المقتضب: 94/1.
[7] - شرح المفصل : 94/1.

المبحث التاسع

توظيف السياق في درس قرينة الأداة

الأداة: مبنى صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي([1])، ومن المعروف أن علماء العربية الأوائل تنبهوا على ما للأدوات من أثر في فهم النصوص الدينية والآثار الأدبية، لذاك عملوا على تصنيف كتب خاصة تضم هذه الأدوات وما تؤديه من معانٍ([2]) .

ولأن معاني الأدوات معانٍ وظيفية، فهي في حاجة ماسة إلى السياق، فالأدوات جميعاً تشترك في أنّها لا تدل على معاني معجمية، ولكنها تدل معنى وظيفي عام هو التعليق([3])، ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان بوظيفة خاصة كالنفي والتأكيد والأستفهام وهلم جراً، حيث تكون الأداة هي العنصر الرابط بين أجزاء الجملة كلها([4])، وهي في وفائها بهذا المعنى - ذات إفتقار متأصل إلى الضمائم، إذ لايكتمل معناها الا بها، فلا يفيد حرف الجر الا مع المجرور، ولا العطف إلا مع المعطوف، حتى أدوات الجمل مفتقرة إلى ذكر الجملة كاملة بعدها، ولا تحذف الجملة حين تحذف وتبقى الأداة بعدها الآ مع القرينة التي يمكن بها فهم المراد، فتحل القرينة في إيضاح المعنى محل الجملة([5]). وإذا كانت المعاني التي تعبر عنها الأدوات وظيفية لا معجمية، فإنما هي علاقات في السياق لا تكتسب إلأ منه، فلا بيئة للأدوات خارج السياق، بل لنقل لا معنى للأدوات خارج السياق، فمعنى الأداة هو استعمالها . ومن هنا وجدنا النحاة يعددون المعاني المختلفة للأداة الواحدة، حيث يختلف المعنى باختلاف التركيب والسياق الذي ترد فيه.

وقد جعل النحاة لكل اداة من أدوات المعاني معنى مخصوصاً لايفارقها، ف "إلى": لإنتهاء الغاية، و"في" : للظرفية، و"على" : للأستعلاء([6])، ولكن هذا المعنى

---

[1] - مبادىء اللسانيات:237.

[2] - منها الجنى الداني في حروف المعاني ، للرماني . ومعاني الحروف، للزجاجي .

[3] - اللغة العربية معناها ومبناها :125، 239.

[4] - نفس المصدر:126.

[5] - نفس المصدر : 127.

[6] - مغنىاللبيب :1.4 ، 223.

المخصوص ليس على إطلاقه، فقد تخرج الأداة عن معناها الذي وضـع لهـا أو وضعت له، ويتضح ذلك من خلال السياق اللغوي، ووضعها في تركيب أو سياق معين يتحدد على ضوئه المعنى المقصود لها، مع ملاحظة القرائن والـضوابط و المقام.

فالمقام يكون مرجِحاً لمعنى دون آخر، وذلك إيضاحاً لظاهرة مهمة جداً هي: ظاهرة تضافر القرائن([1]) لإيضاح المعنى الوظيفي في السياق. ففهم اللفظ معزولاً عن سياقه ضرب من العبث، إذ لابد من سياق يبرز دلالته.

فهذه اللام في قوله سبحانه وتعـالى: ((ونـضع المـوازين القـسط ليـوم القيامة))([2])، فهي ليست بمعنى (في)، ولا الغاية ولا التعليل، ولا... وإنّما أوحي السياق بما يتعدى بها وتستريح إليه، إنّه فعل (نصب) المتعدي بـاللام، ووضـع الموازين يوم القيامة إنّما هو تمهيد لنصبها([3]).

وهذه(من)في قوله سبحانه وتعـالى: ((فلمـا قـضى زيـد منهـا وطـراً زوجناكها))([4])، تضمن " قضى" معنى طابت نفسه أو بلغ حاجته، وهذه "الباء" في قوله سبحانه وتعالى: ((إن ربك يقضي بينهم بحكمه))([5])، تضمن القضاء معنـى الحكم.

و"على" في قوله سبحانه وتعالى: ((فوكزه موسى فقـضى عليـه))([6])، جعلته تضمن قضى معنى: أجهز عليه.

ومثلها في قوله تعالى: ((يامالك ليقض علينا ربك))([7])، و"إلـى" فـي قولـه سبحانه وتعالى: ((من قبل أن يقضي إليك وحيه))([8])، تضمن معنى أتم.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ((إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيمـا كـانوا فيـه يختلفون))([1])، تضمن" قضى" معنى " فصل"([2])، فالأداة يفهم مدلولها مـن واقـع

---

[1] - نظرية نحوية لتمام حسان ، انظر: كتابه اللغة العربية معناها ومبناها

[2] - الانبياء : 47.

[3] - د. محمد نديم فاضل. التضمين النحوى فى القرآن الكريم مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة ، المجلد الاول ، ط1، 67/1.

[4] - الاحزاب : 37.

[5] - النمل : 78.

[6] - القصص : 15.

[7] - الزخرف: 77.

[8] - طه 114.

الإستعمال، وإذا كان للسياق دوره الخطير في تحديد مدلول الأداة ومعناها الوظيفي فهو– أي السياق- ينهض بتفسير تعدد المعنى الوظيفي لكثير من الأدوات النحوية، لذا حين عالج النحاة ومعربوا القرآن ما يتعلق بدلالة حروف المعاني ذهبوا إلى أنّها لاتدل على معنى في ذاتها، وإنما تتعدد معانيها بالنظر إلى سياقها اللغوي ومقامها الحالي في إطار المعنى المحمل من السياق أو المقام؛ لذا فقد يحق لنا أن نعيد النظر في تفسير بعض الآيات القرآنية، من مثل قوله تعالى: ((وارزقوهم فيها واكسوهم))([3])، فإذا جعلنا" في" بمعنى "من" كما ذكر أغلب المفسرين، فإن توجيه المعنى تستنكره مصلحة اليتيم؛ لذا لابد من تضمن "رزق" مصلحة اليتيم وحفظ ماله، فعلينا أن ندير له أمواله في تجارة رابحة، ونرعى مصالحه، فلا ينفق ما ورثه في سنوات معدودة ثم يمد يده الى الناس([4]) .

وكذا في قوله تعالى: ((فطفق مسحاً بالسوق والأعناق))([5])، فقد ذهب العديد من المفسرين إلى أن المسح معناه الضرب والقتل، فهل يعقل من قائد عسكري ان يدمر آلياته العسكرية بيده ؟ فهو يكرمها ويباركها بالمسح على سوقها واعناقها([6])- كما يدل عليه السياق – كما نمسح على رأس اليتيم حباً وتعاطفاً، لمعرفة الخيل الأصيل من سواه، لا أن يقع فيها ضرباً وتقتيلاً كما قيل من قبل ومن ذلك قوله تعالى: ((يا مريم اقنتي لربك وأسجدي واركعي مع الراكعين))([7])، فلا يفهم من ذلك ان السجود قبل الركوع، قال الزجاج: " إن معنى الركوع قبل السجود" والمعنى : اركعي وأسجدي، إلا أن الواو إذا ذُكرت فمعناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئن قبل الآخر، لأنّها تؤذن بالإجتماع والعمل، والحال تدل على تقدم المتقدم"([8])، فدل سياق الحال على ذلك.

---

[1] - يونس : 93.

[2] - التضمين النحوى :67/1. بحر العلوم للسمرقندي - (ج 4 / ص 131)
يعني : يحكم بينهم "الوسيط لسيد طنطاوي - (ج 1 / ص 2159)
أى : إن ربك يفصل بين هؤلاء المختلفين"

[3] - النساء : 5.

[4] - التضمين النحوى: 37/1.

[5] - ق : 33.

[6] - التضمين النحوى: 37/1.

[7] - آل عمران :43.

[8] - معانى القرآن واعرابه :414/1. وانظر: الزركشى ، بدر الدين محمد بن عبدالله. البرهان فى علوم القرآن .تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل، بيروت، ،1988م ،436/4.

بعد هذا العرض المقتضب أختتم هذه المباحثة مشيراً إلى أن معاني الأدوات درس عسير، ولعله ينبني على فرض معنى على حرف في سياق التركيب أشياء كثيرة، ومن ذلك" الفاء" في قولهم : "ما تأتيني فتحدثني"([1]) فبتباين وجه التقول على الفاء يتباين المعنى تبايناً جلياً، ويتباين إعراب الفعل "تحدثني" أيضاً، ذلك أنّه يجوز الرفع على وجهين، والنصب على وجهين، فإذا كانت "الفاء" عاطفة وجب الرفع: "ما تأتيني فتحدثُني"، وعندها يشترك الفعلان في النفي، والمعنى: ما تأتيني وما تحدثُيني.

وإذا كانت الفاء للإستئناف تعين الرفع، وتباين المعنى المبني على معنى (فاء) الإستئناف عن المعنى المبني على معنى (فاء) العطف، فالفعل الثاني(تحدثني) في هذا السياق- سياق الإستئناف - مثبت لا منفي، والتقدير: ما تأتيني، وأنت تحدثني الآن. وقد ينصب الفعل (تحدثني)، والفاء سببية، وله معنيان: اولهما: نفي السبب: أما تأتيني، فينفي المسبب: فأنت تحدثني، وثانيهما: نفي الثاني فقط ، والمعنى: منك اتيان كثير، ولاحديث منك([2]).

ولعل في هذا المثال بياناً عن جدل التاثر والتأثير الواقع بين حروف المعاني والسياق البنيوي.

---

[1] - الكتاب: 3/ 3.- 31.

[2] - الكتاب - (ج 1 / ص 183)

واعلم أنّ ما ينتصب في باب الفاء قد ينتصب على غير معنى واحد، وكلّ ذلك على إضمار أن، إلاّ أنّ المعاني مختلفة، كما أنّ يعلم الله يرتفع كما يرتفع يذهب زيد، وعلم الله ينتصب كما ينتصب ذهب زيد، وفيهما معنى اليمين.

فالنصب ههنا في التمثيل كأنك قلت: لم يكن إتيان فأن تحدّث والمعنى على غير ذلك، كما أنّ معنى علم الله لأفعلنّ غير معنى رزق الله. فأن تحدّث في اللفظ مرفوعة بيكن؛ لأنّ المعنى: بم يكن إتيان فيكون حديث.

وتقول: ما نأتيني فتحدّثني، فالنصب على وجهين من المعاني: أحدهما: ما تأتيني فكيف تحدّثني، أي لو أتيتني لحدّثتني.

وأما الآخر: فما تأتيني أبداً إلاّ لم تحدّثني، أي منك إتيان كثير ولا حديث منك.

وإن شئت أشركت بين الأوّل والآخر، فدخل الآخر فيما دخل فيه الأوّل فتقول: ما تأتيني فتحدّثني كأنك قلت: ما تأتيني وما تحدّثني.

فمثل النصب قوله عزّ وجلّ: " لا يقضي عليهم فيموتوا " . ومثل الرفع قوله عزّ وجلّ: " هذا يوم لا ينطقون. ولا يؤذن لهم فيعتذرون " .

وإن شئت رفعت على وجه آخر، كأنك قلت: فأنت تحدّثنا. ومثل ذلك قول بعض الحارثيين:

غير أنّا لم تأتنا بيقين ... فترجّي ونكثر التأميلا

كأنه قال: فنحن نرجّى. فهذا في موضع مبنيّ على المبتدإ.

وتقول: ما أتيتنا فتحدّثنا، فالنصب فيه كالنّصب في الأوّل، وإن شئت رفعت على: فأنت تحدّثنا الساعة، وارفع فيه يجوز على ما.

إذن فقد عرف النحاة للأدوات أهميتها في الـدرس النحـوي وارتبطـت دراستها بوظائفها، كما ارتبطت بدلالاتها وسياقها فالحال الداعية إلى تعدد معنـى الاداة والمسوغة له هو السياق وليس الأمر متروكاً على عواهنه غير مقيـد بقيـد السياق، لذا يقول ابن جني: " يقولون إن " إلى" تكون بمعنى "مع" ويحتجون لـذلك بقول ا سبحانه وتعالى: ((من أنصاري إلى ا))([1])، أي: مع ا ، ويقولـون إن "في" تكون بمعنى"على" ويحتجون بقوله عز اسمه ((ولأصـلبنكم فـي جـذوع النخل))([2]) أي: عليها، ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، ولكنا نقول إنّه يكـون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة لـه، فأما في كل موضع، وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا لا مقيداً لزمك أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد معه، وأن تقـول: زيد في الفرس، وأنت تريد عليه([3]).

وكثيراً ما يتوقف فهم دلالة بعض الأدوات في التركيب بدقـة علـى مـدى الإحاطة بالسياق الإجتماعي أو الثقافي أو الديني أو غير ذلك من السياقات الخاصة بالجماعة اللغوية، يؤكد ذلك قولنا : تزوج هنداً أو أختها، فلا يستطيع أحـد مـن خلال ظاهر التركيب أن يجزم بدلالة محددة ل" أو" أهي للإباحـة أم للإبهـام أم للتخيير،.أم غير ذلك ؟ إذ كل الاحتمالات قائمة وممكنة، ولايوجـد فـي ظـاهر التركيب ما يرجح إحتمالاً على غيره، وهنا تظهر قيمة " سياق الحال" في إزالـة الإبهام وحسم الدلالة، إذ يتعين بمقتضاه كون "أو" في التركيب للتخيير ليس غير، ولا يمكن أن تكون للإباحة، لأن الإباحة يجـوز فيهـا الجمـع بـين الأمـرين، والإقتصار على أحدهما([4])، والجمع بين الأختين محرم شـرعاً، فتعـين كونهـا للتخيير، وعندئذ يكون السياق الديني الموجود في المجتمع هو المحدد لدلالة " أو" ومن ثم يرتفع اللبس الذي يعتور مثل هذا التركيب.

---

[1] - آل عمران : 52 . والصف :4.
[2] - طه :71.
[3] - الخصائص:3.9/2- 31..
[4] - شرح الكافية :37/2..

المبحث العاشر

توظيف السياق في درس الزمن

يرى كثير من الباحثين أن الزمن اللغوي فصيلة من فصائل النحو، وأنه في العربية خاصة لا يمكن أن ينتسب إلاّ إلى السياق، ومن هذا المنطلق وجه البحث المعاصر نقداً مريراً إلى الرأي الذي يرى أن الصيغة المنعزلة وحدها هي التي تحمل في جعبتها الدلالة الزمنية([1])؛ لذا كما قال المحدثون يجب أن نميز بين نوعين من الزمن، أحدهما: زمن صرفي تقدمه جداول التصريف الفعلي عن طريق اللواصق (المورفيمات)، وهو زمن يوصف خارج السياق.

وثانيهما: زمن نحوي تقدمه التراكيب الإسنادية التي تضم الأفعال وهي في السياق النحوي، والأدوات وكل مباني القرائن السياقية، وهو زمن لا يوصف إلا داخل السياق([2]).

فينبغي إذن أن ننظر إلى الزمن من خلال السياق لا من خلال الصيغة، لأن معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى الزمن الصرفي، من حيث أن الزمن الصرفي وظيفة الصيغة وأن الزمن النحوي وظيفة السياق تحددها الضمائم والقرائن. واتفق معظم المحدثين على وجود هذين النوعين من الزمن([3]).

والمتتبع لمسيرة النحو يرى أن النحاة قد نسبوا الزمن إلى الصيغة، ف (يفَعلَ) للدلالة على الحال أو الإستقبال، ولكنهم عند نظرهم إلى الجملة المنفية وجدوا المضارع المنفي قد يدل على المضى، وحين نظروا إلى الجمل الإنشائية وجدوا صيغة (فَعلَ) يفيد الإستقبال في التخصيص والدعاء والشرط.

ولما كانت قواعدهم التي وضعوها عزيزة على انفسهم لم يخطر ببالهم أن يعيدوا النظر في نظام الزمن في ضوء مطالب السياق، وساغ لهم في حرصهم

---

[1] ـ اللغة العربية معناها ومبناها : 24.. واللغة لفندريس:125.

[2] ـ فاضل السامرائى . أقسام الكلام العربى من حيث الشكل والوظيفة: 13- 19. وانظر: تمام حسان. منهج البحث فى اللغة :1.4.

[3] ـ الزمن واللغة : 18،94،181.

على القواعد أن ينسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات، فقالوا إن (لم) حرف قلـب، وإن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان([1]).

والملاحظ أن التحول السياقي للزمن يتم بواسطة الأدوات داخـل التركيـب، فالآدوات الأتية: (قد، السين، سوف، اللام، نون التوكيد، ما، لا، لم، لما، لـن، إن وأخواتها وكان وأخواتها، كاد وأخواتها، كلها عناصر لإفادة الزمن في سياقه، لذا نجد كتب التفسير قد حفلت بالإشارات المهمة إلى تغير الـزمن تبعـاً للعلاقـات السياقية أو القرائن الحالية، فقد بينوا أن الفعل الماضي قد يكون معبراً عن الزمن الحاضر أو المستقبل، فالحاضر كقوله تعـالى: ((الآن حـصحص الحـق))([2])، والمستقبل كقوله تعالى: ((إقتربت الساعة وانشق القمر))([3]). ومثل ذلك كل جمـل الدعاء، نحو: رضي ا عنه، وعفا عنه، ورحمه ا . ومثل ذلك: الماضي إذا ولى أدوات الشرط، ولا سيما، إن، وإذا، لأنه يغدو خالصاً للمستقبل. كقوله تعالى: ((إذا جاء نصر ا والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين ا أفواجاً فسبح بحمد ربـك واستغفره إنّه كان تواباً))([4]).

فالفعلان: (جاء) و(رأيت) ماضيان صرفياً مستقبلان نحوياً، كما بينوا أن من سنن العرب التعبير عن الماضي والمستقبل بما يدل على الحال والحضور قـصداً إلى إحضاره في الذهن وكأنه مشاهد حالة الإخبار([5])، نحو قوله تعالى: ((إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة))([6]) أي: سيحكم، لكنه استعمل اللام التي هي للحال وقوله تعالى: ((وا الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً))([7]) أي: فأثارت، لكنـه اسـتعمل المضارع لفتاً لانظار الناس الى قدرة ا الباهرة.

---

[1] - اللغة العربية معناها ومبناها: 242- 243.
[2] - يوسف : 15.
[3] - القمر : 1.
[4] - النصر :1- 3.
[5] - مغنى اللبيب :769/2- 77..
[6] - النحل : 124.
[7] - فاطر :9.

كما بين النحاة والمفسرون أن الفعل المضارع يمكن أن يدل علـى زمـن مضى، نحو قوله تعالى: ((ثم قال له كن فيكون))([1])، أي: كن فكـان. ف(فعـل) يكون مضارعاً صرفياً وماض نحوياً. ومثله الشاهد النحوي التالي([2]):

جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالإيماض.

أي: قطّعت، لأن الحديث وقع في رمضان الماضي.

كما قد تأتي بعض التراكيب في صيغة الماضي، والسياق يقتـضي الحـال لغرض تأكيد وقوع الحدث في المضارع بوضعه في صيغة الماضي، مثل قولـه تعالى: ((أتى أمر ا فلا تستعجلوه))([3])، أي: سيأتي.

وزمن الجملة هو الآخر يشارك في الدلالة، ومثال ذلك قول الحـق تبـارك تعالى: ((وقالت اليهود يد ا مغلولة غُلتْ أيديهم ولعنوا بمـا قـالوا، بـل يـداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، وليزيدن كثيراً منهم ما ٌأنزل إليك من ربك طغيانـاً وكفراً، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كلما أوقدوا ناراً للحـرب أطفأها ا ، ويسعون في الأرض فساداً، وا لايحب المفسدين))([4]).

جاء زمن الأفعال: "قالت، لعنوا، قالوا، أوقدوا، أنزل، ألقينـا، أطفـأ". فـي الماضي، وذلك للدلالة على الوقوع والتحقيق، فحدوث القول واللعنـة، والكفـر، والطغيان وإلقاء العداوة، وإيقاد الفتن، كل ذلك تحقق، ولكن اقتضى السياق وجود زمن المضارع مثل: ينفق كيف يشاء، وليزيدن، ويسعون، وا لايحب المفسدين. وذلك للدلالة على الحدوث والتجديد، فا تعالى كريم دائماً كما أنهـم يـزدادون طغياناً وكفراً، ودأبهم الإفساد في الأرض، وكراهية ا للمفسدين دائمة([5]).

فالنحاة إلى زمن متأخر جداً –أي قبل الدرس النحوي الحديث- كانوا يعتبرون زمان الفعل مدلولاً صرفياً، أي: أنّه مدلول صيغة (فعل يفعل)؛ لأن الحدث مدلول مادتها ولذلك قال إبن مالك([6]):

---

[1] - آل عمران : 59.
[2] - شرح الرضى على الكافية : 45/3.. وخزانة الادب :18/3..
[3] - النحل : 1.
[4] - المائدة : 64.
[5] - راجع تفسير ابن كثير : 76/2.
[6] - شرح ابن عقيل :557/1.

المصدر اسم ما سوى الزمن من مدلولي الفعل كأمن من أمن

أما الأصوليون([1]) فقد أنكروا زمان الصيغة، لأنها عنـدهم "دالـة نـسبة" واعتبروا الزمن مدلولاً نحوياً لا صرفياً، أي: أنه مدلول سياق الجملة وقرائنها لا صيغة (فعل يفعل) بدليل أن (فعل) قد تدل في السياق على زمن مستقبل، و(يفعل) على زمن ماضي.

وإذا كانت الجملة الفعلية تدل بسياقها على زمن مـاض أو مـستقبل، مثـل: ضرب زيد، وسيضرب عمرو، فإن الجملة الأسمية قد تدل بسياقها إذا كان الخبر وصفاً – على الماضي والمستقبل مثل: "هذا قاتلُ أخيك" و" هذا قاتلٌ أخاك". من أجل ذلك أخطأ البلاغيون – فيما أرى- كما أخطأ النحاة في تحميل صيغ الأفعـال معنى الزمن المعين لأنهم لم يلحظوا وضع الصيغة مجرداً، وإنّما لحظوهـا مـع ملاحظتهم سياق الجملة وكون المتكلم في (مقام) الإخبارعن وقوع شئ أو توقـع وقوعه، ولاشك أنّها حينئذ تدل على الزمن الماضي أو المستقبل، ولكن هذا الزمن ليس هو المعنى اللغوي الذي وضعت الصيغة بإزائه، بل المعنى الـذي يتعـاون عليه الوضع والسياق والمقام، ولذلك نجد الصيغة في- سياق- الشرط والنفـي أو- مقام- الإنشاء لاتدل على زمنها المعين عند الجميع.

---

[1] - مصطفى جمال الدين . البحث النحوى عند الاصوليين ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، سلسلة دراسات :228 ،دار الرشيد للنشر ،ص: 3.6 -3.7.

المبحث الاول

الدلالة تعريفها وأنواعها

أولاً: تعريف الدلالة:

الدلالة في اللغة: المقصد إذ جاء في " لسان العرب": معنـي كـل كـلام مقصده، يقال: عرفت ذلك في معني كلامه([1]). وفيه أيضا: " دله علي الـشئ .... سدده إليه، والاسم: الدلالة، والدلالة بالفتح والكسر([2]).

وفي المعجم الوسيط: "دل عليه واليه دلالة: أرشده، والدلالة: الإرشاد، وما يقتضيه اللفظ عند اطلاقه "([3])، وفيه: "المعني: مـا يـدل عليـه اللفـظ، الجمـع :معان"([4]).

وفي كتاب التعريفات للشريف الجرجاني ت " 816 " يقول :" المعني: مـا يقصد بشئ. والمعاني: هي الصور الذهنية، من حيث إنّه وضع بإزائهـا الالفـاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنّها تقصد باللفظ سميت معني "([5]). ويقول في تعريف الدلالة "إن الدلالة: هي كون الشئ بحاله يلزم من العلم به العلم بـشىء آخر، والشىء الأول هو الدال، والثانى هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ علي المعني باصطلاح علماء الاصول محصورة في: عبارة النص، وإشارة الـنص، ودلالـة النص، وإقتضاء النص....، فإن كان الحكم مفهوماً من اللفظ لغة فهو الدلالة ... ، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعني النص لغة لا اجتهاداً، فقوله: " لغة" أي: يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل"([6]).

وعلم الدلالة هو دراسة" المعني" وهو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية "الصرفية"، والنحوية التركيبية، والقاموسية المعجمية، وهي المحاور التي تحـاول الدراسة إماطة اللثام عنها في الصفحات التالية.

---

1 ابن منظور . لسان العرب . مادة " عني "
2 نفس المصدر . مادة . " دلل "
3 المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة . مادة " دل "
4 نفس المصدر ، مادة " عني "
5 الشريف الجرجاني . التعريفات ، ص : 196
6 نفس المصدر ، ص : 93

ثانياً: أنواع الدلالة:

1- الدلالة الصوتية:

الدلالة الصوتية هي التي تستمد من طبيعة بعض الاصوات في عبارة ما، وقد سبق القدماء من المسلمين الي كشف هذه الدلالة([1]). وهي إما ذات دلالة وظيفية مطردة، أو دلالة صوتية غير مطردة.

فالدلالة الصوتية المطردة هي التي تعتمد علي تغيير مواقع الفونيمات، باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الالفاظ؛ لأن كل فونيم مقابل استبدالي لفونيم آخر، فتغييره أو استبداله بغيره لابد أن يعقبه اختلاف في المعني([2]). كما تقول في العربية: نفر، ونفذ، فبمجرد استبدال(الراء) بفونيم "الذال" يتغير معني الكلمتين بصورة آلية، وهذا ما يسميه "فيرث" "الوظيفة الصوتية الصغري أو القاصرة minor phonetic functin، مقابل الوظائف الكبري، المعجمية، والصرفية والنحوية، ووظيفة سياق الحال الدلالية([3]).

وعليه كل حرف أو حركة في اللغة العربية، يمكن أن يكون مقابلاً استبداليا، فالحروف في تبدلها ذات وظيفة فونيمية، كذاك الحركات، لها دلالة صوتية، أي: ذات وظيفة فونيمية أقرب إلي وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات، إذ الحركة صوت في الكلمة، وجزء لايتجزء منها، فحركة الحرف لا تنفصل عنه في اثناء نطقه ولا عبرة بكتابتها منفصلة عنه.

والحركات العربية "الفتحة، الكسرة، الضمة، السكون "ليست مظاهر تطريزية prosodies، كما يري فيرث "firth"([4]). أي: " ملامح صوتية ثانوية كالنبر والتنغيم، أو ما يمكن أن نسميه في التحليل الفونيمي، بالفونيمات الثانوية" secondary phonemes" غير التركيبية، أي: لا تدخل في رأيه في التركيب الصوتي". والحقيقة أنها وحدات صوتيةphonological units" لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي؛ لأنّها جزء أساسي منه، فهي ليست ظواهر

---

1 أنظر : الخصائص : 2/ 152 ، 168

2 د. عبد الكريم مجاهد , الدلالة اللغوية عند العرب . دار الضياء ، الاردن ، عمان ، مركز العبدلي التجارى ، ص : 166

3 د . محمود السعران . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : 3.2 – 3.3

4 نفس المصدر ، ص : 3.3

تطريزية، أنما هي فونيمات أساسية أولية" primary phonemes، ودليلنا علـي ذلك: أن الفتحة مثلاً يمكن أن تكون مقابلاً استبداليا للكسرة والـضمة، كمـا فـي مُترجِم ومُترجم وضرب وضُرب، وكذلك: السكون في "ضرب، ضرب، وضُرب، كذلك يمكن أن يختلف لفظها بحسب موقعها من ترقيق إلي تفخيم، ففتحة اللام في لفظ الجلالة "ا " يختلف عنها حينما تقول "با " فالفتحة مرة مفخمة ومرة أخـرى مرققة. وهكذا بقية الحركات تختلف في نطقها حسب مواقعها الصوتية كالفونيمات الاخري.

والدلالة الصوتية نجدها عند ابن جني تحت اسم الدلالة اللفظية، حيث يقول: " اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتمد مراعي مـؤثر، الاّ أنهـا فـي القـوة والضعف علي ثلاثة مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليهـا المعنوية"([1]). أي: أن كل دلالة لها دورها في أداء المعني؛ لذلك نعتد بكل دلالـة ونراعيها عند استخلاص المعني الدلالي، ولا يمكن الاستغناء عن أي مستوي من هذه المستويات الثلاثة.

ثم يتابع قائلا: " الا تري إلي "قام" ودلالة لفظه علي مـصدره"([2]). أي: أن قام بحروفها أو وحداتها الصوتية تدل علي القيام، بمعني أنّنا وقفنا علي الحدث من خلال لفظ الفعل، وهكذا كل فعل باصواته يؤدي معني الحدث، " فالضرب والقتـل نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما"([3]). أي: أن كل واحد منهما يدل علي حدث مغـاير للآخر تبعا لاختلاف لفظيهما، أي: أصواتهما.

وهناك دلالة صوتية أخري مطردة، تعتمد علي ما يـسمي فـي التحليـل الفونيمي، بالفونيمات غير التركيبـة "suprasegmental phonemes "، أو مـا يسمي" prosodies"، أو الظواهر التطريزية، وهـي الملامـح الـصوتية التـي تصاحب الكلمات المتصلة، أو الجمل فتؤدي وظيفة دلالية، وأهم هـذه الملامـح الدلالية: النبر "stress "، والتنغـيم" intonation ". وهمـا قرينتـان صـوتيتان تستفادان من دراسة اللغة المنطوقة، والعرب القدماء كانت بحوثهم حول نصوص

1ابن جنى. الخصائص : 3 / 1..
2 نفس المصدر : 3 / 1..
3 نفس المصدر : 3 / 1.1

لغوية مكتوبة – غالباً – ومع ذلك فقد أدركوا تينكم الظاهرتين، ولكنهم لم يـذكروا مصطلحيهما صراحة، بل قالوا مثلاً: "لا يجوز حذف همزة الاستفهام الاّ إذا فُهـم المعني ودل عليه دليل"([1]). فقولهم هذا يؤكد التفاتهم الـي الـسياق، أى: القـرائن اللفظية،. وبما أن التراث العربى وصل إلى اللغويين مكتوباً، وهو فاقد لعنـصرى النبر والتنغيم الاّ أن سياق العبارة لا بد أنّه قد رد كثيراً من الجوانب المفقودة فـي النص، مثل قول الكميت([2]):

طربت وما شوقاً إلي البيض أطرب ولا لعباً مني، وذو الشيب يلعب

فقد فهم اللغويون الاستفهام، بلا وجود قرينة ملفوظة دالة عليه في البيت الـسابق، علي الرغم من أنهم بحثوه مكتوباً لا منطوقاً مسموعاً، وهذا يدل علي احـساسهم المرهف. كما أنّهم لو لم يحملوه علي الاستفهام، لوقعوا في تناقض فـي المعنـي، لأن المراد لا يحتمل غير ذلك، وهذا بُعد آخر دل عليه السياق اللغوي.

2- الدلالة الصرفية:

تقوم هذه الدلالة علي ماتؤديه الأوزان الصرفية العربية وأبنيتها من معانٍ. والدرس الصرفي في العربية مقدمة للدرس النحوي. وهما متلازمان لا ينفصلان في الدرس اللغوي الحديث، لأن الصرف باهتمامه ببنية الكلمة إنما هو من أجـل توظيفها في تركيب نحوي([3]).

ومن المقرر بصورة بديهية أن لكل قسم من أقسام الكلام دلالة، فالاسـم اذا كان مصدراً، يدل علي حدث، واذا كان علماً، دل علي معين، والفعل يـدل علـي الحدث والزمن، والحرف أداة ربط بين الاساليب، كالشرط والاستفهام، أي: أنّهـا تقوم بوظيفة نحوية بربطها بين مفردات التركيب، أو بإقامة نوع من العلاقات في السياق.

---

1 أنظر سيبويه ، الكتاب : 3 / 174 – 175 . وأنظر : المقتضب ، 3 / 294 – 295

[2] انظر : خزانة الادب :6/2.. خزانة الأدب - (ج 4 / ص 131)

يريد: أو ذو الشيب يلعب.

3 المازني . المنصف في شرح التصريف ، تحقيق : إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين ، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي ،

مصر ، 1337 ، 1954 م ،ط 1 ، ج1 / 4

وقد استطاع ابن جني أن يدرك كثيراً من القـيم الـصرفية ذات الوظيفـة الدلالية المطردة، التي تنم عن فهم عميق للتغيرات الصرفية التي تتعاور الكلمة من أجل الاغراض الدلالية. ومن القيم الصرفية التي أدركها ابن جني ما يسمي فـي علم اللغة الحديث بالمورفيم أو دال النسبة" morpheme "، وقد أدرك ابن جنـي القيمة الدلالية للمورفيم قبل أن يدركها علم اللغـة الحـديث، فمـثلاً : حـروف المضارعة، وإن كانت تتساوي في افادة الحال أو الاستقبال للفعل الذي تزاد عليه، فهي في نظره لها قيمة أخري، أي: لها وظيفة دلالية أخري، وهي الدلالـة علـي الفاعل، ف(اضرب) مثلاً: تعني أن الفاعل هو المتكلم مفرداً، بدليل وجود الهمزة، والنون في "نضرب"، دليل علي أن الفاعل جمع مـن المتكلمـين، والتـاء فـي "تضرب" دليل على أن الفاعل مفرد مؤنث غائب، أو مفرد مذكر مخاطب حـسب السياق، والياء في " يضرب " تدل علي أن الفاعل مفرد مذكر غائب([1]).

كذلك نلاحظ في كثير من الصيغ الصرفية فروقاً في الدلالة بسبب زيـادة مورفيم في أول الصيغة أو في وسطها علي الحروف الاصلية، أو علـي الجـذر الاصلي، فالوزن الصرفي " فعل " إذا زدنا الهمـزة فـي أولـه صـار "افعـل " وستختلف دلالتة، " فأدخل وأخرج" تجعل الفاعل مفعولاً([2])، فإذا كانت "دخل " تفيد أن هناك من دفعه الي الدخول، فزيادة الهمزة كـان لهـا تـاثيراً علـي المعنـي الصرفي.

وأما ما جاء علي وزن "فاعل " أي : بزيادة الالف في الوسط، فانّه للدلالة علي المشاركة في الفعل بين اثنين فاكثر، لا من واحد، مثل: قاتل، شارك، ساهم، يقول ابن جني: "وأما (فاعل) فكونه من اثنين فصاعداً: ضارب زيد عمراً، وشاتم جعفر بشراً"([3]).

1 أنظر الخصائص : 1 / 225 – 226 ، واللمع : 92

2 الخصائص : 1 / 244

3 ابن جني . سر صناعة الاعراب . تحقيق : مصطفي السقا وزملائه . دار الثقافة العامة بوزارة المعارف ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي ،
مصر ، ط ، 1 / 42 ، 43 ، 44

وأما تضعيف العين في صيغة "فعل " فقد يأتي للدلالة علي تكثيـر الفعـل نحو: غلّق الابواب، وقطّع الحبال " وكسر الجرار وقد تـزاد المورفيمـات فـي الافعال حشواً، أو كسوابق أو لواحق، ففي قوله تعالي: ((لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))([1]). يقول ابن جني: " فعبر عن لفظ الحسنة بكسب؛ وذلك لافتقار الحسنة إلي ثوابها، وجاء "اكتسبت " في السيئة تنفيراً عنها وتهويلاً وتشنيعاً بارتكابها"([2]).

وهكذا استطاع ابن جني أن يدرك أسرار هذه الزيادة وذلك التكرار، ويجعل منها مورفيمات ذات وظائف دلالية في افادتها الكثرة والمبالغة في المعني ليناسب السياق وهناك أيضاً دلالة وظيفية للحركات لا تقـل عـن الحـروف "الـسوابق واللواحق " في بيان الفروق الدلالية، ومن ذلك ما ساقه أبو الفتح في توجيه قراءة حسان بن عبد الرحمن، في قوله تعالي: ((وكان بين ذلك قواما))([3])، إذ يقول: " القَوام بفتح القاف، الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم: جارية حسنة القَوام، إذا كانت معتدلة الطول والخلق. وأما القِوام "بكسر القاف" فإنّه ملاك الامر وعصامه. فكذلك قوله:" وكان بين ذلك قواما" أي: ملاكاً للامر ونظاماً وعصاماً"([4]). وقد أوضح هذا المثال الفرق الدلالي في كلمة واحدة مرة مستعملة مع مورفيم الكسرة، والاخـري مع مورفيم الفتحة. ومثل ذلك للدلالة علي المبالغة في المعني، ما بينه ابن جنـي من وظيفة دلالية لوجود (الهاء) في الصفات التي يتفق فيها المـذكر والمؤنـث، وتنبيهه علي أن هذه (الهاء) ليست مورفيماً لتانيث الصفة لتوافق الموصوف، والاّ ما استطعنا أن نصف المذكر بهذه الصفة. وانّما هي مورفيم مستعمل لمعني آخر، وهو الدلالة علي المبالغة في الصفة، سواء أكان الموصوف مذكراً أو مؤنثاً. فهو

---

[1] - البقرة : 286.
[2] - الخصائص: 224/1.
3 الفرقان : 67
4 أنظر : المحتسب : 2 / 152 "النكت والعيون - (ج 3 / ص 2.8)
والفرق بين القَوام بالفتح والقِوام بالكسر ، ما قاله ثعلب : أنه بالفتح الاستقامة والعدل ، وبالكسر ما يدوم عليه الأمر ويستقر ." "معاني القرآن - (ج 5 / ص 49) "أدب الكتاب لابن قتيبة - (ج 1 / ص 66)
و " القَوَام " العَدْل، قال الله عزّ وجلّ:)وكانَ بَيْنَ ذلكَ قَواماً(و " قَوام الرجل " قامته، و " القِوام " - بكسر القاف - ما أقامَكَ من الرزق، ويقال " أصبت قِوَاماً من عيش " و " ما قِوَامي إلا بكذا "
فالقوام بالفتح الاستقامة والعدل كما قال لبيد : واحب المجامل أو بالجزيل وصرمه باق إذا ضلعت وزاغ قوامها

يعطي لمورفيم " الهاء " ، قيمة صرفية دلالية في نحو قولنا: رجل نسابة وامـراة نسابة، ورجل علاّمة وامراة علاّمة، ورجل فروقة وامراة فروقة "([1]).

ومن ملاحظاته الدقيقة في الدلالة الصرفية أيضاً ما أشـار اليـه مـن أن مورفيم "الألف والتاء " في جمع المؤنث السالم يدل علي القلة، وذلك في توجيهـه لقراءة طلحة: " فالصوالح قوانت حوافظ للغيب"([2]). حيث يقول: " التكـسير هنـا أشبه بالمعني، وذلك أنّه إنّما يراد هنا معني الكثرة، لاصالحات من الـثلاث إلـي العشرة، ولفظ الكثرة أشبه بمعني الكثرة من لفظ القلة بمعني الكثرة، والألف والتاء موضوعتان للقلة "([3]).

وعليه يفضل ابن جني استعمال جمع التكسير للدلالة علي الكثرة، لا جمـع المؤنث السالم؛ لأن مورفيم "الألف والتاء " فيه يقال من دلالته العددية، إذ تدل في نظره علي الأعداد من 3 -1. غالباً.

وهكذا ندرك أن للصيغ الصرفية باوزانها وحركاتها لهـا دلالات وظيفيـة تنبع من تغير المورفيمات في داخل البنية الصرفية. وقد تنبه المحدثون مؤخراً إلي الدلالة الصرفية، وذكروا أنّها تستمد من الصيغ الصرفية([4]).

- 1 أنظر الخصائص : 2.3/2.

2- النساء : 34 ، وقراءة الجماعة : " فالصالحات قانتات حافظات للغيب "

3- المحتسب : 1 / 187 ." خزانة الأدب - (ج 3 / ص 143)

وكذلك قول ابن جني في المحتسب عند قراءة طلحة من سورة النساء: " صوالح قوانت حوافظ للغيب " . قال أبو الفتح: التكسير هنا أشبه لفظاً بالمعنى، وذلك أنه إنما يراد هنا معنى الكثرة لا صالحات من الثلاث إلى العشر.
ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلة بمعنى الكثرة، والألف والتاء موضوعتان للقلة، فهما على حد التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كانوا على حد الزيدان.
هذا موجب اللغة على أوضاعها، غير أنه قد جاء لفظ الصحة والمعنى الكثرة كقوله تعالى: " إن المسلمين والمسلمات " . إلى قوله: " والذاكرين الله كثيراً والذاكرات " والغرض في جميعه الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة، وكان أبو علي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله:

لنا الجفنات الغر..........البيت

قال له النابغة: لقد قللت جفانك وسيوفك! قال أبو علي: هذا خبر مجهول لا أصل له، لأن الله تعالى يقول: " وهم في الغرفات آمنون " ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر."

4 إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ : 47

3- الدلالة النحوية:

هي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كـل منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة، حيث كل كلمة في التركيب لا بد أن يكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها.

واذا كان تشومسكي "Chomsky" يرى أن معني الجملة يمكن فهمه مـن خلال العلاقات فيها([1])، فإن ابن جني قد أدرك هذه الفكرة بجـلاء فـي وظيفـة الإعراب الدلالية.

والإعراب كما هو معروف مظهر لفظي خارجي للعلاقات الداخلية المعنوية في التركيب النحوي، يقول ابن جني في شأن الإعراب: "هو الابانة عن المعـاني بالالفاظ، الا ترى أنّك اذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكـلام شـرجاً([2]) واحـداً لاستبهم أحدهما عن صاحبه "([3]).

وقد قدم ابن جني في المحتسب نظرات قيمة في الدلالـة النحويـة، ففـي توجيهه لقراءة يزيد البربري للاية الكريم: ((وعلّم آدم الاسماء كلهـا))([4]). يقـدم دراسة لنظام الجملة في العربية، وما يكمن من وراء تغيير هذا النظام من دلالات وظيفية أو معنوية، فيقول: "ينبغي أن يُعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصـل وضـع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، ك"ضرب زيد عمراً"، فإذا عنـاهم ذكـر المفعول قدموه علي الفاعل، ك"ضرب عمراً زيد"، فإن أزدادت عنايتهم به، قدموه علي أنّه ربُ الجملة، وتجاوزوا حد كونه فضلة، ثم زادوا علي هذه الرتبة، فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونونوه ولم ينصبوه علي ظاهر أمره، رغبة به عن صورة الفضلة، وتحامياً لنصبه الدال علي كون غيره صاحب الجملة، ثم أنّهم لم يرضوا بهذه المنزلة، حتي صاغوا الفعل له، وبنوه علي أنّه مخصوص، وألغوا

---

1 د. عبده الراجحي . النحو العربي والدرس الحديث . مطبعة دار نشر الثقافة ، 1977 ، ص : 142

2 شرجا : نوعا

3 الخصائص : 1 / 36

4 البقرة : 31 " المحرر الوجيز - (ج 1 / ص 53)

قرأ اليماني : » وعُلّم « بضم العين على بناء الفعل للمفعول ، » آدمُ « مرفوعاً .

قال أبو الفتح : » هي قراءة يزيد البربري"

ذكر الفاعل مُظهراً أو مُضمراً، فقالوا: ضُرب عمرو، فاطرح ذكر الفاعل البتـة. نعم وأسندوا بعض الافعال الي المفعول دون الفاعل البته وهـو قـولهم: أولعـتُ بالشئ، ولا يقولون أولعني به كذا، وقالوا: ثُلِج فؤاد الرجل، ولم يقولوا: ثلجه كذا، وامتقع لونه، ولم يقولوا: امتقعه كذا. وهذا كله يدل علي شدة عنـايتهم بالفـضلة، وإنّما كانت كذلك؛ لأنّها تجلو الجملة وتجعلها تابعة المعني لها. فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتي ألغوا حديث الفاعل معها وبنوا الفعل لمفعوله، فقـالوا: ضُرب زيد، حسُن قوله تعالي: ((وعُلّم آدم الاسماء كلها)) لما كان فيه، أنّـه قـد عرفها وعلمها، وأنس ايضاً علم المخاطبين بأن ا تعالي هو الذي علّمـه إياهـا بقراءة من قرأ:((وعُلّم آدمُ الاسماء كلها))([1]).

وهكذا يحدد ابن جني نظام الجملة، وما يصيبها من تغيرات لتؤدي المعني المقصود، والدلالة الدقيقة، حتي أن الفضلة تُقدّم علي باقي عناصر الجملة، وتقـام علامات جديدة فيما بينها، فيحذف الفاعل – أحياناً – والقصد من وراء ذلك كلـه، الوصول إلي الامر الاهم، وبيان أن المعني في هذا الوضع مثلاً أكثر وضوحاً من غيره. كل ذلك بفضل السياق اللغوي الذي يتيح للمرء أن يقدم ويؤخر ويحذف تبعاً للدلالة التي يريدها.

4- الدلالة المعجمية: Lexical seman ticity

المعجم جزء من اللغة في منظورها العام، ومحتوياته هي مخـزون الأمـة الثقافي والحضاري والاجتماعي، عندما تلح الحاجة الي مراجعة أوراقه طلباً لدلالة معينة، صوتياً أو صرفياً أو نحوياً. وبناء علي ذلك، فإن الكلمة داخل المعجـم، أو القاموس لها عدة معاني لبيان الدلالة، ويـسمي بـالمعني المعجمـي" meaning lexical "وحين تدخل الكلمة السياق التركيبي، فإنّها تُحدد بمعني واحـد، وذلـك بفضل القرائن المقالية، فضلاً عن ارتباط كل سياق بمقام معـين، تحـدد ابعـاده القرائن المتوافرة في النص([2]).

1 سورة البقرة : 31
2 د . عبد القادر عبد الجليل .الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية. دار صفاء ، عمان ، ط1 ، 2..2 ، 1422 ، ص : 531

فالمتكلم اذن هو الذي يحول الوحدات اللغوية من داخل المعجم الي الفـاظ ذات قيم دلالية محددة، ومعلومة عن طريق السياق، حيث يعتبر المسئول المباشر عن توظيف الدلالة المحددة حتي تكون مفهومة، ومدركة من قبل المتلقـي داخـل بيئة النص .

فالكلمة داخل المعجم في حالة موات حتي يمنحها السياق الماء الذي تحـي به؛ لذا فالكلمة داخل المعجم صالحة للدخول في سياقات متعددة، ونضرب لـ ذلك مثلاً بالفعل " ضرب "

ضرب – عاقب

ضرب موعداً – حدد

ضرب لنا مثلاً([1])- أورد

ضرب - ذكر

ضرب في الارض – سعي

ضرب له – اقام

ضرب العملة – سكها

ضرب أسداساً في أخماس – تأسف

ضرب رقماً بآخر – حسب

ونعضد هذه الفكرة بمثال آخر هو الفعل " أطلق "

- أطلق لحيته
- أطلق يده فى الامر
- أطلق لسانه
- أطلق عليه اسماً
- أطلق ساقية للريح
- اطلق له العنان
- أطلق عليه الرصاص

[1] - تفسير الألوسي - (ج 17 / ص 41)
وضرب لنا مثلاً أي أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر هي في الغرابة كالمثل

- أطلق سراحه

وعلي هذا فدراسة الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، ومعني الكلمة علي هذا يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، "إن المعني داخل المعجم ليس شكلاً فردياً بعيداً عن حياة المجتمع وعرفيته، فالعُرف – كما هو معلوم – ملك للمجتمع وليس للفرد فيه اية قوة تستطيع تحويل اتجاهه، والسياق مطية العرف، وهو الذي يمنح الكلمة جواز سفرها داخل منظومته، وعلي أساسه يتم التواصل والإدراك بين أفراده.

5- الدلالة الاشارية:

ليست الألفاظ هي النظام الوحيد الذي يستعمله الأنسان لتلقي أفكار الاخرين ومشاعرهم، أو نقلها اليهم، فهناك وسائل أخري غير لفظية وهي كثيرة، تقوم بوظيفة التواصل، ومن أبرزها الاشارات والحركات الجسمية، التي تصاحب الكلام. وكما أن الكلام يرتبط باللفظ، فهوكذلك يرتبط بالاشارة والحركة ولا يتم بمعزل عنها، فهي جزء من السياق العام الذي يرد فيه الكلام فنحن اذا أردنا أن نتواصل مع غيرنا فليس هنالك سوى وسيلتين لاتمام هذا التواصل: أحداهما لفظية، والاخري غير لفظية.

وأن المتأمل لعملية التواصل يري بشكل واضح مدي الترابط الوثيق بين هاتين الوسيلتين، فالمتكلم إذا نطق متوعداً أو مهدداً، لا يقف بلا حراك، وإنما يصحب كلامه حركات، كأن يقطّب ما بين حاجبيه، ويضم اصبعه السبابة مع الابهام في شكل دائرة، ويلوح بيده في الهواء ... وإذا نطق متعجباً أو مندهشاً، قلّب كفيه ويومئ ويلمح برأسه موافقاً أو رافضاً، ويفتح ويزم شفتيه حزناً، وفرحاً، ويرمز ويغمز بعينيه حباً وفرحاً.

وقد تعجز الكلمات أحياناً عن أداء دورها في التبليغ، فتأتي الاشارة بجبر هذا النقص، وفي أحيان أخري كثيرة تنوب الاشارة في الدلالة عن الكلمات، وتقوم بدور ربما يكون أبلغ منها، ولهذا قيل: "رب اشارة أبلغ من عبارة" "ورب لحظ أتم من لفظ "، إذ غالباً ماتكون الاشارة صادقة، لا خداع فيها ولا تضليل، فمن أخفى مشاعره بالكلمات فضحته الاشارات، "والصب تفضحه عيونه "

وهذا النظام المرئي الذي يصاحب النظام الصوتي، هـو مـا أصـبح الان يعرف ب " علم الحركة الجسمية " أو علـم الكينـات " أو " الـسيمولوجيا " أو " السيميائيات " أو غيرها من المسميات الاسلوبية الحديثة([1]).

والاشارة لغة لا تخرج عن معاني: عرض الشئ واظهاره، والايماء اليه، وهي دلالة ظاهرة سطحية، ولهذا قالوا: رجل حسن الشارة، وفلان صـير شـير: حسن الصورة والشارة([2]) ويقترب المعني من الاصطلاح البلاغي، وبنـاء عليـه يظهر مصطلح الاشارة الذي يدل علي الكلام، قالت العرب: أشار الرجل، يـشير اشارة، إذا أومأ بيديه، وشور اليه بيده: أشار، وفي الحديث، أنّه صـلي ا عليـه وسلم: " كان يشير في الصلاة"، أي: يومئ باليد أو الـرأس، أي: يـأمر وينهـي بالاشارة([3]). وفي القران الكريم: ((فأشارت اليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيا))([4]). "ويروي أنّها لما أشارت الي الطفل، قالوا: استخفافها بنا أشد علينا من زناها، ثم قالوا علي جهة التقرير: كيف نكلّم من كان في المهد صبيا "([5]) ويقـول الزمخشري: " الاشارة بمنزلة الكلام، وتفهم ما يفهم القول، وكيف لا ؟ وقد أخبـر ا تعالي عن مريم، فقال: " فأشارت اليه، وفهم القوم مقصودها وغرضها، فقالوا : كيف نكلّم ... " ([6]).

لقد فطن البلاغيون إلي ظاهرة الاشارة، ويعد الجاحظ أول مـن لفـت الأنظار اليها، وحدد حدودها وفصل أنواعها من خلال ادراكه العميـق لوسـائل البيان التي عددها في خمس وسائل في قوله: " وجميع أصناف الـدلالات علـي المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها: اللفـظ، ثـم

---

1 د . فاطمة محمد محجوب . دراسات في علم اللغة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص : 159 – 185

2 أنظر لسان العرب ، القاموس المحيط ، وأساس البلاغة ، مادة " شور " " أساس البلاغة - (ج 1 / ص 251)
ورجل حسن الشاره، حلو الإشاره. وفلان صير شير: حسن الصورة والشارة. وأومأ إليه بالمشيرة وهي السبابة"

3 الصحاح للجوهرى ، مادة " شور " "سنن أبي داود - (ج 3 / ص 128)
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُشِيرُ فِي الصَّلَاةِ"

4 - سورة مريم : 29.

5 ابي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي . الجامع لاحكام القران ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1941 ، 11 / 1.2 ، 136.

6 الزمخشري . الكشاف ، دار التراث العربي ، ط1 ، 1 / 361

الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمي نصبه"([1]). ومن خـلال ترتيـب الجاحظ لوسائل البيان، نلحظ أنّه يقدم اللفظ علي غيره من بقية الوسائل الأخـري، المعينة علي تصوير الدلالة المرادة، ثم يذكر الاشارة فى المرتبة الثانية ، ويقول: "والاشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ"([2])." ويقدم الاشارة من ناحية فيقول:"هذا ومبلغُ الإشارة أبعـدُ من مبلغ الصوت".

ويري علم الحركة الجسمية الحديث، أن الحركة من هذا النوع تحددها عادة ثقافة الشعب وتقاليده؛ ومن ثم فإن فهم دلالاتها يكون قاصراً علي شعب أوشعوب بعينها([3]).

وفي الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجـوارح مرفـق كبيـر ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض؛ يخفونها من الجـليس، قال الشاعر([4]):

أشارتْ بطَرفِ العين خِيفةَ أهلِها ... إشارةَ مذْعورٍ ولم تتكلمِ

فأيقنْتُ أن الطرفَ قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيمِ

وقال الآخر: من الهزج

وللقلب على القلب ... دليلٌ حين يلقاهُ

وفي الناسِ من الناس ... مقاييسُ وأشباهُ

وفي العين غنى للمر ... ءِ أن تنطقَ أفواهُ

وقال آخر:([5])

فالعين تنطق والافواه صامتة   حتي تري من ضمير القلب تبيانا

ويرد الجاحظ علي من يري " الإشارة " نوعاً من العجز عن امتلاك ناصية الالفاظ، وعيباً وخروجاً عن دائرة البيان الراقي، فيشير إلي رأي إبي شمر– أحـد

---

1 الجاحظ . الحيوان ، تحقيق : فوزي عطوي ، بيروت ، 1982 ، ط1 ، 1 / 39 . أنظر : البيان والتبيين : 1 /77

2 الجاحظ .البيان و التبيين: 23/1.

" البيان والتبيين - (ج 1 / ص 24)

4 البيان والتبيين : 1 / 79

5 البيان والتبيين : 1 / 79

أئمة القدرية الذي كان يعارض استعمال المتكلم للاشارة ويتهم مستعملها بـ العجز عن التعبير، فيقول: " وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلب عينيه، ولم يحرك رأسه، حتي كأن كلامه يخرج من صدغ صخرة، وكان يقـضي علي صاحب الإشارة بالإفتقار عن بلوغ إرادته، وكان يقول: ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتي كلمه إبراهيم ابن سيار النظام عند أيوب بن جعفـر، فأضطره بالحجة، وبالزيادة في المسألة حتي حرك يديه، وحلّ حبوته،([1]) وحبا إليه حتي أخذ بيديه"([2]).

والإشارة في أغلب الأحيان توظف حسب ما يقتضيه المقام وينـسجم مـع السياق. ومن ذلك ما رُوي عنه صلي ا عليه وسلم، أن أمرأة كانت ترضع ابنـا لها من بني اسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم أجعل ابني مثله، فترك ثديها، وأقبل علي الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل علي ثـديها يمصه، قال أبو هريرة: كأنّي أنظر الي الرسول صلي ا عليـه وسـلم يمـص اصبعه([3]).

فالرسول هنا يوظف الاشارة الجسمية حسب ما يقتضيه المقام مع طبيعـة السياق، حتى يوضح الرؤية كاملة أمام المتلقي في لوحة فنية محسوسة.

والدلالة الجسمية أو الاشارية في القرآن الكريم تتمتع بميزة خاصة، وهـي أنّهـا يمكن أن تفهم من السياق، أو من اللفظ الدال عليها، أو من لفظ يسبقها أو يعقبهـا، ليشرحها، وذلك مما يسهل فهمها علي من ينتمون الي مجتمع له نظـام حركـي مغاير. فمثلاً نجد في الاية الكريمة، قوله تعالى: ((وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ))([4])، أنّه أي: القرآن يعقب وصف الحركة، وهو عض الأنامل، شـرح لمعناها، وهي أنّها تؤدي معني الغيظ. كذلك نجد في الآية الكريمة: ((وإذا أنعمنـا علي الإنسان أعرض ونأي بجانبه))([5])، أن كلمة "أعرض" تسبق وصف الحركة،

---

[1] - " تفسير الطبري - (ج 9 / ص 4.1)
"الحبوة" (بضم الحاء وفتحها ، وسكون الباء): الثوب الذي يحتبى به. و"الاحتباء": أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشده عليها. وقد يكون"الاحتباء" باليدين عوض الثوب."

2 البيان والتبيين : 1 / 91.

3 البخارى : 3 / 1268

4 سورة ال عمران : 119

5 سورة الاسراء : 83

وبذاك يتحدد معناها، إذ قد يكون للنأي بالجانب معني مغاير في مجتمع له نظـام حركي مختلف ... ومثل هذا الشرح له أهميته خاصة اللغة التي يتعلمهـا النـاس عادة، فالمسلمون من غير الناطقين بالضاد، كانوا ومـا زالـوا يتعلمـون اللغـة العربية، ومن ثم فإنهم يستطيعون فهم القرآن. ومن هنا تجئ أهمية توضيح القرآن الكـــريم للحركـــات الجـــسمية التـــي وردت بـــه([1]).

إذن النص اللغوى قد يعتريه احتمال، فلا يعرف المراد منه علـي وجـه الدقـة والإحكام دون الابهام، والسبيل الى معرفة وجهه ودلالته هو القرينة، والقرينة إما لفظ مكشوف، واما إحالة إلي دليل العقل، وإما قرائن أحوال وإشـارات ورمـوز وحركات لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بدركها المشاهد لها. ومن هذه القرائن حركات الجوارح المعبرة بلغة الجسم؛ لذا يجـب أن نـسلّم بـأن حركـة المتكلم، وأخلاقه، وعاداته، وتغيير لونه، وتقطيب وجهه وجبينه، وحركة رأسـه وتغليب عينيه، تابع للفظه([2]). وهذا الضرب من المحددات االدلالية أو القرائن في الدرس اللغوي الاجتماعي، هو حديث عن لغة تواصيلية معجمهـا يـستقى مـن الشمائل وتعابير الوجه وحركات الجوارح في سياقها التي تقع فيه.

---

1 فاطمة محجوب . دراسات في علم اللغة : 2.4 ، أنظر : د . السيد عبد السميع حسونة . دور الاشارة في التوضيح
والبيان في ضوء الحديث النبوي . مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية ، العدد ، 24 ، شوال : 1423 ، ديسمبر : 2..2 ، الامارات العربية المتحدة ، دبي .

[2] الدرس اللغوي الاجتماعي عند الامام الغزالي : 34. – 341

المبحث الثانى

توظيف السياق في درس التضاد

مدخل:

إذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ متعددة علي النحـو الـذي نـراه فـي الأضداد والاشتراك والترادف؛ فإن اللغويين أشاروا إلي أن ذلك التعدد لا يكون إلا خارج السياق، أما في السياق فإن الدلالة واحدة، قال ابن الانبـاري: " إن كـلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله باخره، ولا يعرف معني الخطاب منـه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة علي المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل علي خصوصية أحد المعنيين دون الأخـر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معني واحداً"([1]) .

وإذا كان هذا قوله في اللفظ من الأضداد فإنّه قد عمم حكمـه فـي اللفـظ ذي المعني المتعدد([2])، أياً كانت جهة تعدده، قال: "ومجري حروف الأضداد، مجـري الحروف التي تقع علي المعاني المختلفة، وان لم تكن مضادة، فلا يُعرف المعنـي المقصود منها إلاّ بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله"([3]).

وإذا كان الاستعمال حال التكلم والإخبار يحدد دلالة اللفظ بالسياق الذي يـرد فيه، فإنّه فيه إشارة واضحة لسياق النص الذي يحدد الدلالة في المتعدد.

وإذا كان هذا شأن العلماء القدماء في الاهتمام بالتركيب لكون الكـلام يـصحح بعضه بعضاً علي حد قول ابن الانباري([4])، أو لكون المعني واحداً في التركيـب بدلالة السياق علي حد قول ابن عصفور([5])، وبعبارة أخري اهتمامهم بالتركيـب باعتباره كاشفاً عن المعني علي نحو سياقي، فإن لهذاالاهتمام نواح عـدة تكـشف عنها هذه الدراسة في صفحاتها القادمة، اذ تقوم الدراسة بتوظيف السياق للكـشف عن دلالة الالفاظ المتضادة التى حيرت اللغويين وكذا الفاظ المـشترك والالفـاظ

---

[1] ابن الانبارى . الأضداد ، ص : 2

[2] نفس المصدر : 2- 3

[3] الحرف : يعنىي : الكلمة ، وهو مصطلح يشيع استخدامه عند القراء أكثر من اللغويين فيقولون مثلا حرف أبي عمرو بن العلاء يعنون قراءته

3- ابن الانبارى . الأضداد . 2- 3 – 4

-4 ابن الانبارى . الأضداد . 2- 3 – 4

5-ابن عصفور . شرح جمل الزجاجي . 89/1

المترادفة والتعابير الاصطلاحية والسياقية التى كثر الحديث عنها وذلك لحسم هذا الجدل الذى طال أمده باتخاذ السياق وسيلة لتفسير هذه الالفاظ .

أولاً: تعريف التضاد

الأضداد مصطلح أطلقه اللغويون العرب علي الألفاظ التـي تنـصرف إلـي معنيين متضادين، وهي لغة: جمع ضد، وهو النقيض والمقابل.

قال أبو الطيب اللغوي: "الأضداد جمع ضد، وضد كل شئ ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، وليس كل ما خالف الشئ ضد له، الا تـري أن القـوة والجهل مختلفان وليسا ضدين إنما ضد القوة الـضعف، وضـد الجهـل العلـم. فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كـل مختلفـين ضدين"([1]).

ويقول ابن الانباري في مقدمة كتابه الأضداد: "هذا كتاب ذكـر الحـروف التي يوقعها العرب علي المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين"([2]) مثل كلمة (الجون) تطلق علي الأسود والأبيض، و(الجلل) تطلق علي الحقير والعظيم.

وقد كانت (الاضداد وما زالت – بهذا المعني ، مراداً للقول عند البـاحثين، وموضعاً للجدل عند العلماء والدارسين، فمنهم من قال بإمكان وقوعها، ومنهم من أنكرها إنكاراً عنيفاً. إلاّ أن الدراسة ترى أن هذا الضرب من الألفاظ يـدل علـي عبقرية اللغة في إعطاء الألفاظ الواحدة وجوها مختلفة من المعاني تفهـم بـسياق العبارة ومناسبة الكلام.

حقيقة الأضداد:

اختلف علماء اللغة بصدد ورود التضاد في اللغة إلي فريقين :

---

[1] أبو الطيب اللغوي . الأضداد ، ص : 18 . وانظر المزهر : 399/1 ، والزبيدى ، السيد مرتضي الحسين . تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : د . عبد العزيز مطر . مطبعة الحكومة الكويتية ، 197. ج8 ، ص : 31.

[2] - ابن الانبارى . الأضداد ، ص : 1

الفريق الأول: يري عدم وجود التضاد في اللغة، وسعي جاهداً إلي تأويل أمثلتـه تأويلاً يخرجها من الباب، ومن هؤلاء ابن درستويه، وقد ألف كتاباً في ذلك سماه إبطال الأضداد أو جحد الأضداد([1]).

كما ذكر ابن سيدة أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشئ وضدده([2])، وفي ذلك يقول: " قال أبو العباس أحمـد ابـن يحي: ليس في كلام العرب ضد، لأنّه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا"([3]).

وحجة هذا الفريق أن اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، واللفظة الواحـدة إذا اعتورها معنيان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المتكلم وفي ذلك إبهام وتعمية.([4])

الفريق الثاني: ويري كثرة وروده في اللغة، وضرب له كماً هائلاً من الأمثلة([5])، ومن هؤلاء: ابن الانباري، والخليل، وسيبويه، وابن فارس، والمبرد، والسيوطي، وابن السكيت([6])، غير أنّهم اختلفوا في طريقة الورود ذاتها إلي ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: ويري أن التضاد موجود في اللغة، سواء كان من واضع واحد أو أكثر، مع ملاحظة أن اللفظ موضوع في الأصل لمعني واحد، ثم تداخل مع المعني الأخر علي جهة الاتساع. وهذا مبني علي رجوع المعنيين الضدين لأصل اشتقاقي واحد، فمن ذلك "الصريم"، لليل والنهار، لأن الليل ينصرم من النهـار، والنهـار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع([7]).

المذهب الثاني: هو مذهب ابن دريد، ويقول إن التضاد موجـود، بـشرط أن يكون من واضع واحد، وأن يكون استعمال اللفظ فـي المعنيـين فـي لهجـة واحدة([8]).

المذهب الثالث: ويرى أن التضاد واقع من أكثر من واضـع واحـد، بـسبب اختلاف اللهجات. والحق أن الرأي الأكثر إنصافاً, والجدير بالاعتبـارهو الـرأي

---

[1]- انظر المزهر : 4.1/1 ، والأضداد لابن الانبارى ، ص : 8

[2] المخصص : 13 / 259

[3] ابن فارس . الصاحبي في فقه اللغة ، الحاشية ، رقم " 1 " ، ص : 117

[4] انظر : بغية الوعاة ، 279 – 28. ، والصاحبي في فقه اللغة ، ص : 117 ، الحاشية رقم "1"

[5] انظر المخصص : 13 / 258 – 259 ، وفقه اللغة للثعالبي ، ص : 328 ، والمزهر : 1 / 186 – 194

[6] السيوطي . المزهر : 1 / 397 ، وابن الانبارى . الأضداد : 2 ، 3

[7] د . هلال . علم اللغة ، ص : 319

[8]

القائل بثبوت التضاد في اللغة, لكنه ليس كثيراً بالصورة التي ذهب إليها بعـض العلماء.

توظيف السياق في درس التضاد:

إن إنكار التضاد جملةً من قبل بعض العلمـاء بحجـة الإبهـام والتعميـة والتغطية، يكتنفه نوع من عدم الدقة في تنـاول هـذه الظـاهرة اللغويـة، إذ إن التخلص من هذا الإلباس وهذه التعمية ممكن معالجته عن طريق سياق اللفظـة في التركيب. وحتى ابن درستويه الذي أنكره استدرك ولم يكن بوسعه أن ينكـره إنكاراً تاماً، حيث قال: "وقد يجئ الشئ النادر منه لعلل"([1]). وهذا إقـرار منـه يضعف من حجته، لأن اعترافه بوجوده ولو في ندرة يوقعه في التناقض.

وقد قام ابن الانباري بتوظيف السياق توظيفاً سليماً في توضيح التضاد حيـث يقول: "إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً, ويرتبط أوله بآخره ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجـاز وقـوع اللفظـة علـى المعنيين المتضادين؛ لأنّها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل علـى خـصوصية أحـد المعنيين دون الأخر، ولا يراد لها في حال التكلم والإخبار الاّ معنى واحداً"([2]). ثم ضرب لذلك الأمثلة وساق الشواهد الشعرية والقرانية، وعلّق عليها وبين أن سياق اللفظة هو الذي يحدد معناها ويفرده عما سواها ويخصصه للسامع. وهـو بهـذا يعتبر أول من فسر التضاد بالسياق، فاتضح لكثير من الباحثين المحدثين العـرب والغربيين على السواء، هذا الباب فراحوا يفسرون الأضداد بالسياق.

توظيف السياق في تفسير التضاد في القرآن الكريم :

وجدتْ في القرآن الكريم ألفاظاً لاشك في أنّها من الأضداد. ومـن تلـك الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم بمعنيين ضدين لفظـة (الظـن) فقـد وردتْ بمعنى التوهم والشك، وبمعنى اليقين والعلم.

فالنوع الأول ورد في قوله تعالى: ((يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيراً مـن الظن إن بعض الظن إثم))([3])، وقال تعالى: ((إن يتبعون إلاّ الظـن وإن هـم إلاّ

---

[1] المزهر في اللغة ، 1 / 396 ،
[2] الأضداد : 2 – 3 ، والمزهر : 1 / 369 – 378
[3] الحجرات : 12

يخرصون))([1]). لذلك كان هذا الضرب من الظن المبني على التوهم والتخمين والحدس والخرص مقابلاً للعلم واليقين الذي ورد فى قوله تعالى: ((الذين يظنون أنّهم ملاقوا ربهم وأنّهم إليه راجعون))([2]). والدليل على أن القرآن الكريم استعمل (الظن) هنا بمعنى العلم واليقين هو السياق، إذ أن السياق قد دل أنهم ذُكروا في مقام المدح لهم، ولو لم يكونوا على يقين بملاقاة ربهم، والرجوع إليه في اليوم الأخر لما استحقوا المدح، بل استحقوا بدل ذلك الذم. ومما يدل على أن سياق الاية يشعر بالمدح قوله تعالى قبل ذلك مباشرة: ((واستعينوا بالصبر والصلاة وإنّها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين))([3]). فإن وصفهم بالخشوع يدل على ما بيناه. ومن هذا القبيل قوله تعالى على لسان المؤمن: ((إنّي ظننتُ أنّي ملاقٍ حسابيه)([4]). يدل عليه سياق الاية قبل ذلك وبعده فقد قال سبحانه وتعالى: ((فأما من أُوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤوم اقرءوا كتابية))([5])، فبين أنّه من المؤمنين لأنّه أُؤتي كتاب أعماله بيمينه. كما بين ذلك بعدئذ في السياق حيث قال: ((فهو في عيشةٍ راضيةٍ في جنةٍ عالية قطوفها دانية، كُلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)) ([6]) . ومن الكلمات التي تنسب إلى هذه الظاهرة لفظة (أسر) فقد تكون بمعنى (كتم) وبمعنى (أظهر). قال تعالى: ((واسروا الندامة لما رأوا العذاب))([7]) ويبدو من السياق أن معنى (اسروا) هنا (كتموا). ومما ورد فيه بمعنى (اظهر)([8])، قول الشاعر([9]) :

ولما رأى الحجاج جرد سيفه أسر الحروري الذي كان اضمرا

فلفظة (أسر) في البيت اتضح من السياق أنّها بمعنى (اظهر).

---

4 الإنعام : 116
[2] البقرة : 46
[3] الحاقة : 5
[4] الحاقة : 5
[5] الحاقة : 19
[6] الحاقة : 24
[7]54-انظر تفسير الطبرى:291/15.
[8] ابن الأنبارى ، الأضداد ، ص : 46
[9] البيت للفرزدق ، وليس في ديوانه ، انظر :تاج العروس 3 / 265 وحروراء موضع والحروريون قوم اولو بئس شديد
وهم الخوارج قال الشاعر : فقلت الحروريون من قد علمتهم حماة كماة يضربون الهواديا

المبحث الثالث

توظيف السياق في درس الترادف

الترادف في اللغة: (تتابع شئ خلف شئ ، وترادف الشئ : تبـع بعـضه بعضاً، والترادف: التتابع)([1]).

وفي الاصطلاح: "هو الألفاظ المفردة الدالة علي شئ واحد باعتبـار واحـد"([2]). ويقول التهاوني: " وعند أهل العربية والأصول هو توارد لفظين أو ألفاظ كثيـرة في الدلالة علي الانفراد أو بحسب أصل الوضع علي معنـي واحـد مـن جهـة واحدة"([3]).

ومن المعاصرين ، يقول الانجليزي اولمان (olman): "المترادفات: ألفـاظ متحدة المعني وقابلة للتبادل في ما بينها في أي سياق"([4]).

حقيقة الترادف قديماً وحديثاً :

الترادف قديماً وحديثاً كان مجال أخذ ورد من قبل اللغويين، مـا بـين منكر له ومؤيد، وقد انقسم العلماء إزاء حقيقته ووقوعه في اللغة إلي فريقين:

الفريق الأول: وقف ضد وقوعه في اللغة فأنكره إنكاراً تاماً وزعم إن كل ما يظن انه من الترادف فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات.

ويبدو أن أرسطو كان أول المنكرين له ويتلخص قوله في انه مهما اقترنت كل كلمة بآخري للدلالة علي معني ، فان هناك فرقاً بينهما([5]).

كما ظهر الخلاف عليه في العربية ، فأنكره أبو العباس ثعلب بناء علي ما ورد في المخصص([6]).

---

[1] اللسان : مادة " ردف "

[2] السيوطي : المزهر . تحقيق : محمد أحمد جاد المولي ورفيقيه ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ص : 2 / 422

[3] ألتهاوني . كشاف اصطلاحات الفنون . 3 / 66

[4] دور الكلمة في اللغة : 98 ، وانظر : د . رمضان عبد التواب . فصول في فقه العربية . مكتبة الخانجى في القاهرة ، ص : 3.9

[5]- إبراهيم سلامة.بلاغة أرسطو بين العرب واليونان،ص:265،نقلاً عن الخطابة لأرسطو ،ص:198 - 199

[6] - ابن سيدة المخصص. مطبعة بولاق،مصر،132.،ص:259/13،ط1. وانظر:الفروق اللغوية،ص:65.

كما وقف أبو علي الفارسي وابن فارس معارضين لفكرة الترادف بين الألفاظ([1]). وأنكره فريق من الاصولين وعلي رأسهم الحكيم الترمذي ويبررون ذلك بحجتين:([2])

الأولي: أنّه يؤدي إلي الاختلاف في الفهم، فقد يعلم الإنسان لهذا المعني لفظاً ويعلم الأخر لفظاً أخر ومع تأدية اللفظين لمعني واحد لا يعلم كل واحد منهما أن لفظ الأخر يدل عليه، وحينئذ يتعزر التفاهم بينهما.

الثانية: أن الاسم المترادف يتضمن تعريف المعرف، وهذا خلاف الأصل.

ومن اللغويين المحدثين الذين أنكروا الترادف، اللغوي الغربى بلومفيلد bloom field: في قوله:"إذا اختلفت الصيغ صوتياً وجب اختلافها في المعنى"([3])، كما أنكره اللغوي الانجليزي فيرث firth([4]).

الفريق الثاني: وهو مذهب ابن فارس وابن درستويه وثعلب ،وقد ذهبوا إلي إنكار الترادف بالمعني الشايع من تساوي لفظين أو ألفاظ كثيرة لمعني واحد ، وقالوا إن كل لفظ من تلك الألفاظ يوجد فيه فرق معنوي لا يوجد في الأخر([5]).

ومن المستشرقين من أنكر الترادف كذلك مثل الألماني نولدكة([6]). وأما بالمر balmer فيقول: " إنّه لاتوجد مترادفات حقيقةً لأنّه لا توجد كلمتان لهما نفس المعني، أو متفقتان تماماً في معنييهما". وقد سبقه إلي هذا الرأي الأستاذ ترنشtrench 1778 – 1886م ([7]) . ويقول: تشارلز" اللفظتان المترادفتان تتقاربان كما يتقارب الشقيقان، ولكنهما لا تتماثلان تماثل الأصل والصورة"([8]).

1- انظر : المزهر : 1 / 4.5 ، ونزهة الألباء : 312

2- انظر : البلاغة الفنية ، مكتبة نهضة مصر ، 1375 – 1956 ، ص : 218

3 - دور الكلمة في اللغة . ترجمة كمال بشر ، ص : 11. . وانظر الدلالة اللغوية عند العرب ، ص : 96

4- دور الكلمة في اللغة ، ص : 123

5 ابن فارس . الصاحبي في فقه اللغة . تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط . عيسى البابي الحلبي ، 1977 ، ص : 114.- 116 .

6- أحمد أمين . فجر الإسلام ، ص : 54

7- الدلالة اللغوية عند العرب ، ص : 96 – 97

8- البلاغة الفنية ، ص : 214

توظيف السياق في درس الترادف :

أدرك بعض علماء اللغة القدماء ضرورة توظيف السياق في درس الترادف حتى يتضح، ومن هؤلاء: ابن فارس ([1])، وابن درستويه([2])، وابن الأعرابـي([3])، وأبو هلال العسكري([4]). حيث أكدوا عدم وجود تطابق دلالي كامل بين الألفـاظ . وبهذا استطاع هؤلاء اقتناص فكرة السياق وتوظيفها في الدرس الدلالي، فالـسياق يؤدي دوراً فعالاً في تحديد دلالة الكلمات المترادفة، وهو عين ما أسفر عنه البحث الدلالي الحديث والمعاصر. لذا يري اولمان، أنّه من المستحيل أن يكـون هنـاك ترادف تام بين الكلمات، فالسياق هو الذي يحدد ذلك، إذ يقول: " وبالجملة سـوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلاّ إنصاف أو أشباه مترادفات، وأنّه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد، أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها"([5]).

ويري الدكتور: محمود فهمي حجازي أن المحك في تحديد المعني الـدقيق للألفاظ المترادفة هو السياق، إذ يقول: " وأخيراً فإن الفيصل فـي تحديـد كـون الكلمتين مترادفتين كامن في السياق، فإذا أمكن انتزاع كلمة من جملة وإحلال كلمة أخري محلها دون تغيير في المعني، فالكلمتان مترادفتان"([6]) لذلك يعـد التـرادف عند أكثر اللغويين المعاصرين تقارباً دلالياً وليس مطابقة دلالية كاملة.

توظيف السياق في تحليل الترادف في القرآن الكريم:

شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن الكريم أن السياق هو الـذي يقـوم بتحديد دلالة اللفظة التي يُظن أنّها مترادفة مع غيرها، ومن ذلك لفظـة: الحلـم والرؤيا، فقد فسرت المعاجم أحد اللفظين بالآخر، وعند تدبر سياقهما في القـرآن الكريم، نجد أن لفظ "الحلم" يدل دائماً علـى الأضـغاث المـشوشة والهـواجس المختلطة كما في قوله تعالي: ((بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر،

1- الصاحبي في فقه اللغة ، 114 – 115
2- المزهر : 1 / 384 – 385
3- المزهر : 1 / 399 – 4..
4- الفروق في اللغة ، ص : 13
5- دور الكلمة في اللغة ، ص : 11.
6- المدخل إلي علم اللغة ، ص : 148 ، 16.

فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون))([1])، و قوله تعالى: ((بل قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتاؤيل الأحلام بعالمين))([2]).

أما الرؤيا الصادقة الواضحة، والإلهام القريب من الوحي، كما في قوله تعالى :((و ناديناه أن يا إبـراهيم قـد صـدقت الرؤيـا، إنـا كـذالك نجـزي المحسنين))([3]) ورؤيا سيدنا يوسف عليه السلام إذ يقول لـه أبـوه ((يـأبُني لا تقصص رأياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً، إن الشيطان للإنـسان عـدو مبـين))([4]).

وعندما نتابع سياقها في السورة نرى أن هذه الرؤيا صدقت وتحققت، فهي ليست أضغاث أحلام، قال تعالى: ((ورفع أبويه على العرش وخروا له سُـجداً، وقال يا أبتي هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً))([5]).
ورؤيا المصطفى عليه الصلاة والسلام في الإسراء: ((وما جعلنـا الرؤيـا التـي أريناك إلا فتنة للناس))([6])، ورأياه في الفتح: ((لقد صدق ا رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إنشاء ا آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون))([7]) وكلها تحققت.

ولعل ما يوضح أن السياق هو الفيصل في تحديد دلالة الكلمـة، وّأنـه حجر الزاوية في إيضاح دلالة المترادفات النظر، إلى الألفاظ الاتية الـواردة فـي السياق ألقرآني، فالألفاظ: افرغ، وصب، وسكب، وأفاض، مترادفات، تفسر معاجم اللغة بعضها ببعض، ولكنها على ترادفها ترى لكل منها موضـعاً لايـصح لـه غيرها. قال تعالى: ((ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين))([8])، وقال تعـالى: ((خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صُبو فوق رأسه من عذاب الحميم))([9]). وقال تعالى: ((وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فـصب

[1] الانبياء : 5
[2] يوسف : 44
[3] الصافات : 1.5
[4] يوسف : 5
[5] يوسف : 1..
[6] الإسراء : 6.
[7] الفتح : 27
[8] البقرة : 25.
[9] الدخان : 48

عليهم ربك سوت عذاب))([1]) .وقال تعالى: ((ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء))([2]) . وقال تعالى: ((وإذا سمعوا مـا ُأنـزل علـى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق))([3]). وقال تعـالى: ((ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا ورسوله، ما على المحسنين من سبيل، وا غفور رحـيم ولا علـى الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلتَ لااجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفـيض مـن الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون))([4]) .

فالملاحظ أن الكلمات المترادفة هذه لن تكون صالحه لتحل أحداها محـل الأخرى، فكانت كلمة " افرغ" بما فيها من لطف ويسر ولين هي الملائمة لـدعاء المؤمنين ربهم في إنزال الصبر عليهم، وكانت كلمة " صب" بما فيها مـن شـدة وعنف هي الملائمة لدفق الماء بعنف فوق رؤس الكافرين. وكانت كلمة "الفـيض" هي الملائمة لجريان الدمع وغلبته على العيون في حالتي الخشوع والدمع.

فالمترادفات ألفاظ تبدو فيها خاصية لغوية رائعـة هـي إظهـار الـوان المعاني وظلالها. وهذه الميزة تكاد تنفرد بها اللغة العربية([5]). وتظهر في كثير من الألفاظ الداله على الشئ منظوراً في مختلف درجاتـه، وأحوالـه، ومتفـاوت صوره وألوانه. فالظمأ، والصدى، والاوام، والهيام، كلمات تدل على العطش، إلاّ أن كلاً منها يصور درجة من درجاته. فإننّا نعطش إذا أحسسنا بحاجة إلي المـاء، ثم يشتد بنا العطش فنظمأ، ويشتد بنا الظمأ فنصدي ويشتد بنا الصدى فنئوم، ويشتد بنا الاوام فنهيم. فإذا قلنا إن فلاناً عطشان فقد أردنا أنّه بحاجة إلي جرعات مـن الماء، لا يضيره أن نبطأ عليه، أما إذا قلنا: إنّه هائم، فقد علم السامع أن الظما قد ابرح به حتى كاد يقتله([6]).

---

[1] الفجر:12
[2] الأعراف : 5.
[3] المائدة : 83
[4] التوبة : 92
[5] د . مازن المبارك . البلاغة وتذوق النص الأدبي . مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية . دولة الإمارات العربية المتحدة . ع 1. ، 1415 – 1995 ، ص : 2.5 – 2.6
[6] انظر : هلال . علم اللغة بين القديم والحديث ، ص : 58 – 59

المبحث الرابع

توظيف السياق في درس المشترك Homonymy

المشترك اللفظي هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة([1])، وذلك كلفظ (الخال) الذي يطلق على شقيق الأم، وعلى ألاكمة، وعلى الشامة في الوجه، وعلى السحاب، وعلى البعير الضخم، وكلفظ (الإنسان)الذي يطلق على الواحد من بني آدم وعلى ناظر العين، وعلى الانملة، وعلى حد السيف وعلى السهم، وعلى الأرض التي تزرع([2]).

حقيقة المشترك اللفظي:

اختلف علماء اللغة حول وقوع المشترك اللفظي في العربية بين التأييد والمعارضة. وقد أجاز وقوعه كل من الخليل وسيبويه، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وأبي عبيده، والمبرد، وابن جني، وابن فارس، والثعالبي والسيوطي([3])، بينما تزعم المعارضين والمنكرين له ابن درستويه([4]) حيث يقول: " لايكون فعل وأفعل بمعنى واحد إلاّ أن يجئ ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ...وإنّما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحداهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجئ الشئ من هذا لعلل، فيتوهم من لا يعرف العلل، أن اللفظ وضع لمعنيين، والسماع في ذلك صحيح عن العرب، وإنّما يجئ من لغتين، أو لحذف واختصار في الكلام، حتى اشتبه اللفظان وخفي ذلك على السامع فتأول فيه الخطأ"([5]).

---

[1] انظر : المزهر : 1 / 369 ، وفقه اللغة لعلى عبد الواحد وافى ، ص : 189 ، وفقه اللغة . صبحي الصالح ، ص : 2.2 ، علم الدلالة . فايز الداية ، ص : 78

[2] ابن فارس . الصاحبي في فقه اللغة ، ص : 269

[3] انظر : علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص : 189 – 19.

[4] المزهر : 1 / 185 ، وهو محمد بن عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي .
أخذ عن ابن قتيبة والمبرد ، وكان من كبار المحدثين . انظر : نزهة الألباء للانبارى . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ص : 283

[5] انظر : السيوطي : المزهر : 1 / 369

توظيف السياق في الدرس المشترك:

يري معظم علماء اللغة المحدثين أنّه ينبغي توظيف السياق في التركيـب حتى تتبين دلالة المشترك اللفظي، قال اولمان: "إن المشترك اللفظي لا وجود لـه في واقع الأمر، إلاّ في معجم لغة من اللغات، أمـا فـي نـصوص هـذه اللغـة واستعمالاتها فلا وجود إلاّ لمعني واحد من معاني هذا المشترك"([1])." فكثير مـن كلماتنا له أكثر من معني، غير أن المألوف هو استعمال معني واحد فقط، من هذه المعاني، في السياق المعين، فالفعل: (أدرك) مثلاً: إذا انتزع من مكانه في الـنظم يصبح غامضاً غير محدد المعني، هل معناه (لحق به)، أو (عاصره) أو أنّه يعني (رأي) أو (بلغ الحلم)، إن التركيب الحقيقي المنطوق بالفعل هو وحده الذي يمكنـه أن يجيب علي هذا السؤال، فإذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصـواتهما اتفاقاً تاماً، فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معني البتة دون السياق الـذي تقـع فيه([2]). وإلي مثل هذا أيضاً ذهب فندريس إذ يقول: "إننا حينما نقول بان لأحـدي الكلمات أكثر من معني واحد في وقت واحد، نكون ضحايا الانخداع إلي حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليهـا احـدي الكلمـات، إلا المعني الذي يعنيه سياق النص"([3]). فإنّه نفوذ السياق الذي يجعلنا نعطي كلمة (ما) بضعة معانٍ مختلفة دون خشية الخلط فنعتمد علي السياق الـذي يحـدد المعنـي المراد، ونستبعد المعاني الاخري من الذهن ...)([4]) وهذا السياق لا يقـوم علـي كلمة تنفرد وحدها في الذهن، وإنّما يقوم علي تركيب يوجد الارتباط بين أجـزاء الجملة، فيخلع علي اللفظ المعني المناسب.

توظيف السياق في درس المشترك في القران الكريم :

في الدرس القرآني نمازج شاهدة علي قيمة السياق في الدلالة علي معنـي المشترك، ومن ذلك تفسير الفعل (قام) بمعانٍ متعددة تبعاً للسياق اللغوي، ولما جاء في صحبته من كلمات أخري. فهو بمعني (ثبت) في مكانه في قوله تعـالي:((وإذا

---

[1] دور الكلمة في اللغة ، ص : 65

[2] فصول في فقه العربية ، 334

[3] فندريس . اللغة ، ص : 228

[4] أحمد مختار عمر . علم الدلالة ، ص : ، وانظر : الدلالة اللغوية عند العرب ، ص : 116 .

أظلم عليهم قاموا))([1])، وبمعني (الخذ في الفعل) في قوله تعالي: ((وأنّه لما قام عبد ا يدعوه))([2]), وبمعني (تهيأ واستعد) في قوله تعالي : ((إذا قمتم إلي الـصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلي المرافق))([3]), وبمعني (انتصب واقفـاً) فـي قولـه تعالي: ((أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك))([4]).

فلا بد إذن لتحديد دلالة اللفظ المشترك من معرفة السياق الذي ورد فيـه، وإلاّ فإن دلالته تكون بغير ذلك عمياء، لأنّها لا تعدو أن تكون وهي خارج الـسياق – معجمية – وذلك لا يفي بمتطلبات البحث الدلالي الحديث بل والقـديم أيـضاً، ولا سيما التراث الديني، متمثلاً فى القرآن العظيم وحديث الرسول صـلي ا عليـه وسلم وأصحابه وأهل بيته.

ولهذا قال اللغويون المعاصرون: "أعطني النص الذي فيه الكلمة، أعطـك معناها "([5])،" فغالباً يستحيل إعطاء معني كلمة دون وضعها في نص"([6]).

فاللفظ المشترك لا بد أن يكون له في كل مقام ومقال معني واحـد بـين سـائر معانيه، يدل عليه، ويختلف هذا المعني بحسب الاستعمالات المتعددة لذلك اللفـظ . ويعرف بطبيعة الحال بقرينة من القرائن المعتبرة، كالقرينـة اللفظيـة والـسياقية verbal context والقرينة العقلية والحالية.

---

[1] البقرة : 2.
[2] الجن : 19
[3] المائدة : 6
[4] النمل : 39
[5] اللغة والمعني والسياق – جون لاينز ، ص : 225
[6] نفس المصدر .

المبحث الخامس

توظيف السياق في درس المثل

الأمثال تراكيب لغوية ذات دلالة خاصة تفهم من سياق مجموع الألفاظ التي وضعت في تركيب خاص بها، يتداوله الناس من دون تصرف فيـه، وقـد اهـتم بعض العلماء بجمعها ودراستها، كالميدانى فى مجمع الامثال، وأبى عبيدة البكرى فى فصل المقال، وأبى هلال فى جمهرة الامثال، ومن المحـدثين الـدكتور عبـد المجيد عابدين فى كتابه الامثال فى النثر العربى. وفى تعريفه قـال المرزوقـي: "المثل جملة من القول مقتضبة من أصولها أو مرسلة لـذاتها، فتتـسم بـالقبول، وتشتهر بالتداول فتنقل عما وردت فيه إلي كل ما يصح قصده بها من غير تغييـر يلحقها في لفظها"([1]).

فالأمثال أقوال محكية سائرة يقصد منها تشبيه أحوال الـذين حكيـت فـيهم، بأحوال الذين قيلت فيهم، يقول ابن منظور: " يقال : مِثْل ومَثَـل، وشِـبه وشَـبه، بمعني واحد، والمِثْل والمِثِيل، كالمثَل، والجمع أمثال، وهما يتماثلان. والمثَل الشئ الذي يُضرب لشئ مثلاً فيجعله مثله"([2]).

فالمثَل قول سيار له قالب بسيط مقتضب، يعبر عن فكرة عميقة في الوعي البشري، والأصل فيه التشبيه، إذ تشبه حال الثاني بالأول. ومن ذلـك قـولهم: " قطعت جهيزة قول كل خطيب"([3]) . إذا قيل في موقف مماثل لما وضع له أصـلاً برغم تباعد الزمن وانقضاء المقام الذي قيل فيه، وكلما قويت المشابهة بين الثاني والأول كان التعبير اقوي وأدل، وبذا يصير المقام القديم جزءاً من المقام الجديـد، فيدخل في تحليله.

---

[1] المزهر في اللغة : 1 / 486 – 487

[2] لسان العرب . مادة " مثل " . وانظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة " مثل " . وجمهرة " مثال . دار الكتب العلمية ، 1 / 11

[3]- مجمع الأمثال - (ج 1 / ص 236) أصله أن قوماً اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلاً، ويسألون أن يرضوا بالدية، فبينا هم في ذلك إذ جاءت أمة يقال لها جهيزة فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله. فقالوا عند ذلك: قطعت جهيزة قول كل خطيب. أي قد استغني عن الخطب. يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

توظيف السياق في درسه

تفهم دلالة المثل في إطار الثقافة التي نشأ فـي ظلهـا، فالأمثـال شـديدة الارتباط بالأمم التي أنتجتها لذا لا تفهم إلا في سياق الموقف الذي قيلت فيه. وقـد حرص العلماء علي بيان الموقف الذي قيلت فيه، فأشاروا إلي سـياقها، وفـسروا معانيها في ضوء ظروف إنتاجها وسياق موقفها([1]).

وقد تناول أهل اللغة بعض الأمثال السيارة بالشرح في ضـوء المواقـف والسياقات التي ترتبط بها، فالمتلقي قد لا يستطيع أن يعرف معني المثل حتى يلـم بسياق إنتاجه والظروف المحيطة به، وما يتعلق به من سـياق داخلـي وسـياق خارجي، والبيئة التي نشأ فيها([2])، ومن ذلك قـولهم: " مجيـر أم عـامر" . و"أم عامر": هي الضبع، حكي ابن دريد([3])، أنّه خرج فتيان من العرب للصيد، فأثاروا ضبعاً، فانفلتت من بين أيديهم، ودخلت خباء بعض العرب، فخرج إلـيهم، فقـال: وا لا تصلون إليها، فقد استجارت بي، فخلوا بينه وبينها، فلما انصرفوا، عمـد إلي خبز ولبن وسمن، فثرده وقربه إليها، فأكلت حتى شبعت، وتمددت في جانـب الخباء، وغلب الإعرابي النوم، فلما استثقل، وثبت عليه فقرضت وبقـرت بطنـه وأكلت حشوته([4]). وخرجت تسعي، وجاء أخ للإعرابي فلمـا نظـر إليـه انـشأ يقول([5]):

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاق الذي لاقي مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته ... قراها من ألبان اللقاح البهازر
فأشبعها حتى إذا ما تمطرت ... فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يجود بمعروف إلي غير شاكر([6])

---

[1] -لتحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، ص : 195

[2] -أبو هلال ، الحسن ابن عبد الله بن سهل العسكري . جمهرة الأمثال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 14.8 – 1988 ، 1 / 1. ، وانظر : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة المصرية ، ط1 ، 142. ، 1999 ، 1 / 158

[3] انظر : المزهر في علوم اللغة : 1 / 494

[4] حشوة البطن " بضم لحاء وكسرها " : ما فيه من كبد وطحال وغير ذلك

[5] البهازر ، جمع بهزرة " بضم الباء " وهي الناقة العظيمة

[6] - المزهر فى علوم اللغة:494.

ومن هذا يتضح أن فهم المثل يتطلب الرجوع إلي المناسبة التي قيل فيها وهو السياق أو الموقف.

ومن الممكن أن نحمل طائفة من الأمثال هذا المحمل، فإن دلالة المثـل لا تتضح إلا بالقصة التي تقود إليه، وتفصح عن مغزاه، قال ابن فارس موضحاً أثر السياق في توضيح المعني: " وفي كتاب ا   ما لا يعلم معناه إلاّ بمعرفة قصته"([1]). وللوصول إلي المعني الدلالي للمثل لا بد من ملاحظة العلاقـات العرفيـة بـين المفردات ومعانيها، وهو ما يعرف بالسياق الاجتماعي، الذي هو المقام، إذ إن ذلك شرط لاكتمال وفهم هذا المقام أو المثل.

فالمقام هو الموقف المأخوذ من نسيج الثقافة الشعبية، في زمن من الأزمنة في تطورها من الماضي إلي الحاضر، تتوارثه الأجيـال، فيأخـذ الخـالف عـن السالف، فتكون هذه الثقافة عنصر ربط بينهم، بشرط أن يتم هذا النسج الثقافي في بيئة واحدة، أو مكان واحد ينشأ فيه الجميع فينتهجون منهجاً واحداً يصير ناموسـاً لحيواتهم المختلفة.

[1] الصاحبى فى فقه اللغة:73.

المبحث السادس

توظيف السياق في درس التعبير الاصطلاحي والسياقي

التعابير الاصطلاحية والسياقية هي جزء من ظاهرة لغوية علميـة، لفتـت انتباه دارسي اللغات، وأطلقت عليها أسماء عديدة ، كالتضام ، والتوارد، والقرائن اللفظية. وهي تطلب كلمات لكلمات معينة واستدعاؤها اياها. ومـن أوجـه هـذه الظاهرة الأمثال والحكم، بالإضافة إلي ما نحن بصدده.

تعريف التعبير الاصطلاحى:

التعبير الاصطلاحي هو المعني الذي يتحقـق مـن عبـارات مـسكوكة ومتماسكة تعبر عن وحدة لغوية ذات دلالة خاصة، أو عبـارات ثابتـة الـصيغة اللفظية([1]). وبعبارة أخري، هو قالب لفظي جاهز يعبر عن معني خاص يـرتبط به، ويدخل معه في علاقة ثابتة، في إطار اجتماعي وثقافي واحد، ويصبح وحـدة متكاملة في الكلام يتداولها المجتمع وتتوارثها الأجيال .

أما التعبير السياقي فهو توارد كلمتين أو أكثر في سياق واحد، أو هو تلازم كلمتين أو أكثـر ومـصاحبتهما فـي اللغـة بـصورة شـائعة للدلالـة علـى معني يفهم من تلاحم هذا التركيب ونظام بنيته ([2]). ومن ذلـك قولـه تعـالي: ((وخروا له سجدا))([3]). وقوله تعالي: ((يخرون للأذقان سجدا))([4])،وقوله تعـالي: ((فخر عليهم السقف ممن فوقهم))([5]). فقد لازم اللفـظ (خـر) لفـظ (الـسجود) و(السقف) وصارت بينهما صحبة، فالفعل (خر) يستدعي في هذا الـسياق لفظـي السجود والسقف.

وقد سجل علماء اللغة قديماً وحديثاً هذه الثروة اللفظية فـافردوا لهـا كتبـاً خاصة، أو كانت موضوعاً في كتبهم، ونعني بذلك كتب الأمثال والاصـطلاحات وكتب اللغة والأدب ولا يخلو منها معجم من المعاجم الموسوعية.

- [1] التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة المعاصر : 176.
- [2] نفس المصدر:187.
- [3] يوسف:1...
- [4] الاسراء :1.7.
- [5] النحل:26.

أقسام التعابير الاصطلاحية والسياقية : -

أولا : أقسامها من حيث الشكل :

التعابير الاصطلاحية تنسجم في بنيتها وقواعد النحو العربي. ويمكـن تقسيمها إلي أربعة أقسام، طبقاً لقسم الكلام التي تنتمي إليه الكلمة التي تقـع فـي بداية التعبير الاصطلاحي، وهذه الأنواع هي([1]).

1 – تعبير فعلي، وهو الذي يبدأ بفعل، مثل: ألقي الضوء علي كذا، بمعني كـشف وأبان. ونحو: ترك له الحبل علي القارب، بمعني أطلق له حرية التصرف.

2 – تعبير اسمي، مثل: يد من حديد، أحر من الجمر.

3 – تعبير ظرفي، مثل: قاب قوسين أو ادني، بمعني قريب جداً. كما فـى قولـه تعالى((ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى))([2])

4 – تعبير حرفي، مثل: علي قـدم وسـاق، بـشق الأنفـس، كمـا فـي قولـه تعالي((وتحمل أثقالكم إلي بلد لم تكونوا بالغية إلا بشق الأنفس))([3]).

ثانيا : أقسامه من حيث الدلالة:

ينقسم التعبير الاصطلاحي من حيث الدلالة إلي تعبير حقيقي ومجازي:

أ – التعبير الحقيقي: هو الذي يدل علي معني مباشر من صريح لفظه، أو يقترب في معناه من دلالته الحقيقية، مثل: لا رجعة فيه، يعني: نهائي، بـادي ذي بـدء، يعني : أولاً .((ذلك الكتاب لا ريب فيه))([4]) يعني : لا شك فيه.

ب – التعبير المجازي: هو التعبير الذي يدل معناه مـن دلالتـه البعيـدة غيـر المباشرة، مثل التعبير التشبيهي، والاستعاري والكنائي.

1 – التعبير التشبيهي، مثل: كالمستجير من الرمضاء بالنار([5])، ومثل: كمن يرقم علي الماء([6]). قال الامام عبد القاهر: " أنك تقول أنت ترقم فى الماء، وتضرب فى

---

[1]- التحليل اللغوى فى ضوء علم اللغة المعاصر :

[2] - النجم: 9

[3] - النحل :16.

[4] البقرة :2.

[5] - الميدانى،ابو الفضل أحمد بن محمد. تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،،35/3. وهو شطر بيت وتمامه:

المستجير بعمر عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

[6] - مجمع الأمثال - (ج 1 / ص 37).

يضرب للحاذق في صنعته. أي من حذقه يرقم حيث لا يثبت فيه الرقم. قال الشاعر:

حديد بارد، وتنفخ فى غير فحم، فلا تذكر ما يدل صريحاً أنك تشّبه، ولكنك تعلـم أن المعنى على قولك أنت كمن يرقم فى الماء، وكمن يضرب فى حديـد بـارد، وكمن ينفخ فى غير فحم"([1]).

وقد يبني التشبيه علي المبالغة، مثل: أغرب من الخيال و أسرع من نكـاح أم خارجة([2]) و أشأم من ناقة البسوس([3]).

2 – التعبير الاصطلاحي، مثل: طار عقله، جن جنونه، علي جناح السرعة، مد يد العون.

3 – التعبير الكنائي، مثل: اصطكت ركبتاه([4]) نظيف اليد، صفر اليدين، بيد مـن حديد.

توظيف السياق في درسها :

التعبير السياقي والاصطلاحي شائع الاستعمال وأن القارئ اللبيب يـستطيع أن يستشف معناها من السياق، فالفعل أطلق مثلاً الذي يعني أصلاً (حرر) يـدخل في بنيات عدد من التعابير الاصطلاحية مثل:

- أطلق سراحه: اخلي سبيله.
- أطلق له العنان: جعله يتصرف علي هواه.
- أطلق يده في الأمر: جعله يتصرف فيه بحرية.
- أطلق ساقيه للريح : فر هارباً مسرعاً.
- أطلق لحيته: تركها دون حلق.
- أطلق لسانه: لا يتحكم فيما يقوله.
- أطلق عليه النار: قتله.
- أطلق عليه الرصاص: قتله.

سأرقم في الماء القراح إليكم ... على نأيكم إن كان في الماء راقم

[1] - عبد القاهر الجرجانى.اسرار البلاغة:41/1.

[2]- وهى عمرة بنت سعد، تزوجت نيفاً واربعين رجلاً وكانت تكثر الاختلاع من الرجال ثم لا تلبث أن تتزوج حتى كان يقال أن الرجل إذا أتاها قال لها: خطب فتقول نكح فيدخل بها.

[3] جمهرة الأمثال ، ص : 1 / 529

[4] جمهرة الأمثال ، ص : 1 / 556

فقد اختلف معني لفظة (أطلق) باختلاف السياق اللغوي الذي استخدمت فيه، لذا لا بد من استرفاد السياق اللغوي وغير اللغوي أحياناً في تحديـد دلالـة هـذه التعابير، مثل الاستعانة بالقرائن المقامية والمقالية، اللفظية منها والمعنوية للتفريق بين التعبيرين الاصطلاحي والعادي، فمثلاً التعبير الاصطلاحي: "ضرب القاضي علي يده"، يعني: حجزه ومنعه من التصرف، أما إذا وردت العبارة بسياق آخـر "ضرب القاضي علي يده بعصا غليظة"، لا شك أنّنا نفهم، أن الضرب علي اليـد كان ضرباً حقيقياً، ولم يعد تعبيراً اصطلاحياً.

المبحث الأول

السياق الاسلوبى مفهومه ومجالاته

أولاً: تعريف الاسلوب:

الأسلوب لغة: السطر من النخيل، والطريق تأخذ فيه، وكل طريق ممتد فهو أسلوب([1]).

وفي الاصطلاح: الطريقة التي يسلكها صاحب الصناعة في صنعته([2])، أي الطريقة: التي يختارها الأديب أو المنشئ في تفكيره وتعبيره بما يتناسب مع عواطفه وأحاسيسه التي تنتظم الكلام فيها انتظاماً خاصاً، كي تؤدى وظيفتها في الإشارة والإفهام والتميز والتفرد.

تعريفه عند الامام عبد القاهر والقرطبى:

وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنّه: "الضرب من النظم والطريقة فيه"([3]) أما القرطبي فالأسلوب عنده أعم من النظم، فالنظم هو الذي يفرق بين أسلوب وأسلوب، وهذا يتضح من عبارته في مقدمة تفسيره في معرض حديثه عن الإعجاز القرآني حيث قال: "وجوه إعجاز القرآن عشرة، منها: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، وفي غيرها؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وهذه الثلاثة: النظم والأسلوب والجزالة لازمة لكل سورة، ومنها الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب([4]).

تعريفه عند ابن خلدون:

ويعرفه ابن خلدون بقوله: "إنّه عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه .... وهو يرجع إلي صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كليةً باعتبار انطباقها علي تركيب خاص. وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصاً ... ([5]).

---

[1] تاج العروس ، ص : 3 / 71

[2] اللسان ، مادة : " سلب "

[3] دلائل الإعجاز ، ص : 136

[4] تفسير القرطبي ، 1. / 74 ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

[5] انظر : مقدمة ابن خلدون : 2 / 1279

تعريفه عند المحدثين:

أما الأسلوب عند المحدثين فهو: "الوسيلة التي تؤدى بها المعاني، والذي قد يرقى بالمعاني المعتادة فيبرزها في شكل يدعو إلي الإثارة والإعجاب"([1]).

ثانياً: أنواع السياق الاسلوبى:

يفرق الاسلوبيون كمياً بين نوعين من السياقات الأسلوبية:

أولها: السياق الصغير micro context ويقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده([2])، ويعني أسلوبياً بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات، فيبرز بعـضها بعضاً ويؤثر بعضها في بعض([3]).

ثانيا: السياق الكبير: macro context ويقصد به ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ ، كالجملة أو الفقرة، أو الخطاب، وقد يتخذ هذا المـصطلح أسـلوبياً دلالـة خاصة تتمثل في جملة من المعطيات التي تحضر القـارئ وهـو يتلقـى الـنص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي([4]).

وهذان النوعان من السياق وما يشملانه من الدلالات اللغوية وغير اللغوية يتعاضدان فيشكلان ما يسمى بالنص، وذلك أن النص" مبخـر لغـوى ذو علاقـة ترابطية فيما بين مكوناته المتتابعة وذو غرض بلاغي، وبينه وبين الموقف علاقة حضور متبادل"([5]).

ثالثاً: مجال السياق الاسلوبى:

يجمع الباحثون علي ان الأسلوب ينبغي دراسته في المنطقة المشتركة بين علمي اللغة والأدب، وعلى هذا فإن الأسلوب ينتمي إلي مجالين هما:

الأول: مجال الدراسات اللغوية، وذلك بالنظر إلي الأسلوب علي أنّه بناءٌ أو هيكل لغوى، عناصره مكونة من وحدات لغوية جاءت منسوقة وفقاً لمعايير لغوية علـي وجه من وجوه قواعد اللغة المعنية.

---

2 د . هند حسين طه . الأسلوب دراسة نصية أسلوبية . مجلة آداب المستنصرية ، ع 18 – 19 ، 1412 – 199. ، ص 46

[2] الأسلوبية والأسلوب : 175

[3] اتجاهات البحث والأسلوب : 166

[4] الأسلوبية والأسلوب : 175

[5] دور الكلمة في اللغة : 61

الثاني: مجال الأدب ونقده، بوصفه نوعاً من التعبير منفـرداً بخـواص تعبيريـة مميزة مستمدة من السياق اللغوي وغير اللغوي، وبوصفه نمطاً خاصاً من الكـلام يفي بأغراضه الأدبية والثقافية والاجتماعية والنفسية([1]).

رابعاً: دور السياق فى التحليل الاسلوبى:

يلعب السياق دوراً أساسياً في عملية التحليل الأسلوبي وفي تحديد الـسمات الأسلوبية في النصوص الأدبية. وعندما أهمل المـنهج الوصـفي التحليـي دور السياق في بناء الأسلوب وجهت إليه الدراسات المعاصرة نقداً كبيراً، ومن بينها ما أشار إليه "رينيه" و"يليل" في نظرية الأدب من إهمـال هـذه النظريـة لعنـصر السياق([2])، وهو عنصرمهم في الدراسات النقدية، فقد يقتضي سياق مـا صـورة بلاغية معينة فتصبح مناسبة لهذا الموقف، لكنها تكون أقل مناسبة في سياق آخر، كما في قوله تعالى: ((ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين))([3])، وقوله تعالي: ((فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين))([4]). فإن وضع " ثم" في الآية الأولي مقتضى بالسياق من نواح عدة، في حين اقتضي سياق الآية الثانيـة مجـئ "الفـاء" "لأن المكذّب قد يُعطى مهلة أطول من مهلة المجرم الذي ينبغي أن يؤخذ بجريمته علي وجه التعقيب، وفي هذا تفسير لمجئ "ثم" مع المكذبين، "والفاء" مع المجرمين ([5]).

لذا ينبغي أن نستكمل دراسة الأسلوب وتحليلـه فـي مـستوياته اللغويـة، باستخدام السياق بنوعيه، اللغوي والمقامي، فالتحليل الأسلوبي يتخذ الـسياق أحـد عناصره التي يتعامل معها([6]) وهي:

1- العنصر اللغوي: إ ذ يعالج نصوصاً قامت اللغة بوضع رموزها.

2- العنصر المقامي : الذي يؤدى أن ندخل في حسابنا مقولات غيـر لغويـة، مثل: المؤلف، والموقف التاريخي وهدف الرسالة.

---

[1] كمال بشر . التفكير اللغوي عند العرب ، ص : 21

[2] علم الأسلوب . دراسة لغوية أسلوبية ، ص : 38

[3] الإنعام : 11 ، آل عمران : 31 ، النحل : 16

[4] النمل : 69 ، الأعراف : 84

[5] التعبير القرآني : 157 – 17.

[6] د . صلال فضل . علم الأسلوب ، ص : 1..

3- العنصر الجمالي الأدبي: ويكشف عن تأثير النص علي القارئ، والتفـسير والتقييم الأدبي.

فالمقولات المتصلة، بالعلوم الفلسفية والتاريخية والاجتماعية، لها دور كبير في تحليل الأسلوب والكشف عن حالاته. فهذه العناصر مترابطة ينبنـي بعـضها علي بعض([1]).

خامساً: عناصر السياق الاسلوبى:

البلاغة تكمن في توظيف اللغة توظيفاً جمالياً، يقوم علي مهارة الاختيـار والتأليف، وعليه فإن الدرس الأسلوبي لابد أن يراعي في إنشائه عنصرين اثنـين هما([2]):

أ - الإشارات اللغوية، كالمتكلم وطابع تفكيره ومهاراته الأسلوبية، وطريقة نظم ألفاظه وعباراته.

ب – المقام بأوسع مفهوما ته، فاختيار المتكلم للمواد التي يوظفها أسلوبياً تتكـون من العناصر الاجتماعية والنفسية اللازمة للتعبير، ومـن قـيم صـياغية واعيـة ومقصودة شعورياً([3]).

ولم يخل الدرس البلاغي القديم من العناية بهذه العناصر ومن توظيفها في دراسته، لما يشتمل عليه السياق من لمحات وإشارات، وطاقات إيحائية، تتـصل بالجو العام للنص، لكون هذه العناصر جزءاً فيه.

سادساً: السياق المقامى في الدرس الأسلوبي :

البلاغيون من أوائل الذين توسعوا في دراسة السياق، وتحديد الدلالة مـن خلاله. وخاصة مقتضي الحال المسمى بالمقام. يقول الدكتور: محمد عبد المطلب: "وقد لاحظ البلاغيون منذ القدم ظاهرة السياق من خلال مقولتهم "لكل مقام مقـال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام" فأنطلقوا في مباحثهم حول فكرة السياق وربطهـا بالصياغة، أو بمعني أصح ربط الصياغة بالسياق، وأصبح مقياس في باب الحسن والكلام بحسب مقتضى الحال، ومعني مقتضي الحال، هو: الاعتبار المناسب الذي

---

[1] المصدر السابق ، ص : 1..
[2] البلاغة والاسلوبية ، ص :
[3] صلاح فضل . علم الاسلوب ، ص : 93

يستدعي اشتمال الكلام علي سمات وخصائص أسلوبية تناسب المقام والحال الذي يلقى فيه"([1]).

فالكلام يجب أن يُراعي فيه حال السياق، أي حال المتكلم وإحساسه بقـوة المعني الذي يتحدث عنه، أو حال المخاطب وما يحيط به من ملابـسات الأمـور التي من حوله، ليأتي حديثه علي هذه الخصوصية المسماة بـ" مراعاة مقتـضي الحال"، فيكون بذلك قد أدى الوظيفة الأساسية للنص البلاغي، وهـي: "مطابقـة الكلام لمقتضي الحال"([2]).

إذن مقتضي الحال ركيزة من ركائز التعبير البلاغي، وهـو لا يحـدد بحدود ضيقة، وإنّما له مدلول أوسع مما رسمه البلاغيون، فهو يعني كل الظروف والملابسات التي تلم بالنص سواء كان ذلك متصلاً بالمتحـدث أو المخاطـب أو البيئة أو المناسبة.

---

[1] د . محمد عبد المطلب : الأسلوبية والبلاغة ، ص :

[2] فريد عوض حيدر . علم الدلالة نظرية تطبيقية ، ص: 17.

المبحث الرابع

توظيف السياق في الدرس الاسلوبى القديم والحديث

تركزت دراسة السياق الاسلوبى في التراث العربي علي بيان فكرة الـنظم، بدءاً من تآلف الحروف وتناسق أصواتها المفردة، وانتهاء بالنص المتكامل ، وقـد وصف عبد القاهر الجرجاني السياق الأسلوبي أو النظم بأنه: " تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"([1]).

وليس غريباً إذا قلت إنّه ثمة وشيجة عميقة بين النظم الـذي أشـار إليـه الجرجاني وغيره من علماء البلاغة، وبين الأسلوب الذي غدا علماً لدى البـاحثين المعاصرين الذين يجهدون أنفسهم لإقامته علي أسس بنائية سليمة، تهـدف إلـي تجاوز طابع التجزئة في عرض المقولات البلاغية([2]).

أولا: توظيف السياق في الدرس الأسلوبي القديـــم:

أدرك علماء البلاغة القدماء أن معني العبارة الواحدة يتغير بتغير المقـام، بل إن الشاطبى ليذهب أبعد من ذلك فيقرر أن كلام العرب علي الإطلاق لابد فيه من اعتبار السياق في دلالة الصيغ، وإلاّ صار ضُحكة وهُزءة، ألا تـرى قـولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القـرط، وما لا ينحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معني معقول، فمـا ظنك بكلام ا عز وجل"([3]).

وكان أبو عبيدة من أوائل من تفطنوا للسياق وأهميته في الدرس الأسلوبي، عندما ألمح فى بعض المواضع إلي أن الكناية " كل ما فهم مـن الكـلام ومـن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة"([4]).

وقد كان عبد القاهر الجرجاني أهم بلاغي لم يعتبر بالدلالة المفردة للفظ إلا داخل سياقه الخطابي الذي يأتي فيه، وقد أبان ذلك في خضم بلورته لنظرية النظم

---

[1]- دلائل الإعجاز : 55

[2]- د . نور زاد حسن احمد . السياق الأسلوبي وأثره في استبدال وجوه العطف في القران الكريم . مجلة كلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد : 22 ، 1999 ، ص : 378

[3]- ألشاطبي . الموافقات .

[4]- انظر : أبو عبيدة معمر بن المثني . مجاز القران ، وانظر : احمد مطلوب . فنون بلاغية ، البيان والبديع ، ص : 164

التي انبهر بها القدماء والمحدثون من البلاغيين علي السواء، معتبرينها فتحاً جديداً في الكشف عن معجزة القرآن، قال الإمام: " وأن يعلم أن ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل، ولا هي منا بسبيل، وإنّما نعمد إلي الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب"([1]).

وهذه العبارة توضح بجلاء اهتمام الإمام بالسياق اللغوي الذي يتحكم في صياغة النص.

ويقول محمد مندور: " يعد مذهب عبد القاهر أصح ما وصل إليه علم اللغة في أوربا لأيامنا هذه"([2])، وذلك لاعتنائه بالسياق، حيث قرر ما يقرره علماء اليوم، من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل هي مجموعة من العلاقات، وعلي هذا الأساس العام بني عبد القاهر كل تفكيره اللغوي([3]).

عليه فمن التجني أن ندعى أن جميع النقاد والبلاغيين القدماء عالجوا النصوص من منطلق النظرة الجزئية المقصورة علي اللفظ، فقد أدرك بعض منهم جدوى السياق باعتباره مكوناً من كلمات وجمل وعبارات، ولم تكن كلمة أسلوب غريبة علي التراث العربي([4])، مما يؤكد أن أسساً تراثية مكينة قد أرساها علماؤنا الأوائل، وبوسعنا أن ننتقى منها ومن الدرس المعاصر ما نعبد به طريقاً جديداً مؤصلاً للتعامل مع النص بوعي أكبر ورؤية أعمق وأشمل.

توظيفه في الدرس الاسلوبى الحديث:

الأسلوب في الدراسة المعاصرة له مفهومه الخاص، لكنه يبدو عند التمحيص ذا صلة كبيرة بمفهوم النظم وآلياته، مما دفع الدكتور أحمد الشايب أن يفرق بينهما في قوله: "ويلاحظ أن نظم الكلام يقابل الأسلوب، ولكننا آثرنا الثانية لخفتها وشيوعها"([5]).

بيد أن الجديد في الدراسات الأسلوبية أنّها تناولت الأسلوب من خلال جهازه الثلاثي:

---

[1] دلائل الإعجاز : 57

[2] د . محمد مندور . النقد المنهجي عند العرب . ط . نهضة مصر بالفجالة ، ص : 326

[3] د . محمد مندور . الميزان الجديد . ط . لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1994 ، ص : 47

[4] د . نصر أبو زيد . قراءة في ضوء الأسلوبية . مجلة فصول ، المجلد الخامس ، العدد الأول، 1984، ص : 16

[5] احمد الشايب . الأسلوب دراسة تحليلية بلاغية لأصول الأساليب الأدبية . مكتبة النهضة ، 1945 ، ص : 23

أ- المبدع أو المتكلم.

ب- المتلقي أو المخاطب.

ج- الرسالة الأدبية.

أما المنظرون في البلاغة العربية، فقد كان لهم اهتمام خاص بالمخاطب في العملية الإبداعية يكاد يطغى علي الاهتمام بجانب المتكلم، وربما كـان الحـاجز الديني أحد العوامل التي دفعت البلاغيين والنقاد الي هـذا الاتجـاه، بوصـف أن البلاغة مراعاة مقتضي الحال – والحال عندهم حال المخاطب لا المـتكلم لأنّـه ليس من المتصور عقلاً وديناً أن يتناول هؤلاء المنظرون القرآن بوصف مصدره، لذا اتجهت مباحثهم إلي ناحية المتلقي أو المخاطب، ومحاولـة ربـط الأسـلوب بظروفه وسياقاته الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية([1]).

وتعد دراسة السياق من الدراسات المتقدمة في الدراسات الألسنية الحديثـة، يقول أولمان: "هناك تطور هام فى المفهوم العلمى للمعنى تمثل فى دراسة طرق الرصف أو النظم، وهو ما ركز عليه " فيرث " وأتباعه، وقد عرف الرصف بأنه: " الارتباط الاعتيادي لكلمة ما، في لغة ما، لكلمات معينة أو اسـتعمال وحـدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما مرتبطتين الواحدة بالأخرى"([2]).

ومن أهم خصائص هذه النظرية أنّها لا تعد الجملة كاملـة المعنـي إلاّ إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة"([3]).ولهـذا صاغ "هيل" تعريف الأسلوب بأنّه "الرسالة التي تحملها العلاقات الموجـودة بـين العناصر اللغوية، لا في مستوى الجملة، وإنّما في مستوى إطـار أوسـع منهـا، كالنص أو الكلام"([4]).

ويقول كمال بشر: " وللسياق دور في تحديد السمات الأسلوبية في الـنص، وأن الكلمة في نص ما إنّما تكتسب دلالاتها الأسلوبية من تجاورها مـع الكلمـات

---

[1] مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، قراءة في ضوء الأسلوبية ، ص : 22

[2] احمد مختار عمر . علم الدلالة . ط . 1982 ، ص : 74

[3] المصدر السابق ، ص : 77

[4] الأسلوب والأسلوبية ، ص : 87

الأخرى التي تقع معها في خط أفقى، حيث تتشابك الـدلالات الحقيقيـة بظـلال المعاني لتلك الكلمات، فتكتسب إيماءات وتأثيرات خاصة"([1]).

كما أدخل الدرس الاسلوبى الحديث عنصر الإثارة الأسلوبية، لتـضفي جانباً من القوة التعبيرية للنص، إذ يفاجأ المتلقي بشئ غير متوقـع فـي النـسق الاسلوبى([2]).

---

[1] كمال بشر

[2] د . شكري أعياد . اتجاهات البحث الأسلوبي ، ص : 123

المبحث الخامس

توظيف السياق في درس أسلوب البيان

مدخل:

لقد تم تأسيس علم البيان علي أساس عقلي وهو الوقوف عند دلالة اللفظة المفردة([1])، وهذا الأساس يقتضي أن ينصب البحث علي الدلالات العقلية للألفاظ ، لا الدلالات الفنية المتصلة بالسياق. وهذا في حقيقة الأمر لا يتناسب مع مفهوم علم البيان، ولا مع وظيفته، لأن إيراد المعني الواحد بطرق مختلفة، لا يكون إلاّ في المعاني التركيبية المُقَدّمة في صياغات فنية، وهذه ترتكز علي السياق لا علي المعاني المفردة، فاللفظية المفردة لا يتأتي بها إيراد المعني الواحد بطرق مختلفة، لان المراد بالمعني الواحد في تعريف علم البيان هو المعني الحاصل من التركيب المطابق لمقتضي الحال([2]).

فالبيان طريقة خاصة في التعبير تستمد مقوماتها من السياق اللغوي والعرفي، إذ ليس المدار في البيان باللفظ علي الإفهام، وإنّما علي الطريقة التي يكون بها ذلك الإفهام، وما تقتضيه من عناية بفنية الصياغة، بحيث تبدو علي قدر من الجمال البياني، وهذا هو مناط المزية فيها كما يرى الإمام عبد القاهر، حيث يقول: " فإنّهم لا يريدون الشجاعة والقِرى وأشباه ذلك من معاني الكلام المفردة، وإنّما يعنون إثبات معاني هذه الكلام لمن تثبت له ويخبر بها عنه"([3]).

وعلي هذا يتبين أن مبحث الدلالة الذي اتخذه العلماء ذريعة إلي تصنيف الدلالات في علم البيان غير ذي جدوى، لأن النظرة إلي الأساليب البيانية ينبغي أن تكون علي أنّها طرق لأداء المعني، ولهذا تبقي دلالات الألفاظ فيها سياقية، فاللفظ فيها يستمد معناه من السياق، ومن تركيب الأسلوب، لا من المعجم.

ولم يفتأ الدارسون يوجهون الأنظار إلي التقصير الحاصل في بعض مناهج التحليل التي لم تأبه بالسياق وتوجيهه للدلالة، إذ يعتقد بعضهم أن السبب في هذا

---

[1] السكاكي مفتاح العلوم ، ص : 329

[2] سعد الدين التفتا زاني . المطول علي التلخيص ، مطبعة احمد كامل ، استنطبول ، 133. ، ص : 2..

[3] دلائل الإعجاز 71

التقصير هو الفصل بين الصورة البيانية وسياقها العام في تحليل النصوص، فالصورة البيانية سواء أكانت تشبيهية، أم استعارية، أم كنائية، لا يمكن أن تحتفظ بفنيتها إذا دُرست بمعزل عن البناء اللغوي الذي تشكل هي إحدى لبناته([1]).

وبالجملة فإن الدارسين يجمعون علي ضرورة دراسة الأسلوب البياني وتحليله داخل سياقه، وهذا اعتقاد منهم بأن قيمته التعبيرية – مهما اختلفت وتنوعت صياغاتها – لا تظهر إلاّ داخل وظيفتها في النصوص([2])، وأن أهمية الصور البيانية تكمن في أنّها تتيح جملة من الخيارات الأسلوبية، التي تؤدى المعني الواحد بطرق مختلفة، وتظهر القيمة الأسلوبية في اختيار الصورة الأليق بالغرض والسياق. وتظهر هذه القيمة في دراستنا لأساليب التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

توظيف السياق في درس أسلوب التشبيه:

قوة التشبيه لا تظهر إلاّ من خلال السياق الذي يرد فيه، لذا يجب تناول التشبيه تناولاً أدبياً فنياً، يقوم علي التحليل والبحث عن جماليات الصورة، وما تحدثه من تأثير في نفس السامع من خلال سياقها في النص، دون تعمق إلي انتماء تلك الصورة إلي هذا القسم أو ذاك.

وتتضح قيمة التشبيه من خلال نظمه وسياقه كما في قوله تعالي: ((مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب ا بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون))([3]). فالقرآن الكريم لما بين حقيقة صفات المنافقين، عقبها بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان، إذ شبهت الآية حيرة المنافقين بحيرة من انطفأت ناره بعد إيقادها، وبحيرة من أخذته السماء في الليلة المظلمة برعدها وبرقها.

[1] عبد الرازق أبو زيد . في علم البيان ، ص : 6. . وانظر الكناية في البلاغة العربية ، ص : 437

[2] د . جوزيف ميشال شريم . الدراسات الأسلوبية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، ص : 69

[3] البقرة : 17

والملاحظ هنا أن الأسلوب القرآني قد تخير مكونات الصورة بمـا يـتلاءم وسياق الآية([1])، فتشبيه حيرة المنافق بحيرة من انطفأت ناره، تصوير لحالة نفسية اقتضاها السياق.

لذا فإن لكل تشبيه أو صورة من صوره، سياقاً ومقاماً تصلح فيه دون غيرها، بحيث لو جئ بغيرها في موضعها لنبا عنها الذوق.

توظيف السياق في درس أسلوب المجاز:

المجاز: استعمال اللفظة في غير مدلولها الحقيقي لعلاقة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة من سياق النص([2])، وبناء علي ذلك، فإن المجاز يدور علي قائـدتين بيانيتين هما: المجاز المرسل، والمجاز اللغوي "الاستعارة".

فالمجاز المرسل تكون العلاقة بينه وبين اللفظة المستعملة في غيـر مـدلولها الحقيقي قائمة علي غير المشابهة مع ضرورة وجود قرينة بينة مدركة من خـلال السياق، كما في قوله تعالي: ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً))([3])، فالنار مجاز مرسل علاقته([4]) الـسببية، لأن الطعـام الحـرام يتسبب عنه النار. والمجاز المرسل يختص بتغيير الدلالة علـي مـستوى الكلمـة المفردة.

وقد لحق المجاز المرسل ما لحق غيره من أساليب التصوير البياني، عنـدما حدد درسه في شكل قوالب علمية، باعدت بينه وبين النظرة الفنية التي تقوم علـي استنطاق النص من خلال سياقه حتى تبرز أبعاده الجمالية، بما يتمشى مـع روح البلاغة العربية، وفي ظل ما اختطه الإمام عبد القاهر في نظريته السياقية من نهج في تناول هذه الظاهرة الأدبية ، قوامه التحليل الفني والتذوق الأدبي .

أما تغيير الدلالة علي مستوي الجملة أو العبارة، فقد أطلق عليـه المجـاز العقلي، فهو يضم الاستعارة، والكناية، والتمثيل، وسائر ضروب المجاز.

---

[1] د السيد عبد السميع حسونة . النظم القرآني في تفسير القرطبي . دراسة أسلوبية . مجلة كلية الدراسات الأسلوبية والعربية ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، دبي العدد الحادي والعشرون ، 1422 – 2..1 ، ص : 36

[2] انظر الإيضاح ، ص : 268 ، والخصائص : 2/ 447 ، والمزهر : 1 / 364 ، وشرح التلخيص : 4 / 28 – 29

[3] النساء : 1.

[4] ولعلاقات هي : السببية والمسببية ، والكلية والجزئية ، والماضوية " اعتبار ما كان " والمستقبلية " اعتبار ما يكون " ، والمحلية والحالية ، وغيرها .

ولابد للمجاز سواء كان مجازاً عقلياً أم مجازاً لغوياً، من وجود قرينة دالة تبين المجاز، توضح عدم إرادة المعني الأصلي في المجاز اللغوي، وعـدم إرادة الاسـ ـ ـــناد الحقيقـ ـ ـ ـــي فـ ـ ـ ـــى المجـ ـ ـ ـــاز العقلـ ـ ـ ـــي([1]) . فالقرينة في المجاز العقلي هي الأمر الذي يوضح أن المسند قد أسند إلي غير ما حقه أن يسند إليه، وأن المتكلم قد تجوز في بناء الكلام أو تأليف العبـارة، وهـذه القرينة إما أن تكون لفظية، وهو ما يسمى بالسياق اللغوي،وإما أن تكـون غيـر لفظية وهو ما يسمى بالسياق الحالى وهو السياق الحالي. نحو قوله تعالي: ((إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم، يُذبح أبنـاءهم ويستحي نساءهم))([2]).

فإسناد الفعل "يذبح" إلي فرعون، مجاز عقلي لاستحالة صدوره منـه عـادة، وإن أمكن عقلاً.

فاللغة نظام من العلامات، كلماتها قبل الاستعمال صالحة لتستعمل في مـا لا يحصي من السياقات، ولكن بمجرد توظيفها في خطاب من الخطابات توسم بمـا يضبطها ويقيدها بالنظر إلي دواعي الخطاب لتصير صالحة له ملائمة لغاياته([3]).

توظيف السياق في درس الكناية:

الأسلوب الكنائي هو التعبير الذي لا يراد به معناه الأصلي الـذي وضـعه اللغويون، وإنّما يراد به المعني اللازم لعلاقة بينهما تقوم علي التبعية أو الـلزوم، والذي يحدد هذه العلاقة هو السياق أو العرف الاجتماعي، كما في قوله تعالي: ((وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه علي ما أنفق فيها))([4]). فتقليب الكفين كناية عـن الحسرة والندم، والذي حدد ذلك هو العرف الاجتماعي الذي ربط بين تقليب الأكف والحسرة والندم. وعليه فلابد من الربط الوثيق بين الصورة الكنائية وسياقها العام اللغوي وغير اللغوي. وقد انتبه عبد القاهر الجرجاني بحـسه المرهـف وذكائـه اللماح إلي ذلك فقال: " البيت إذا قطع عن القطعة كـان كالكاعـب تفـرد عـن

---

[1]انظر : مفتاح العلوم : 362 ، جواهر البلاغة : 244

[2] القصص : 4

[3] عبد القادر المهدي . ابن جني وبلاغة العربية . حولية الجامعة التونسية ، العدد : 4. ، 1996 ، ص : 2.

[4]- الهف:43.

الأتراب([1])، فيظهر فيها ذل الاغتراب ، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العقد أبهي في العين وأملأ بالزينة منها إذا أفردت عن النظائر، وبدت فذة للناظر"([2]).

ويقول في موضع آخر: "إنّنا عندما نتكلم في علم البلاغة فليس لنا مع معاني الكلمة المفردة شغل، وإنّما قصدنا إلي الأحكام التي تحدث بالتركيب والتأليف"([3]).

وفي الأدب العربي كثير من الكنايات التي لا يظهر المقصود منها إلا بعد أن يتكئ المتلقي علي السياق، ككناية المرأة بالشاة والبيضة والوديعة ، قال عنترة([4]):

يا شاة ما قنص، لمن حلتْ به حرُمتْ علي وليتها لم تَحرُم

كما كنيت المرأة بالناقة والمهرة والظبية والبقرة الوحشية.

ومن ذلك تتضح قيمة السياق في تحديد الصورة الكنائية، التي تجئ وكأنها لبنة في البناء اللغوي تتشابك مع غيره من اللبنات لإبراز الحقيقة المعنوية التي يتضمنها السياق كله، التاريخي واللغوي، ومن هنا فإن تجزئة النص إلي جمل أو عبارات والنظر إليه بمفرده في معزل عن السياق الاجتماعي أو اللغوي، يؤدى إلي الإخلال بقيمته الفنية، فضلاً عن الاضطراب في تحليل التراكيب وبيان مؤداها الدلالي وقيمتها الجمالية، التي تتجسد في البناء اللغوي.

توظيف السياق في درس أسلوب الاستعارة:

الاستعارة نوع من المجاز اللغوي([5])، ولابد من دراستها في إطارها الاجتماعي والتاريخي واللغوي، يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن من الاستعارة مالا يمكن بيانه إلا بعد العلم بالنظم والوقوف علي حقيقته"([6]). لذا فإن فصل الاستعارة عن سياقها والتعبير الذي وردت فيه، ودراستها مستقلة مسألة تتنافى مع طبيعتها، وأمراً يحول بيننا وبين الصورة البيانية وإدراك قيمتها الحقيقية علي وجهها الصحيح([7]).

---

[1] ـ الكاعب: مفرد، جمعه كواعب وهى التى استدار ثديها . والاتراب: جمع مفرده ترب وهو الند أوالنديد المساوى فى السن.

[2] ـ اسرار البلاغة:179.

[3] ـ دلائل الاعجاز:61.

[4] ـ يعرض بجارية فيقول: أى صيد أنت لمن حلّ له ان يصيدك ، فأما انا فإن حرمة الجوار قد حرمتك علىّ .أنظ : أدب الكاتب ،ص:

[5] ـ عبد المتعال الصعيدى. بغية الايضاح فى تلخيص المفتاح، مكتبة الاداب:114/3.

[6] ـ دلائل الاعجاز:3...

[7] ـ قضايا النقد الادبى:313- 315.

كما أكد الإمام عبد القاهر أهمية السياق الذي وجدت فيه الاستعارة، وبـين أن المبالغة التي تدعي للاستعارة ليست في المعني نفسه الذي يقصده المتكلم، ولكن في طريق إثباته وتقريره إياه، ويرى أننّا لا نجد أحداً يقول "هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعد مكانها من النظم، وحسن ملاءمتها معناهـا لمعـاني جاراتهـا وفـضل مؤانستها لأخواتها"([1]).

فالاستعارة استخدام الوحدة اللغوية خارج حدودها التي وضعت "أصلا" لها، مع ضرورة وجود قرينة ملفوظة في النص أو ملحوظة من خلال السياق، تعمـل كصمام الأمان لتمنع إرادة الدلالة الوضعية الأصلية.

فالشكل اللغوي البلاغي الذي يعد سياجاً تركيبياً للاستعارة هو شـكل التـشبيه الذي حذف أحد طرفيه، تارة المشبه، وتارة المشبه به، وصـرف مدلولـه إلـي المجاز، بفعل السياق اللغوي الذي يضمه([2]).

فالكلمة أو الجملة ليس لها معني حقيقي محدد بكيفية نهائية، وإنّما الـسياق هو الذي ينتجه، إذ أن السياق مجموعة من الأحداث تحدث معاً في آن واحد.

[1] - دلائل الاعجاز:63.
[2] - عدنان بن ذريل .اللغة والبلاغة. منشورات إتحاد الكتاب العرب،ص:161- 162.

المبحث الرابع

توظيف السياق في درس أسلوب المعاني

مدخل:

علم المعاني هو العلم الذي يبين وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها([1])، كما يهدف إلي دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن([2])، فإنّه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معني، ولكنه قد يؤدي إليك معني جديداً يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها.

ويظهر من خلال بحوث علم المعاني أن عملية تطبيق الكلام علي مقتضي الحال التي يدور عليها هذا العلم ، عملية واعية مقصودة ، من حيث انه يضطلع بدور المرشد في تلك العملية، فهو يهتم بإبراز الكيفية أو الخاصة من خواص التركيب، ثم يربطها بمقامها أو الحال الملائم لها. يقول السكاكي: " ولا يخفي عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترحيب، ومقام الجد في كل ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء علي الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء علي السؤال يغاير مقام البناء علي الإنكار. جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضي غير مقتضي الآخر.

ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شان الكلام في باب الحسن والقبول والخطابة في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضي الحال"([3]).

فعلي مقتضي سياق الحال تشكلت التركيبة الداخلية لعلم المعاني. وأهم ما يمكن أن نصنف إليه تلك المقامات التي ذكرها السكاكي ما يلي:

1 – مقامات الكلام بحسب المقاصد والإغراض، كالشكر والشكاية، والتهنئة والتعزية والمدح والذم، والترغيب والترحيب، وما إلي ذلك.

---

[1]- عدنان بن ذريل . واللغة والبلاغة . منشورات اتحاد الكتاب العربي ، ص : 161 – 172 .

[2]- الإيضاح ، ص : 37

[3]- مفتاح العلوم : 168

2 – مقامات الكلام بحسب المخاطب، من حيث كونه ذكياً أو غبياً، وكونه عالمـاً أو جاهلاً.

3 – مقامات الكلام بحسب السياق، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام.

4 – مقامات الكلام بحسب الموقف، فلكل حد ينتهي الكلام مقام، وهنا يكون الكلام عن الإيجاز والإطناب والمساواة، والمواقف التي تقتضي كلامها.

ونظرية مقتضي الحال، نظرية معقدة، لأنها تجمع في ثناياهـا عناصـر الخطاب الأربعة، المتكلم، والمخاطب، والسياق، والموقف، وتربط بـين الكـلام وحال كل عنصر من هذه العناصر. وهي في حقيقتها لا تقّيد المتكلم بقوالب معينة، أو أنماط أسلوبية محددة، وإنما تتيح له حرية مطلقة في اختيار التركيب الذي يراه مناسباً للسياق، والحال والظروف التي تكتنف عملية الكلام.

فعلم المعاني مرتبط بالسياق اشد الارتباط إذ إنّه ليس دراسة جزئية لأواصـر النصوص، أو تمثيلاً لتتابعاتها الفنية، من أجل حيازة حكم معياري، إنّما هو فـي كيانه العام، تتابع استقرائي منظم لذرات الشحنات وهي تدخل منحنيات التراكيب، وتوجه الألفاظ، ضمن لون نسيجي، وصياغي مخصوص، من أجل إنتـاج دلالـة مميزة، موجهة معيارياً([1]). ومن هنا وردت أراء أهل اللغة والبيان مؤكدة حضور السياق في درس المعاني، يقول ابن خلدون: " كل معني لا بد أن تكتنفـه أحـوال تخصه فيجب أن نعبر عن تلك الأحوال في تأدية المقصود، لأنها صفاته، وتلـك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع. وأمـا فـي اللسان العربي فإنّما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تركيب الألفاظ وتأليفها، مـن تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب([2]).

فابن خلدون في محتويات نصه يؤكد مقتضيات الأحوال وحضور السياق في تناول درس المعاني. فعلم المعاني يدرس الأحوال أو مقتضي الأحوال من حيـث حركتها الفنية داخل السياقات، وما يقتضيه المقام لحدوثها، والأحوال هي المقامات أو المواقف التي يجب أن يضع المنشئ كلامه علي صـورته. ومقتـضاها هـو

[1]- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص : 226
[2]- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص : 226

الأسلوب الذي ينسج علي منواله المنشئ كلامه، ويصوغ ألفاظه، ويضع لها التراكيب؛ لتناسب الحال "الموقف". وبناء علي هذا، فإن المفردة في محيط المعاني لا تحظي باهتمام لذاتها، ولا تسلط عليها أضواء الحكم بالجودة أو الرداءة لأن قيمتها الجمالية لا تدرك إلاّفى السياق وهي تؤدي دوراً متميزاً داخل منظومة التراكيب، إلي جانب الوحدات اللغوية الاخري داخل السياق.

ويتضح دور السياق جلياً في موضوعات التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والوصل والفصل وغيرها، وهذا تناول للدراسة لهذه الأساليب.

توظيف السياق في درس أسلوب الخبر والإنشاء : -

يجمع أهل البيان علي أن الكلام ينحصر في أسلوبين:

الأول: أسلوب الإخبار، ويعنون به كل كلام يدخله التصديق والتكذيب([1])، وأن النسبة الكلامية المفهومة من النص حين تطابق ما في الخارج، يكون الكلام صدقاً، والمُخبِر به صادقاً أو غير مطابق له فيكون الخبر كاذباً والمُخبِر به كاذباً([2]).

الثاني: أسلوب الإنشاء، ويعنون به كل كلام لا يدخله التصديق أو التكذيب. فبناء الدلالة في الأسلوب الإنشائي يتخذ خطاً مغايراً لما يكون عليه في الأسلوب الخبري ومركز الثقل فيهما النسبة الخارجية للتعبير اللغوي، حيث مع الخبر تصدق مع الواقع أو تتنافي معه، ومع الإنشاء ينظر إلي قيام الدلالة دون النظر إلي عنصر المطابقة مع الواقع الخارجي، أي أن نسبته في الأصل لا يقصد لها احتمال جانبي الصدق والكذب.

والواقع الخارجي بالنسبة للأساليب الإنشائية هو الواقع القائم في نفوس المتلقين، مع التمني، والأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والمدح والذم، والعقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، والمقاربة، أو عدم قيامه في نفوسهم. ويلعب السياق دوراً أساسياً وجوهرياً في إجلاء صور هذين الأسلوبين.

---

[1] أدب الكاتب . ابن قتيبة ، ص : 4

[2] شروح التلخيص ، دار السرور . بيروت ، ص : 173

- توظيف السياق في درس أسلوب الخبر:

يعتمد الأسلوب الخبري في صياغته وتركيب جملته علي فكرة مقتضي الحال، أي يجب علي المتكلم مراعاة حال المخاطب، ومن ثم مخاطبته بالطريقة التي تليق به، ومعرفة إن كان جاهلاً بالخبر لا يعرف عنه شيئاً أو منكراً له أو متردداً في صدقه. فإذا كان المخاطب لا يعلم من الأمر الملقي إليه شيئاً، ُألقي إليه الكلام مجرداً من أي مؤكد لفظي، لأن حال جهله بالخبر تقتضي ذلك([1]).

مثل قوله تعالي: ((وا يهدي إلي دار السلام ويهدي من يشاء إلي صراط مستقيم))([2]). والحالة الثانية التي يمكن أن يكون عليها حال المخاطب، وينبغي أن يكون الكلام مطابقاً لها، هي علمه بذلك الخبر، ورغبة المتكلم في إخباره، أنّه يعلم بالموضوع، كما في قوله تعالي: ((ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا))([3]). فالمخاطبة أكثر الناس علماً بابيها وأمها، فقد كانت من بيت ُيعلم شرفُه ومكانتُه في القوم.

وقد تقتضي حال المخاطب وسياق الموقف أن يؤكد له الكلام بأحد المؤكدات إذا كان شاكاً في الأمر ظاناً أو متردداً أو منكراً له تماماً([4])، نحو قوله تعالي: ((قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ ما شاء ا))([5]). فالآية الكريمة تخاطب قوماً يرون في الرسول صلي ا عليه وسلم القدرة علي أن يملك لنفسه الضر والنفع ويعلم الغيب. فناسب حالة الشك هذه أن يقترن الأسلوب بالنفي والاستثناء – وهي طريقة من طرق التأكيد وما ذلك إلاّ لإزالة الشك في نفوس المخاطبين([6]).

أما عند مخاطبة المنكر للأمر، فلا بد من سبر أغوار نفسه، ومعرفة مدي قوة ذلك الإنكار حتى يأتي الخطاب مقروناً بمؤكدات كافية تناسب ذلك الانكار، وحتى يكون الكلام مطابقاً للحال. ومن ذلك قوله تعالي: ((واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنّا إليكم

---

[1] شروح التلخيص 1/ 194 – 2.8

[2] النور : 46

[3] مريم : 28

[4] شروح التلخيص 1 / 2.5

[5] الأعراف : 188

[6] ـ تفسير المراغى . أحمد مصطفى المراغى.1394- 1974،:136/3.

مرسلون، قالوا ما أنتم إلاّ بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون، قالوا ربنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون))([1]).

فاقتضي ما هم عليه من حال الإنكار في المـرة الأولـي أن يـأتي كـلام المرسلين مؤكداً بأحد المؤكدات، وهي (إن) فقط. واقتضت حال الإنكار الثانيـة، وهي أشد من الأولي، أن يأتي السياق الكريم بأكثر من مؤكد([2])، لإثبات ما جاءوا به ولإزالة تكذيب المخاطبين وإنكارهم للدعوة الراشدة، فجاء فـي سـياق الآيـة الكريمة (إن، ولام الابتداء)، التي اقترن بها الخبر، مع ما يشعر بالقسم في قولـه تعالي: ((ربنا يعلم)) لذا لابد للمتكلم من مراعاة حال المخاطب وما يحيط به من ظروف حالية أو مقاليه حتى يعلم إلي أي من هؤلاء ينتمي مخاطبه، ليلقـي إليـه الكلام موافقاً ومطابقاً لتلك الحال.

توظيف السياق في درس أسلوب الإنشاء: -

إن السياق والقرائن المصاحبة، لهما دور متميز في توجيه البني التعبيريـة في الأسلوب الإنشائي بأشكاله المتنوعة، فالأساليب الإنشائية لها أطراف حكائيـة خارجية، وهي المتضمنة لدلالاتها، وقد تجاوزت تلك الأساليب دلالاتها التقريريـة النمطية اعتماداً علي السياق إلي فضاءات تعبيرية جسدت الصياغة الفنية المتميزة باحتوائها علي عناصر الإثارة والإقناع والتشويق والتحسر والتعظـيم والتأنيـب وسواها من أساليب الخروج علي مقتضي الظاهر.

فالأمر وهو طلب الفعل من الأعلي إلي الادني علي وجه الوجوب والإلزام([3])، قد يخرج عن معناه الحقيقي للدلالة علي معانٍ أخري يحتملها لفظ الأمر وتـستفاد من السياق وقرائن الأحوال. ومن هذه المعاني:

1 - الدعاء: نحو قوله تعالي: ((ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الإبرار))([4]).

---

[1] يس : 15

[2] شروح التلخيص ، ص : 1 / 2.6

[3] شروح التلخيص : 2 / 3.8

[4] آل عمران : 193

2 – الإباحة: نحو قوله تعالي: ((وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبـيض من الخيط الأسود من الفجر))([1]).

3 – التعجيز: نحو قوله تعالي: ((يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفـذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان))([2]).

4 – الاهانة والتحقير: نحو قوله تعالي: ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))([3]).

5 – الإرشاد: نحو قوله تعالي: ((استشهدوا شهدين من رجالكم))([4]).

6 – التهديد: نحو قوله تعالي: ((أعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير))([5]).

هذا وقد خرج الأمر في كل ما سبق إلي دلالات أخري خارج الطلـب أدركناها من مجري السياق، وهناك العديد من المعاني التي يفصح عنهـا سـياق التركيب غير التي ذكرناها.

فالسياق يعتبر العمود الفقري في كثير من الأساليب البلاغية منها النهي والنداء والتمنى والاستفهام وغيرها من الأساليب، ولا تتضح دلالـة تلكـم الأسـاليب إلاّ بالاعتماد علي السياق اللغوي أحياناً وغير اللغوي في أحايين أخري، مع مراعـاة حال المخاطب الذي يمثّل جوهر هذا الأسلوب.

– توظيف السياق في درس أسلوب التقديم والتأخير:

للجملة نظام مألوف في الترتيب، غير أنّها تسمح للناظم أحياناً بالعـدول عن هذا الترتيب تقديماً وتأخيراً، وفق ما تقتضيه عملية الإبداع الفني في التعبير.

فالتقديم والتأخير سبيل من سبل النظم إلي نقل المعاني، كما هي مرتبة في ذهن المتكلم، بحسب أهميتها عنده، فيكون صورة صادقة لإحساس المتكلم وصدق مشاعره. يقول الإمام عبد القاهر: "أنّه يجب ترتيب المعاني في النفس قبل ترتيبها في النظم"([6]).

---

[1] البقرة : 187

[2] الرحمن : 33

[3] الدخان : 49

[4] البقرة : 282

[5] فصلت : 4.

[6] دلائل الإعجاز : 56 الطحاوي . مقتضي الحال ، ص : 213

ويقع مبحث التقديم والتأخير في بؤرة مباحث الأسلوب الـدائرة حـول التركيب، يكتسب هذا المبحث أهمية خاصة من حقيقة أنّه يخضع فـي كـل لغـة للطابع الخاص بها، فيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل الجملة، وهو من الظـواهر الأسلوبية الشائعة في القرآن الكريم، وذلك لما له من تأثير في اللفظ والمعني([1]).

وموقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة، كما هي شديدة الحـساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغيرات جوهرية في السياق وفي تشكيل المعاني، وألوان الحـس وظلال النفس([2])، فقولنا: زيد جاءني، يختلف عن قولنا: جاءني زيد، فتقديم الفعل يفيد التجدد والاستمرار بينما يفيد تقديم الاسم الثبوت.

ويبدو أن رصد أهل البلاغة لسياقات التقديم والتـأخير داخـل منظومـة النص، جاء من مقولة" الأصلية" أي: أن الأصل في موضع المسند إليه داخل بنية التركيب هو الصدارة هذا إذا كان المسند إليه (مبتدأ)، علي أساس ثنائيـة الرتـب المحفوظة وغير المحفوظة([3])، أما إذا كان المسند إليه (فاعلاً) فـإن الـضرورة تقتضي أصلاً أن يتأخر عن الفعل تأسيساً علي ثنائية الرتب السالفة الـذكر. وقـد رصد أهل البلاغة سياقات تقديم المسند إليه علي المسند مستـشفين مـن خلالهـا أبعادها البلاغية، منهاعلى سبيل المثال: تقوية الحكم وتقريره، نحو قوله تعـالي: ((والذين هم بربهم لا يشركون))([4])، إذ إن تقديم المسند إليه وتكريره مستتراً فـي الفعل أدي إلي التقوية والتقرير. وأما سياقات تقديم المسند علي المسند إليه فمثالـه قوله تعالى: ((لكم دينكم ولي دين))([5]).

أما سياقات تقديم متعلقات الفعل عليه فهي الاختصاص، قال تعالي: ((اياك نعبد وإياك نستعين))([6]).

وهذا الضرب من السياق هو مناط الجمال في قوله تعالي: ((وجعلـوا شركاء الجن))([7])، ذلك أنّه "ليس بخاف أن لتقديم (شركاء) حسناً وروعة ومأخـذاً

---

[1] الطحاوي . مقتضي الحال ، ص : 175

[2] محمد أبو موسي . دلالات التراكيب ، ص : 157

[3] الأسلوبية وثلاثة الدوائر البلاغية ، ص : 291

[4] المؤمنون : 59

[5] الكافرون : 6

[6] الفاتحة : 5

[7] الإنعام : 1..

من القلوب، أنت لا تجد شيئاً منه إن أنت أخرت فقلت: (وجعلوا الجن شركاء)
وانك تري حالك حال من نُقل عن الصورة المبهجة والمنظـر الرائـق والحـسن الباهر إلي الشئ الغفل الذي لا تحلي منه بكثير طائل... وبيانه أنّا إن كنـا نـري جملة المعني ومحصوله أنّهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع ا تعالي، وكـان هذا المعني يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم (الشركاء) يفيد هـذا المعني، ويفيد معني آخر، وهو أنّه ما كان ينبغي أن يكون شريك، لا من الجن ولا من غير الجن"([1]).

فالدقة في أداء المعني اقتضت التقديم، وكذلك الشأن في كل تركيـب، فإنّه يأتي تلبية للمعني المراد، وأي تدخل فيه بالتغيير يفضي إلي تغييـر المعنـي فالتقديم والتأخير أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، فينبغي إرساله مطابقاً لمـا يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب.

كما أن المتكلم قد يلجأ إلي تغيير مواقع عناصر التركيب لإغـراض بلاغيـة يريد تحقيقها، بالإضافة إلي أنّه يسعي إلي جعل خطابه يستجيب لحـال مخاطبـه، لتحقيق التفاعل والانسجام.

فترتيب الألفاظ في النظم مقصود، ويجب أن يكون له ما يبـرره؛ لأن كـل موقع يختص بخصوصية يقتضيها سياق وينافيها سياق آخر؛ لأنّه كما يقول الإمام عبد القاهر: " لا يكون ترتيب في شئ حتى يكون هناك قصد إلي صورة وصـفة، إن لم يقدم فيه ما قدم، ولم يُؤخر ما أخّر، وبُدئ بالذي ثُني به، أو ثُني بالذي ثُلث به، لم تحصل تلك الصورة وتلك الصفة"([2]).

توظيف السياق في درس أسلوب الذكر والحذف:

إن للجملة العربية نظاماً معيناً في ترتيب مفرداتها وفي تركيبها، غير أن نظامها هذا ليس جامداً، فلا يعني احترامه حتمية الخضوع له، بل يتسم بمرونـة يجوز معها مخالفته والخروج عنه، لتحقيق إغراض دلالية تواصلية أخري. ومـن صور المخالفة التي يتعرض لها الكلام ظاهرة الحذف، فالأصل في الكلام أن تذكر

---

[1] دلائل الإعجاز : 286
[2] دلائل الإعجاز : 364

أجزاؤه التي تؤدي معناه تامة دون حذف، إلاّ أنّه قد يجوز حذف احد ركني الجملة أو أحد المكملات لها، لغرض بلاغي يساعد علي الإيحاء بمعانٍ ومـشاعر تزيـد الكلام قوة وتأثيراً. وبالنظر إلي ما يكتسبه الحذف من دلالة هامـة فـي تركيـب الجملة العربية عقد له الإمام عبد القاهر باباً ليدلل علي مدي ارتبـاط الإغـراض التواصلية بالوجوه التركيبية الصورية، مبيناً فاعلية السياق وفاعليـة المخاطـب، ودور المقام في صياغة الكلام([1]). فمن المقامات التي تقتضي حذف المسند إليه ما نص عليه أئمة العربية خصوصاً الإمام عبد القـاهر والـسكاكي مـن أغـراض تواصلية: كعلم السامع بمراد المتكلم لأن ذكر المعلوم عبث.

فالمعلوم أن المسند إليه ركن أساسي في الجملة والأصل في ركني الجملة العربية أن يُذكرا، فلا يعدل المتكلم عن ذكر احدهما إلي الحذف، إلاّ إذا كان فـي السياق قرينة تدل عليه، إذ لا حذف إلاّ بقرينة. وقد نص سيبويه علي ذلك([2]).

كما تعرض النحاة لمسالة تمام الجملة بحثاً عن احد مطلوبات أجزائها غير الملفوظ به، وكان نظرهم في تمام الجملة أولاً منصباً حول ما يضمر من الأفعال أو الأسماء، فذكروا في الفعل أن في اضماره وإظهاره ثلاثة أضرب: " ظـاهر لا يحسن إضماره، ومضمر مستعمل إظهاره، ومضمر متروك إظهاره"([3]).

فالأول: مثل أن تقول: (زيداً) وأنت تريد(كلّم زيداً) فأضمرت ولم يتقدم ما يـدل علي (كلم).

والثاني: مثل قولك: (زيداً ورأسه)، تريد: أضرب رأسه.

والثالث: مثل أن تقول: (الأسد الأسد)، نهيته أن يقرب الأسد.

ويلاحظ أن كل هذه الحالات الثلاثة، تحكمها الحال المشاهدة، أومـا يـسمي بسياق الموقف، يقول ابن جني: " قد حذفت العرب الجملة والمفـرد، والحـرف، والحركة، وليس شئ من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكلّـف علم الغيب في معرفته"([4]).

---

[1] نفس المصدر ، ص : 146 – 17.

[2] سيبويه . الكتاب . تحقيق : عبد السلام هارون. دار الكتب ، العلمية ، : 1 / 173

[3] الأصول في النحو: 2 / 247

[4] المصدر السابق . وانظر : الكتاب : 1 / 296 – 297

وخلاصة الأمر أن السياق يحدد المحذوف ويبينه ويوضح موضعه.

توظيف السياق في درس أسلوب الوصل والفصل:

لتأليف الجمل في التراث البلاغي مظهران، عُرفا باسم (الوصل والفصل)، وهما ظاهرتان لمظهر جمالي واحد، وهو إحكام النسق وتراسل المعاني بحسب وجودها في النفس.

ولاختيار احدهما والعدول عن الأخر في الأسلوب الأدبي مسلك دقيق؛ لذلك عدوه حداً من حدود البلاغة، فالجاحظ يروي ضمن ما يرويه من حدودها: أنّه قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال:" معرفة الفصل من الوصل"([1]). وقد اقر ذلك الإمام عبد القاهر حين قال: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها علي بعض، أو ترك العطف فيها، والمجئ بها منشورة، تستأنف واحدة منها بعد أخري من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتي لتمام الصواب فيه الأعراب الخاص، إلاّ قوم طُبعوا علي البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد .. ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة"([2]).

فالمرجع الأهم في حسن الوصل والفصل هو موافقة المعني ومجئ كل منهما في موضعه علي ما يقتضيه السياق، فإن جاء أحدهما مكان الأخر قبح. وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر بقوله: " وما هو أصل في هذا الباب، أنّك قد تري الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلي ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمر عرض فيها، صارت به أجنبية مما قبلها. مثال ذلك قوله تعالي: ((ا يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون))([3]). الظاهر كما لا يخفي يقتضي أن يعطف علي ما قبله من قوله تعالي: ((إنّما نحن مستهزؤن))([4])، وذلك أنّه ليس بأجنبي منه، بل هو نظير ما جاء معطوفاً في قوله تعالي: ((يخادعون ا وهو خادعهم))([5]). وقوله تعالي: ((ومكروا ومكر ا))([1]). وما

---

[1] البيان والتبيين : 1 / 66
[2] دلائل الإعجاز : 222
3 البقرة : 15
4 البقرة : 14
5 النساء : 142

أشبه ذلك مما يُرد فيه العجز علي الصدر، ثم انك تجده قد جاء غير معطوف، وذلك لأمر اوجب أن لا يعطف، وهو أن قوله تعالى: ((إنّما نحن مستهزؤن)) حكاية عنهم أنهم قالوا، وليس بخبر من الله تعالي، وقوله تعالى: ((الله يستهزءبهم)) خبر من الله تعالى أنّه يجازيهم علي كفرهم واستهزائهم، وإذا كان كذلك، كان العطف ممتنعاً، لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالي معطوفاً على ما هو حكاية عنهم، ولإيجاب ذلك أن يخرج من كونه خبراً من الله تعالى، إلي كونه حكاية عنهم ، وإلى أن يكونوا قد شهدوا علي أنفسهم بأنهم مأخوذون، وأن الله تعالي معاقبهم عليه. وليس كذلك الحال في قوله تعالي: ((يخادعون الله وهو خادعهم))([2])؛ وقوله تعالى: ((ومكروا ومكر الله))([3])؛ لأن الأول من الكلاميين فيهما كالثاني، في أنّه خبر من الله تعالي وليس بحكاية"([4]).

فالمعول عليه في الاختيار هو المعني المراد، وما يحيط به من ملابسات سياقية، فإن استقام المعني مع الفصل، فالموضوع له، وإن لم يستقم المعني كان الموضوع موضوع الوصل، أو العكس([5]).

فالفن الأدبي يحتاج إلي تأمل وتدبر، والي فكر وروية، والي ضروب من الاختبار لتعلوا منزلته، ويظهر فضله، وإلاّ كان رديئاً، فالمتكلم يختار مادته من الرصيد اللغوي، ثم يختار لهذه المادة التركيب أو السياق الذي تأخذ فيه كل لفظة مكانها الملائم، وصولًا إلي الشكل الفني الذي يؤدي المعني الأدبي أداء جمالياً.

توظيف السياق في درس أسلوب القصر:

القصر في اصطلاح البلاغيين يعني تخصيص شئ بشي بطريق مخصوص، أو تخصيص أمر بآخر بالطرق الأربعة المعروفة([6]).

---

1 آل عمران : 54

2 النساء : 142

3 آل عمران : 54

4 دلائل الإعجاز : 231 – 232

5 د . حامد صالح خلف الربيعي . مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء . منشورات جامعة أم القري . 1416 – 1996 ، ص: : 167

6 مختصر المعاني : 2 / 66. وهى:

أـ القصر بالنفى والاستثناء نحو: ما شوقى إلاّ شاعر، أو ماشاعر إلاّشوقى.

ب – القصر ب"إنما" نحوقوله تعالى ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)). والاصل فى القصر ب"إنما"أن تجىء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط. أو لما هو منزل هذه المنزلة، فمن الاول قوله

وقد عالج البلاغيون أسلوب القصر في ضوء نظرية "مطابقـة الكـلام لمقتـضي الحال"([1])، فكثرت أقسامه؛ لأن الأحوال التي يرتبط بها وتراعي فيه متعددة، وكل منها يقتضي مطابقة تتناسب مع طبيعته، فهناك مطابقة باعتبار حال المقصور([2])، ومطابقة باعتبار حال المخاطب([3])، وهناك مطابقة باعتبار الغرض من الكلام([4]). وخلاصة القول إن البناء الدلالي لجملة القصر يشكل بحسب حال المخاطب، ومـا يكون عليه من اعتقاد للشركة، أو العكس، أو التردد، فيختار المتكلم له ما لم يكن واثقاً من اختياره، كما في قصر الإفراد نحو: ما زيد إلاّ كاتب ، لمـن يعتقـد أن زيداً كاتب وشاعر([5])، أو يعكس مفهومه، كما في قصر القلب، نحو: ما شاعر إلاّ زيد لمن اعتقد أن الشاعر عمرو لا زيد . وسُمي بقصر القلب، لقلب المتكلم حكم المخاطب([6]) أو يحدد له ما لم يكن محدداً، كما في قصر التعيين، نحو: ما شـاعر إلاّ زيد، لمن يعتقد أن الشاعر إما زيد أو عمـرو مـن غيـر أن يعرفـه علـي التعيين([7]).

وبهذا يتضح أن أسلوب القصر مرتبط ارتباطاً عضوياً بالسياق ومقتضيات الأحوال، علي مستويات ثلاثة، هي: الغرض، وحال المقصود، وحال المخاطـب. وعلي المتكلم لكي يحقق الصواب البلاغي، أن يتوخي المطابقة ويراعي الـسياق بين بناء جملة القصر، وما يقتضيه كل من هذه الثلاثة معاً.

توظيف السياق في درس أسلوب الإيجاز والإطناب:

حدد البلاغيون للإيجاز مواضع، وللإطناب مواضـع، فـي ظـل مقـولتهم المشهورة "مقتضي الحال" فلكل منها مقامه، فما يصح فيه الإطناب، لا يصح فيه

تعالى:((إنما يستجيب الذين يسمعون)) وقوله تعالى: ((إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)). ومن الثانى قوله تعالى حكاية عن اليهود: ((إنما نحن مصلحون))، فهم قد إدعوا أنّ اصلاحهم أمر جلى لاشك فيه . وقال الشاعر :

أنا الذائد الحامى الذمارا وإنمّا يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

ج- القصر بالعطف بلا، وبل، ولكن،نحو: الارض متحركةلا ثابتة، أو: ما الارض ثابتة لكن متحركة .

د- القصر بتقديم ما حقه التأخير نحوقوله تعالى: ((إياك نعبد وإياك نستعين)).

1 عروس الأفراح : 2 / 166

2 نحو : ما خاتم الرسل إلا محمد " ص " . ما زيد إلا كاتب

3 نحو : ما زيد إلا شاعر

4 انظر : المطول : 2.4 ، التلخيص : 137

5 مختصر المعاني : 2 / 7.

6 المطول : 2.8

7 المطول : 2.8

الإيجاز، انطلاقاً من مراعاة سياق الحال يقول الجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام علي أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني علي أقدار المقامات، وأقدار المستمعين علي أقدار تلك الحالات"([1]).

كما لابد من مراعاة سياق الموقف في كل مقام، يقول الجاحظ : " وجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا انشدوا الشعر بين السماطين في مدح الملوك أطالوا، وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك عن عجز ... ورأينا ا تبارك وتعالي، إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام"([2]). ومثاله قوله تعالى: ((قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ ا ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون ا))([3])

فعندما يقتضي سياق الموقف الإيجاز، فالبلاغة في أن يأتي الكلام موجزاً، وعندما يقتضي الإطناب، فالبلاغة في أن يأتي الكلام مطنباً. ولعل أول من وضع الملاءمة للسياق بين الكلام والمقام كمقياس بلاغي في صنعتها النهائية، هو الرماني، حيث يقول: " فأما الإطناب فإنّما يكون في تفصيل المعني وما يتعلق به في المواضع التي يحسن ذكر التفصيل، فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعاً يكون به أولي من الآخر، لأن الحاجة إليه أشد، والاهتمام به أعظم"([4]).

فمقياس الجودة في استخدام أسلوب الإيجاز والإطناب يكمن في مراعاة السياق وملاءمة كل منها لمقامه، والحالة التي تقتضيه، فما وافق السياق فهو المحمود، وما خالفه فهو المذموم، يستوي في ذلك الإيجاز والاختصار والإطناب والتطويل،

- 1 البيان والتبيين : 1/ 139
2- دلحيوان : 1 / 92 – 94
[3]- آل عمران:64
3- الروماني . النكت في إعجاز القران : 78 – 79

إذا طابق كل منهما مقتضي الحال كان بلاغة، وإذا لم يطابقه خرج عـن دائـرة البلاغة.

توظيف السياق في درس أسلوب التعريف والتنكير:

يعتمد أسلوب التعريف والتنكير اعتماداً أساسياً علي الـسياق المقـامي أو سياق الموقف وقد تناول سيبويه([1]) هذا الأسلوب وحاول أن يربط بينه وبين طبيعة المخاطب، وإن كان هذا لا ينفي وجود المتكلم في الصياغة باعتبـاره مـصدرها وخالقها.

وقد قام الإمام عبد القاهر([2]) في دراسته في هذا المجال بتحليل أنماط النظم أو الأسلوب الذي فيها أحد طرفي الإسناد معرفاً أو منّكراً ، أو جـاءا معـرفتين، معتمداً في تحليله ذلك علي السياق، خاصة ذلك المتصل بالجانـب النفـسي فـي ترتيب المعني، مما هيأ للبلاغيين أن يربطوا بين سياقات معينة وبين مجئ المسند إليه معرفاً أو منّكراً، وكذلك المسند.

وهذه بعض الإشارات التي توضـح ارتبـاط الـسياق بـدرس التعريـف والتنكير:.

أولا : توظيف السياق في درس أسلوب التنكير: -

دراسة سياق التنكير عامة تؤكد نتيجة مهمة، وهي أن الحدث الكلامي له معني، ومن ثم فإن دراسة هذا المعني يبرز لنا طبيعة السياق واضحة جلية، وذلك مرتبط بالشكل السطحي للأداء واتصاله بالمعني الذي افرزه العقل([3]).

فعندما يقول الشاعر:

إذا سئمت مهنده يمين   لطول العهد بدله شمالا

نجد أن السياق أصلاً كان يقتضي تعريف" يمين"، لكن طبيعـة الـصياغة اقتضت التنكير، من حيث كان التعريف يعطي إفادة معنوية غير مقصودة وهـي

---

1 الكتاب : 1 / 22

2 دلائل الإعجاز : 196

3 محمد عبد المطلب ، دكتور . البلاغة والأسلوبية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1984 ، ص : 26.

نسبة السآمة ليمين الممدوح بقوله " يمينـه". وتكـاد سـياقات التنكيـر تخـصتر فيمايلي([1]):

1 – الدلالة علي الفردية أو النوعية، ففيه يعتمد السياق إلي غرض المتكلم إذا لـم يقصد الدلالة علي فرد معين من الإفراد التي يصدق عليها مفهوم اللفـظ ، نحـو: جاء رجل، أي: فرد من أشخاص الرجال، ولم يعين؛ لأن الغرض لم يتعلق بتعيينه وأن كان معروفاً.

2 – الدلالة علي التعظيم أو التحقير أو التكثير أو التقليل وهذا السياق يعود إلـي المتكلم في أن المنكر قد بلغ شاناً في الارتفاع أو الانحطاط وصل إلي حد يوهم أنّه لا يمكن أن يعرف، فتقول في جميع ذلك: عندي رجل، أو حضر رجـل، ومنـه قولهم:"(شر أهر ذا ناب"([2])، فالسياق يدل علي عِظَم هذا الـشر، فـإن الـسياق يقتضي ذلك.

ثانياً: توظيف السياق في درس أسلوب التعريف: -

تتكاثر سياقات التعريف إلي حد تنضوي فيه كل صور المعرفة للمسند إليه أو للمسند، تحت نظام المعني الذي يمتلكه المتكلم. وتستمد هذه السياقات قوامها مـن الحصر النحوي لمسالة التعريف([3])، بحيث يكون لكل نوعية من أنواع المعـارف سياقها الذي يمتد ليفسر كل ما يصدر من تراكيب من خلال مقامات الكلام، وهي:

1 – التعريف بالإضمار: ويدل علي عموم الحاضر أو الغائـب دون تخـصيص لغائب أو حاضر بعينه([4]). وهذا الحضور قد يكون حضور تكلم، كأنا، ونحن، وقد يكون حضور خطاب، كأنتَ وأنتِ، والغيبة قد تكون شخصية، كهو، وهي. وهـذه الضمائر في مجملها لا يمكن وصفها بالتعريف أو التنكير في النظام، وإنّما تكون معرفة حين ترتبط بالسياق، وتعين علي ذلك القرائن كالحضور بالنـسبة للمـتكلم والمخاطب والمرجع بالنسبة للغائب([5]).

1 البلاغة والأسلوبية ، ص :
2 مجمع الأمثال للميداني : 1 / 326
3 - السيوطى . همع الهوا مع ، 1 / 19. ، تحقيق : عبد السلام هارون وعبد العال مكرم ،دار البحوث العلمية.
4 اللغة العربية معناها ومبناها ، ص :
5 نفس المصدر ، ص :

فسياق التكلم يقتضي مجئ الضمير الذي يؤدي هذه الوظيفة، كقول النبـي صلي ا عليه وسلم: ((أنّا النبي لا كذب أنّا ابن عبـد المطلـب))([1]). وسـياق الخطاب يستدعي ضميره، كقول أُمامة الخثعمية([2]).

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني .... واشمت بي من كان فيه يلوم

وسياق الغيبة يستدعي ضميره أيضاً، شريطة أن يتقدم عليه مرجعه لفظـاً أو معناً أو تحقيقاً، أو تقديراً([3]).

2 – التعريف بالعلمية: وسياقه يرتبط أساساً بقصد المتكلم من حيث يريـد بـالعلم إحضاره في ذهن السامع باسم يختص به، بحيث لا يطلق علي غيـره، باعتبـار وضعه لهذه الذات المعينه ابتدائيا، أي: للمرة الأولي، كقوله تعالي: ((وإذ يرفـع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل))([4]).

3 – التعريف بالموصولية: وسياقه يرتبط أساساً بالمخاطب، لأن الـصلة – كمـا يقول النحاة- ([5])، يجب أن تكون معلومة له، لأنّها وسيلة تعريف، فلا بد أن تكون معروفة، فتقول: الذي كان معنا بالأمس لا أعرفه. وقد يكون التعريف بالموصولية سياقاً إلي المدح أو الذم، بحيث يتيح للمخاطب أن يفهم من مفتتح الكلام وخاتمته، كقول الفرزدق([6]):

إن الذي سمك السماء بني لنا ..... بيتاً دعائمه أعزُ وأطولُ

فقوله "إن الذي سمك السماء" يشير إلي أن الخبر من نوع الرفعة والسمو.

1- صحيح البخارى:473/9،حديث رقم:2625

2- الأغاني - (ج 1 / ص 13.)

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضاً أرمى وأنت سليم

فلو كان قولٌ يكلم الجلد قد بدا ... بجلدي من قول الوشاة كلوم

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدمينة،

3- شرح الرضى على الكافية:481/4.

4 البقرة : 127

5 همع الهوا مع : 1 / 295

6-الأغاني - (ج 2 / ص 323)وباقيه:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

بيتاً بناه لنا المليك وما بنى ... ملك السماء فإنه لا ينقل

بيتاً زرارة محتبٍ بفنائه ... ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل

ومن ذلك سياق التفخيم والتهويل، لما في الموصول من إبهام وغموض كقوله تعالي: ((فغيشهم من اليم ما غشيهم))([1]). فالذي غشيهم أمر غير مـدرك لـشدة هوله.

4 – التعريف بالإشارة: وسياقه يجمع بين الارتبـاط بمقـصد المـتكلم وطبيعـة المخاطب، وحسية المشار إليه، ولابد في هذا السياق من صحة إحـضار المـشار إليه في ذهن المخاطب بوساطة الإشارة، ينضاف إلي ذلك تـوفر المقـام الـذي يستدعي التمييز والتعيين، كقول ابن الرومي([2]):

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه ...... من نسل شيبان بين الضال والسلم

كما أن اسم الإشارة بتركيبه الحرفي يتصل بالسياق فيفيد حالة القرب أو البعد أو التوسط مثل: هذا، وذلك، وذاك.

5 – التعريف باللام: ويكون سياقه مرتبطاً بالصياغة في أصل وضع الكلمة، حيث يمثل إضافة أداة التعريف تعميقاً لحقيقة اللفظة، كقولنا: الماء مبدأ كل حي، ونعـم الرجل وبئس الرجل.

كما تأتي اللام للدلالة علي العموم والاستغراق، فتعطي اللفظة المعرفة بهـا هذا المعني في سياقها الذي ترد فيه، كقوله تعالي: ((إن الإنسان لفي خـسر، إلاّ الذين امنوا وعملوا الصالحات))([3]).

6 – التعريف بالإضافة: ويأتي كعملية يفرضها السياق علي المتكلم من حيث لـم يكن للمتكلم إحضار المعرف في ذهن السامع طريق سوي ذلك، كقول الشاعر([4]).

هواي مع الركب اليمانيين مصعد .... جنيب وجثمانى بمكة موثق

وخلاصة الأمر أن البلاغيين في رصدهم للسياقات السابقة كانوا يتحركون من منطلقين:

الأول: يتمثل في تحديد الإمكانات التعبيرية في اللغة، وما ينتج عنها من تطبيقـات في الكلام الإبداعي أو الإخباري علي السواء([5]).

1- طه : 78

2 - مفتاح العلوم:79/1. والايضاح فى علوم البلاغة:12/1.

3 سورة العصر : 1 .

4.هو جعفر بن علبة الحارثى. انظر: خزانة الادب:4/4.،الشاهد رقم:53.والاغانى:428/3.

5 البلاغة والأسلوبية ، ص : 265

الثاني: التنوع في المحيط الأسلوبي الذي يرتبط بالموقف الكلامي، والـذي علـي أساس منه تستقر الصياغة في سياقها المحدد، بحيث يأخذ منها هذا السياق بقدر ما يعطيها([1]).

1 نفس المصدر ، ص : 265

المبحث الخامس

توظيف السياق في درس أسلوب البديع

عرف الخطيب القزويني البديع بأنّه: "علم يُعرف به وجوه تحسين الكـلام، بعد رعاية تطبيقه علي مقتضي الحال، ووضوح الدلالة، هذه الوجـوه ضـربان: ضرب يرجع إلي المعني، وضرب يرجع إلي اللفظ "([1]). لذا لابد أن يكـون فهـم البديع متفقاً مع روح نظرية النظم السياقية التي مزج فيها الإمام عبد القاهر بـين اللفظ والمعني، ولم يجعل لأحدهما مزية بمعزل عن الأخر. فالجناس والسجع لهما حسن يكتسبه التركيب، فظهوره في الصوت ينعكس علي المعني، وبالتالي فالحسن للنظم والأسلوب.

وإذا كان الحسن البلاغي في علم المعاني يتحقق بمطابقة الكلام لمقتـضي الحال، وفي علم البيان بوضوح الدلالة، فإنّه يتحقق في علم البديع بما تضفيه تلك العلوم – موضوع هذا العلم – علي الأسلوب من حسن صوتي وتركيبي ودلالـي، وما الجمال البلاغي الذي يبحث عنه في الكلام الأدبي سوي التحـسين والتـزيين الذي جعله السكاكي قاسماً مشتركاً بين مختاف الظواهر البلاغية([2]).

إن التحسين في الألوان البديعية يبرز في النص علي مستويات ثلاثة، هي:

1 – البنية الصوتية.

2 – البنية التركيبية.

3 – البنية الدلالية.

ولكل منها وظيفة سياقية تؤديها فى النظم أو الأسلوب .

أولاً: توظيف السياق في درس البديعي الصوتي :

البنية الصوتية للأسلوب تكتسب الحسن من خلال ما تقوم عليه تلك الفنـون التي تتعلق بهذا الجانب من تكرار صوتي في سياق النص، كما هو الحـال فـي الجناس([3]) والسجع([1]) والموازنة([2]) والتصريع([3])، وذلك التكرار يمثـل عنـصر

---

1 الإيضاح في علوم البلاغة : 6 / 4 ، والتلخيص 347 .

2 مفتاح العلوم :

[3]- هو أن يتفق اللفظان فى النطق أو الصوت ويختلفا فى المعنى، وهو نوعان:تام وغير تام ، فالتام ما اتفق فيه اللفظان فى أمور أربعة، هى: نوع الحروف، وشكلها ،وعددها ، وترتيبها. وغير التام : هو ما اختاف فيه اللفظان

الإيقاع الصوتي للكلام، وهذا الإيقاع بما له من خصوصية في التحسين يـنعكس حسنه علي التركيب والدلالة معاً بل علي السياق برمته.

فالجناس وقد عرفه رجال البيان بعبارات مختلفة تدور كلها حول حقيقة واحدة، وهي: "أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه ويختلف معناهمـا"([4]). وهـو مـن الفنون البديعية لما له من قيمة جمالية في الصياغة الأدبية، تتمثل تلك القيمة فيمـا "يضفيه إلي النسق اللغوي من انسجام وتناسب في البناء الصوتي يثري المعنـي، ويغني الصياغة اللغوية، فليس الجناس تلاعباً بالألفاظ أو مهـارة فـي صـناعة الجمل، أو محسناً خارجياً أو إضافياً، وإنّما هو أسلوب فني في التعبير يضيف إلي الفكرة ويزيد في جمال العبارة"([5]). ومما ورد في القرآن الكريم من هذا الفن، قوله تبارك وتعالي: ((ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم))([6]). وقولـه تبـارك تعـالي: ((يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والإبصار))([7])، وقوله عز وجـل ((يمحـق الله الربا ويربي الصدقات))([8])، فالجناس في هذه الآيات ليس محسناً إضافياً زائـداً، وإنّما هو ظاهرة بلاغية "تسهم في تشكيل الصورة الفنية، وتحقيق الإثارة والدهشة للمتلقي، وتستقطب اهتمامه بتآلفها الصوتي واختلافها المعنوي"([9]).

فى واحد من الامور الاربعة المتقدمة ، فمثال الاول، قوله تعالى:((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)). وكقول ابن الفارض:

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن فى حفر الاجداث أحيانا

ومثال الثانى ، قوله تعالى:((وهم ينهون عنه وينأون عنه)). وكقول أبى تمام:

يمدون من ايد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

[1]- هو توافق الفاصلتين فى الحرف الاخير ، وافضله ما تساوت فقره وهو ثلاثة أقسام:

- الاول:المطّرف ، وهو ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن واتفقتا فى الحرف الاخير، نحو قوله تعالى:((ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا)).

- الثانى:-المرصّع: وهو ماكان فيه الفاظ احدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها فى الفقرة الاخرى وزناً وتقفية ،كقول الحريرى:"هو يطبع الاسجاع بجواهرلفظه ، ويقرع الاسماع بزواجر وعظه".

- الثالث: المتوازى،وهو ما كان الاتفاق فيه فى الكلمتين الاخيرتين فقط ، نحو قوله تعالى:((فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة)).

[2]- هى تساوى الفاصلتين فى الوزن دون التقفية ،نحوقوله تعالى((ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة))،فإن مصفوفة ومبثوثة متفقان فى الوزن دون التقفية.

[3] - وهو توازن الالفاظ مع توافق الاعجاز أو تقاربها، ومثال التوافق، قوله تعالى:((إن الابرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم))، ومثال التقارب، قوله تعالى:((وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم)).

4 - سر الفصاحة : 183 ، وانظر المثل السائر : 1 / 3.8

[5] - عبد الفتاح عثمان،دكتور.دراسات فى المعانى والبديع. مكتبة الشباب، القاهرة،1983،ص:178.

[6]- التوبة:127.

[7] - النور:37.

[8] - البقرة:276.

[9] - دراسات فى المعانى والبديع،ص:178.

ومنه أيضاً حمل اللفظ علي اللفظ في التركيب اعتماداً علي السياق، وفـي هـذا يقول ابن سنان الخفاجي: " ومن التناسب أيضاً حمل اللفظ علي اللفظ في الترتيب ليكون ما يرجع إلي المقدم مقدماً، وما يرجع إلي المؤخر مؤخراً، ومثال ذلك قول الشريف الرضي([1]):

قلبي وطرفي منك هذا في حمي ...... قيظ وهذا في رياض ربيع

فإنّه كما قدم (قلبي) وجب أن يقدم وصفه بأنّه في حمي قيظ، فلو كـان قـال:" طرفي وقلبي منك" لم يحسن في الترتيب أن يؤخر قولـه " فـي ريـاض ربيـع" والطرف مقدم"([2]).

وهذا ما عُرف عند المتأخرين باسم اللف والنشر، ومنه قوله تعالي:((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله))([3])، ومنه أيضاً قول امرئ القيس([4]):

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً .... لدي وكرها العناب والحشف البالي

فالقي الكلام مرتباً الترتيب الذي يقتضيه المعني والسياق مع مراعاة التناسب.

ثانياً: توظيف السياق في الدرس البديعي التركيبي:

الحسن الذي يتحقق في البنية التركيبية يتمثل في التناسب القائم علي التوافق أو التضاد بين شيئين أو أشياء، كما في المقابلـة([5])، والعكـس([6])، والجمـع([7])،

---

[1] -لشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي الشاعر (355- 446.

[2] - سر الفصاحة:183. وأنظر :المثل السائر:3.8/1. سر الفصاحة - (ج 1 / ص 66)
وكذلك أيضاً قول الآخر:
فاللامعات أسنة وأسرة ... والمائسات ذوابل وقدود
لأن القدود لما كانت مؤخرة وجب أن تكون الأسرة كذلك، وأن يقدم الأسنة كما قدمت الذوابل، وأمثال هذا كثيرة.

[3] - القصص:73.

-[4] - أنظر :الايضاح فى علوم البلاغة:79/1. والماسة البصرية:22/1.

[5] - المقابلة أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ،ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب،كقوله تعالى:((يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)).

[6] - العكس، أن تقدم فى الكلام جزءاً ثم تعكس بأن تقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت ،قوله تعالى:((يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى))، وكقوله تعالى:((لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن)).

[7]- الجمع، أن يجمع المتكلم بين متعدد تحتحكم واحد وذلك قد يكون فى اثنين ،نحو قوله تعالى:((المال والبنون زينة الحياة الدنيا)) أو فى أكثر نحو قوله تعالى:((إنما الخمر والميسر والانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان)).

والتفريق([1])، والتقسيم([2])، وهذا القانون – أعني التناسب - إذا رُوعي في بنـاء الكلام، وأُجيد، أفضي إلي ما يمكن أن يطلق عليه الإيقاع الداخلي للتركيب.

وللتناسب الصوتي صور كثيرة منها: تناسب اللفظين من حيث الصيغة، وله كما يقول ابن سنان الخفاجي([3]) " تأثير في الفصاحة، ومثال ذلك ما رواه عثمـان بن جني، حيث قال: قرأت علي أبي الطيب قوله([4]):

وقد صارت الأجفان قرحاً من البكا وصار بهاراً في الخدود الشقائق([5])

فقلت: (قرحي)، فقال: إنما قلت (قرحاً) لأن قلت(بهاراً). فهذه المناسبة التي تؤثر في الفصاحة والشعراء الحذاق يعتمدونها"([6]).

ومما توافر فيه التناسب السياقي من الشعر قول أبي تمام ([7]):

مها الوحش إلاّ أن هاتا أوانس .... قنا الخط إلاّ أن تلك ذوابل

فناسب بين (مها وقنا) و(الوحش والخط).

وكذلك قول أبي عبادة([8]).

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا ** وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

فناسب بين (أحجم وأقدم) و(مطمعاً ومهرباً) و(عنك وفيك)([9]).

ثالثاً: توظيف السياق في الدرس البديعي الدلالي:

أما علي المستوي الدلالي فيظهر الحسن من جهة ما لأكثر فنون البديع من إمكانات في الإبلاغ والتوصيل، وما يؤديه من دور في تقوية كيفيات أداء المراد،

---

[1]- التفريق ،هو أن يعمد المتكلم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الاغراض ،نحو قوله تعالى:((وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج)).

[2]- التقسيم،هو أن يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين ،نحو قوله تعالى:((كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)).

[3] - سر الفصاحة :162- 163.

[4] - أنظر:ديوانه،بشرح العكبرى:342/2.

[5] - (قرحا)، جمع: قرحة ،وهو الجرح،. والشقائق: جمع شقيقة، وهى زهر أحمر ، والمعنى: صارت الجفون قرحاً من كثرة البكاء ، وحمرة الخدود صفراً لأجل البين.

[6] - سر الفصاحة :162- 163.

7 - أنظر: الآمدى. الموانة بين أبى تمام والبحترى:35/1.وانظر: الجرجانى، غبد العزيز. والوساطة بين المتنبى وخصومه:14/1.

8 سر الفصاحة : 163

[9] - سر الفصاحة ،ص:163.

فما الطباق([1]) ومراعاة النظير([2])، والمشاكلة([3])، والاستطراد([4])، والتوريـة([5])، والتجريد([6])، والمبالغة([7])، وغيرها وغيرها إلا وسائل وأساليب لتحقيق تلك الغاية.

---

[1] - وهو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل كالبياض والسواد والليل والنهلر، وهو قسمان لفظى ومعنوى، كقوله تعالى: ((فاليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرا)) طابق بين الضحك والبكاء والقليل والكثير. ومثله قوله تعالى:((لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)).

[2]- مفتاح العلوم - (ج 1 / ص 184)
مراعاة النظير، وهي عبارة عن الجمع بين المتشابهات كقوله:
وحرف كنون تحت راء ولم يكن ... بدال يؤم الرسم غير النقط

[3] - الإتقان - (ج 1 / ص 338)
المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أوتقديراً، فالأول كقوله تعالى:((تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك))((ومكروا ومكر الله)) فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى لمشاكلة ما معه، وكذا قولهتعالى: ((وجزاء سيئة سيئة مثلها)) لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فاليوم ننساكم كما نسيتم ويسخرون منهم سخر الله منهم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ومثال التقدير قوله تعالى صبغة الله أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس،

[4] - التعريفات - (ج 1 / ص 5)
الاستطراد
سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام الآخر، وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض. البرهان - (ج 3 / ص 3..)
وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره كقوله تعالى:((وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم))وكقوله:((فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود))، وقوله((بعداً لمدين كما بعدت ثمود)).

[5]- الإتقان - (ج 1 / ص 327)
التورية: أن يذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك أوالتواطؤ أوالحقيقة والمجاز، أحدها قريب والآخر بعيد، ويقصد بالبعيد ويوري عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة. قال الزمخشري: لا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله. قال: ومن أمثلتها الرحمن على العرش استوى فإن الاستواء على معنيين: الاستقرار في المكان وهوالمعنى القريب الموري به الذي هوغير مقصود لتنزيهه تعالى عنه. والثاني الاستيلاء والملك وهوالمعنى البعيد المقصود الذي ورى به عنه بالقريب المذكور انتهى.

[6]- الإتقان - (ج 1 / ص 334)
التجريد: هوأ، ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالها فيه نحو: لي من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق، آخر مثله متصفاً بصفة الصداقة نحو: ومررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة جردوا من الرجل الكريم. آخر مثله متصفاً بصفة البركة وعطفوه عليه كأنه غيره وهوهو. ومن أمثلته في القرآن لهم فيها دار الخلد ليس المعنى أن الجنة فيها دار الخلد وغير دار خلد، بل هي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار داراً، ذكره في المحتسب. وجعل منه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي. على أن المراد بالميت النطفة. قال الزمخشري: وقرأ عبيد بن عمير فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى حصلت منها وردة. قال: وهومن التجريد. وقرئ أيضاً يرثني وارث من آل يعقوب قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد وهب لي من لدنك ولياً يرثني وارث من آل يعقوب، وهوالوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثاً.

7- كتاب الصناعتين - (ج 1 / ص 111)
المبالغة أن تبلغ أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عن على أدنى منازله وأقرب مراتبه، ومثاله من القرآن قول الله تعالى: " يوم تذهل كل مرضعةٍ عمّا أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى النّاس سكارَى وما هم بسكارَى " . ولو قال: تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسناً وبلاغة كاملة، وإنما خص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلاً ولا نهارا، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف.

وعموماً فإن مدار الحسن البلاغي في فنون البديع كافة، هو ما لها من خصوصية التأثير النفسي لأن كلاً منها يرمي إلي إثارة المخاطب ذهنياً وفكرياً مع اختلاف في طبيعة تلك الإثارة، فهي إما صوتية أو تركيبية أو دلالية.

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن علم البديع يشارك أخويه – المعاني والبيان - في أن كلاً من الثلاثة يسعي إلي تحقيق الحسن البلاغي للكلام، ومعني هذا أن علوم البلاغة تعالج الأسلوب وتصف جهات الحسن فيه علي المستويات الثلاث السابقة، واضعة في حسابها مراعاة السياق علي مستوييه اللغوي وغير اللغوي.

خاتمة البحث

إذا كانت النظريات الدلالية قد تعددت فى الوقت الحاضر، وأختلف حولهـا اللغويون والدارسون؛ فقد أدى ذلك إلى الإرتباك حيال التصور الـسوى لدراسـة اللغة، الأمر الذى أصبحت معه الحاجة ملحة للبحث عن نظرية تؤمن بـأن النص كيان منسوج من اللغة، وأن دراسته لا يمكن أن تكون ذات فاعلية إلاّ إذا تعمـدت الوقوف أمام التركيب اللغوى وقفة تأمل مصتصحباً جميع سياقاته الاجتماعية.

ومن هنا كان هذا البحث محاولة لإعادة التواصل الذى انقطـع بـين الـنص اللغوى والسياق الذى يلفه، انطلاقاً من أنّهما فى الأصل مقترنان، كما يصور ذلك التراث اللغوى، خاصة البلاغى منه، عندما كان الدرس وصفياً، وقبل أن تتوارى هذه الحقيقة عند العلماء المتأخرين.

وما تريد الدراسة التأكيد عليه فى هذه الخاتمة، هو أن القدماء من رجال الفكر والبيان، وبخاصة الإمام عبد القاهر الجرجانى قد تركوا لنا نظرية لغوية مكتملـة العناصر، وهى بكل معطياطها حية قادرة على التطور، إذا نحن أحللناها مكانهـا اللائق، ووظفناها فى تناول النص اللغوى توظيفاً سليماً.

وترى الدراسة أنّه ينبغى بل يجب تكريس هذا الإتجاه فى الدرس اللغوى، أولاً: لأصالته. وثانياً: لأنّه يتفق مع طبيعة فهم النص، ويتفق مع ما ينادى به كثير من الإتجاهات الحديثة، وهو "توظيف السياق فى الدرس اللغوى.

وما يميز السياق أنّه لا يفصل الإنتاج اللغوى عن شـروطه الخارجيـة، ولا يدرس اللغة الميتة المعزولة بوصفها نظاماً من القواعـد المجـردة، ولا يقـصى الكلام والفرد المتكلم والسياق غير اللغوى من مجال الدراسة بوصـفها عناصـر خارجية. بل يدرس ظواهر اللغة بوصفها كلاماً مستعملاً من قبل" شخص معين" فى"مقام معين" موجه إلى"مخاطب معين" لأداء"غرض معين".

ففى التراث اللغوى العربى كان الملمح السياقى الذى يعنى: التوافـق بـين التراكيب اللغوية وملابسات الخطاب، وتفسير الأولى على أساس الثانية– بمثابـة الخلفية الإبستمولوجية- التى حركت علماء العربية فى فروع معرفية عديدة، كعلم أصول الفقه والنحو والبلاغة والتفسير، بشرط أن تؤخذ هذه الفروع التراثية فـى

مجموعها، لا أن تؤخذ أجزاء وتفاريق.

فاللغة كما يتصورها ابن جنى وسيبويه وغيرهما ممن ظهر فى الصدر الأول، هى استعمال الناطقين لها، أى: إحداثهم لفظاً معيناً لتأدية معنى وغرض فى حال الخطاب الذى يقتضى هذا المعنى وهذا اللفظ. فاللغة ليست صوتاً ولا نظاماً من القواعد، ولا معنى مجرداً من اللفظ الذى يدل عليه، ولا أحوال خطابية معزولة عن كل هذه الأشياء، لذا فقد كشفت الدراسة من هذا التطواف العلمى والسياحة الفكرية داخل بطون كتب التراث الحقائق الآتية:-

أولاً: أن الدراسة اللغوية التراثية كانت وظيفية، بمعنى أن أئمة النظرية اللغوية العربية كانوا يعتقدون فى عمومهم، أن المنهج الأكثر ملاءمة لدراسة اللغة هو المنهج السياقى،الذى يراعى الربط بين شكل الخطاب وبين ملابسات هذا الخطاب واغراضه. كما أن علماء العربية القدماء لم يفهموا من اللغة أنّها نظام من القواعد المجردة فحسب، بل ربطوا ماهية اللغة بوظيفتها، ففهموا منها أنّها وسيلة اتصال بين المتخاطبين.

ثانياً: تسجيل تكامل العلوم التراثية من تجويد ونحو وصرف وبلاغة ودلالة وأصول فقه وتفسير وغيرها، إذ إن الوظيفية العربية لا يُرى وجهها الأنصع، ولا تدرك حقيقتها إلاّ إذا نُظر إليها فى إطارها الثقافى العام ونسقها الكلى الجامع لشتى العلوم العربية والإسلامية القديمة.

ثالثاً: اتفاق الدراسة العربية القديمة مع الدراسة الغربية المعاصرة فى مبدأ هام، مفاده أنّه لا يمكن وصف اللغات الطبيعية ولا رصد خصائصها دون ربطها بوظيفتها التواصلية، ويترتب عليه أنّه لا يصح علمياً إقصاء المتكلم والكلام والسياق، كما تفعل البنيوية حديثاً. والقول بغير هذا خطأ علمى، وقد بدا أثره الوخيم واضحاً فى كثير من الأبحاث النحوية العربية قديماً، لاسيما عند بعض المتأخرين من النحاة، وفى النظريات اللسانية غير التداولية حديثاً. وتلك هى الثغرة التى تعمل النظرية السياقية على سدها. وهكذا يلتقى الفكر العربى القديم مع الفكر الغربى المعاصر على أرضية منهجية مشتركة أو متشابهة.

رابعاً: كشف البحث أن الملاءمة بين الصوت والصوت، وبين الكلمة والكلمة، من

حيث تعلق معنى الكلمة وجارتها، واستحسان الكلمة فى موضع واستقباحها فـى موضع آخر راجع إلى السياق لا إلى الصوت نفسه ولا إلى الكلمة، خاصة الكلمة الطويلة ذات الاحرف العديدة.

خامساً: استطاع علماء النحوخاصة سيبويه من جمع خصائص السياق فى نـسيج لغوى لا نظير له فى تاريخ العربية، إذ انّه كان مدركاً لأهمية السياق الإجتماعى فى تحليل الظاهرة اللغوية نحوياً، وقاصداً – فيما يبدو- الدلالة الأجتماعية العامة لأمثلته، وبهذا استطاع بتقليب النظر فى أمثلته استثمار البعد الدلالى الإجتمـاعى فى التقعيد النحوى، وفرز اللغة إلى مستويات من حيث القياس عليها فى إطارين: زمانى واقعى، وتجريدى غير زمانى.

سادساً: فطن البلاغيون إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنّها شـديدة الارتبـاط بثقافة المجتمع الذى يتكلمها، وان الثقافة فى جملتها يمكن تحليلها بواسطة حـصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التى يسمون كلاً منها "مقاماً"، فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدعاء والاستعطاف. وكلما كـان وصـف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالى الذى نريد الوصول إليه أكثر وضوحاً.

وبعد تلك الرحلة وذلك التطواف فى جنبات التراث اللغوى بأبعاده الـصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاسلوبية، أؤكد باطمئنـان أن الـدرس اللغـوى العربى ما زال حياً وصالحاً للحياة إذا نحن أحسنّا التعامل مع ما فيـه وقرأنـاه قراءة واعية ومستنيرة. عليه توصى الدراسة بالآتى:

أولاً: ضرورة استصحاب السياق بنوعيه اللغوى وغير اللغوى فى دراسة التراث اللغوى بعامة والتراث العربى الاسلامى بصفة خاصة.

ثانياً: ضرورة الملاءمة بين الكلام والمقام، وهذا الفرع يرمى إلى ترسـيخ مبـدأ التكيف بين المقام والمقال خاصة فى الدرس الاسلوبى فى فرع علم المعانى، من حيث الايجاز والاطناب والتقديم والتأخير والفصل والوصل ...الخ، فلا بـد أن توضع التراكيب مناسبة لكل حال أو مقام.

ثالثاً: ضرورة الملاءمة بين الكلام والمتلقى، حيث بين البحث حضور المتلقى فى النص، لتشمل هذه الصورة جميع أحوال المخاطب النفسية والاجتماعية والثقافية،

وموقفه من مضمون الخطاب الذى يلقى إليه.

رابعاً: ضرورة تحديث معطيات النحو وضوابطه بين مدة وأخرى، لأن الـسياق يخضع للتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، لأنّه دراسة تزامنية وصفية.

خامساً: تأكيد أصالة الدراسة السياقية فى الدرس اللغوى العربى والسعى حـول منهجية معينة لدراسة اللغة وفق هذه النظرية الشاملة.

ويطيب لى فى المختتم أن أقول: إن موضوع "توظيف السياق فى الـدرس اللغوى" لم يحظ بعناية كبيرة، ولم تقم عليه مؤلفات كاملة، بالرغم مـن اهميتـه وكثرة ما وصل إلينا من رؤى وآراء حوله؛ لذا فقد غمرنى حين انتهيت من هذا العمل احساس بأننى استطعت فى حدود امكاناتى، وبأقصى ما يمكن أن يوصلنى البحث، أن أقدم عملاً علمياً أرجو أن يسد فراغاً، وأن ينال مكانة فـى المكتبـة اللغوية، وأن يكون منطلقاً لبحوث أخرى ومؤلفات متواصلة تتضافر للكشف عن المزيد من كنوز هذا التراث اللغوى الرائع.

ولعل هذا العمل قد استطاع أن يحقق الهدف الذى سعت إليه هـذه الدراسـة وكشف عن نظرية لغوية أصيلة فى درسنا اللغوى التليد وهـى فكـرة ونظريـة السياق.

وأخيراً فالبحث الذى بين يدينا لا يدعى كمالاً، بل فيه من القصور البشرى ما فيه، وإن هو إلاّ محاولة اجتهد صاحبها ان يترسم خطا العلماء، فالابتهال إلى ا أن يهبها من لدنه قبولاً وتوفيقاً ورشداً، وأن يخاص بها القصد وينفع بها من يشاء إنّه نعم المولى ونعم المجيب.

وا من وراء القصد.

المراجع والمصادر

الاســـــــــــــــــــــــــم	البيان
إبراهيم أنيس، دكتور	دلالة اللالفاظ .ط5، القاهرة مكتبة الانجلو . 1984.
إبراهيم أنيس، دكتور	الاصوات اللغوية، القاهرة، 1961 م
إبراهيم أنيس، دكتور	من اسرار اللغة . مكتبة انجلو المصرية 1966 م
إبراهيم بركات، دكتور	العلاقة بين العلامة الاعرابية والمعني في كتاب سيبويه . مكتبة الخانجي ، 1981
إبراهيم سلامة	بلاغة ارسطو بين العرب واليونان . مكتبة انجلو المصرية ، ط2 ، 1952 م.
إبراهيم مصطفي	احياء النحو . لجنة التاليف ، 1951 ، القاهرة .
إبراهيم مصطفي وآخرون	المعجم الوسيط .
فوزي حسن الشايب	محاضرات في اللسانيات . منشورات وزارة الثقافة الاردنية ، ط 1999 م
ابن الاثير ، ضياء الدين	المثل السائر . تحقيق الدكتور : احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، الرياض ط2 1403 .
ابن الانباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد	نزهة الالباء فى طبقات الادباء . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ،
ابن الانباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد	البيان في غريب اعراب القران ، تحقيق : طه عبد الرحمن طه ،مراجعة : مصطفي السقا الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1980 م
ابن الانباري، أبو بكر بن محمد بن القاسم	الاضداد. تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة المصرية ، بيروت ، 1987

المؤلف	الكتاب
ابن الانباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد	الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين .
ابن الجزرى(الشيخ شمس الدين أبي الخير: محمد بن محمد الجزري المتوفى : سنة 833	النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ
ابن الحاجب(عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس؛ ت646هـ	الايضاح في شرح المفصل.تحقيق:د.موسى بناى العليلى ،مطبعة العانى، بغداد، 1982.
ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل ت:361هـ	الاصول في النحو . تحقيق : عبد الحسين الفتلي ،مطبعة الرسالة ، ط1 ، 1985 م
ابن السيد(أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن ابن السيد البطليوسي 444-521هـ	الانصاف في التنبيه علي اسباب الاختلاف بين المسلمين في ارائهم .
ابن تيمية الحراني	دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيميه . جمع وتحقيق : الدكتور : السيد الجليند ، ط1 ، دار الانصار ، القاهرة ، 1398 – 1978 م
ابن جني ، أبو الفتح عثمان الموصلي البغدادي 330-392	- المحتسب في تبيان وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها . تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي ، المجلس الاعلي للشئون الاسلامية ، القاهرة ، 1398 – 1969 ، ط2 -الخصائص . تحقيق : محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3 ، 1406 -1986 -المنصف في شرح كتاب التصريف . تحقيق : ابراهيم مصطفي ، وعبد الله امين ، ط1 عيسي البابي الحلبي ، - اللمع في العربية . تحقيق : حامد المؤمن ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط.م 1405 – 1985 م 1954 - سر صناعة الاعراب . تحقيق : مصطفي السقا وزملائه ، دار الثقافة العامة بوزارة المعارف ، مطبعة مصطفي

	البابي الحلبي ،مصر ، ط
ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشسيبانى الوائلى	المسند. تحقيق : صدقي محمد جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1414 – 1994 م
ابن سنان، الخفاجي أبو محمد عبد الله المتوفى: سنة 466 بن محمد	سر الفصاحة . شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي . مكتبة صبيح ، القاهرة ، 1389 هـ
ابن سيدة، علي بن إسماعيل الأندلسي ت458	المخصص . تحقيق : لجنة احياء التراث العربي ، منشورات دار الافاق الجديدة ،القاهرة
ابن سينا الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله المتوفى : سنة 515هـ	اسباب حدوث الحروف. تصحيح ونشر محب الدين الخطيب ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، 1328 هـ
ابن عصفور، على بن الاشبيلي مؤمن:ت669هـ	الممتع في التصريف . تحقيق : د . فخر الدين قباوه منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط4 1399- 1979 - شرح جمل الزجاجي ، تحقيق : صاحب ابو جناح ، بغداد ، وزارة الاوقاف والشئون الدينيية 1400 هـ
ابن عقيل ابو محمد عبد الله بن عقيل المصري الهاشمي العقيلي المتوفى 769هـ	شرح ابن عقيل علي الفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، ط2 ، 1400 – 1980
ابن فارس، ابو الحسن احمد بن فارس زكريا بن محمد بن حبيب	الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تحقيق: السيد احمد صقر ط . عيسي البابي الحلبي ، 1977 .
ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم	تأويل مشكل القران . تحقيق : السيد احمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط2 1393 هـ - تفسير غريب القران ، تحقيق : السيد احمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1978
ابن قيم الجوزية(ت 751 هـ)	اعلام الموقعين عن رب العالمين .تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1 ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة ، مصر 1374هـ -1955م

المؤلف	الكتاب
	- بديع الفوائد . بيروت ، دار الكتاب العربي
ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي	تفسير القران العظيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1388
ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس ين مجاهد أبو بكر البغدادي شيخ القراء	كتاب السبعة
ابن مضاء القرطبي	الرد علي النحاة .تحقيق : د . شوقي ضيف لجنة التاليف ، ط ، 1396 – 1947 ه
ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن احمد بن ابي القاسم بن حبقة الانصاري المصري 630 -711	لسان العرب . بيروت دار صادر ، 1990 – 1994
الحملاوى،أحمد محمد بن أحمد	- شذي العرف في فن الصرف . تحقيق وتعليق:طه عبد الروؤف سعد ، وسعد حسن محمد على ،مكتبة الصفا، القاهرة،ط1420،1- 1999
ابن هشام ،(جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري(ت 761هـ)	شذور الذهب تحقيق : عبد الغني الدقر ، الدار المتحدة ، دمشق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1994 م - شرح قطر الندي وحبل الصدي . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، والقاهرة ط11 1383 -1963 - مغني اللبيب عن كتب الاعاريب تحقيق : د. مازن المبارك واخرين ، مراجعة ، سعيد الافغاني ، ط6 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 1985 - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، المكتبة التجارية الكبري ، القاهرة
ابن هشام اللخمي	شرح الفصيح . تحقيق : دكتور مهدي عبيد جاسم ، مطبعة الفنون ، بغداد ، ط1 ، 1409 – 1988 م
ابن يعيش ، موفق الدين بن علي (ت 643)	شرح المفصل ، بيروت عالم الكتب ، القاهرة ، مكتبة المتنبئ

ابن فارس، ابو الحسين احمد بن زكريا	الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق : احمد صغر ، مطبعة عيسي البابي الحلبي واولاده ، القاهرة 1977 م
ابو السعود حسين الشاذلي	المركب الاسمي الاسنادي وانماطه من خلال القران الكريم . ط1 ، 1410 1990 دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية
ابو القاسم بن محمد	شرح ديوان المفضليات ، تحقيق كارلويس يعقوب رديل مكتبة المشني بغداد ، مطبعة الاباء الموسعيين ، بيروت ، 1920
ابو تمام(حبيب بن أوس الطائي	شرح حماسة ابي تمام ، بشرح التبريزي نشر فرايتاج – بون 1828 م
ابو تمام حبيب بن أوس الطائي	ديوان ابي تمام تحقيق : عزام ، ط1 دار المصارف ، مصر
ابو حيان الاندلسى، اثير الدين محمد بن يوسف، ت 754 هـ	ارتشاف الضرب من لسان العرب.تحقيق:مصطفى أحمد النماس، القاهرة،ط1404،1هـ - ارتشاف الضرب من لسان العرب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة النسر الذهبي ط14 ، 1404 - 1984
ابو عبيدة معمر ابن المثني	مجاز القران :تحقيق محمد فؤاد سزكين ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1401 -1981 م
ابي عمرو . عثمان ابن سعد الداني	الادغام الكبير . تحقيق د . عبد الرحمن حسن الفارق ، عالم الكتب ، القاهرو ، ط1 ، 1424 – 2003
احمد الشايب	الاسلوب دراسة تحليلية بلاغية للاصول الاساليب الادبية . مكتبة نهضة مصر 1945
احمد محمد سعد ، دكتور	التوجيه البلاغى للدراسات القرآنية . مكتبة الاداب ،ط1421،1- 2000

المؤلف	الكتاب
احمد محمد قدور، دكتور	مبادئ اللسانيات . دار الفكر ، بيروت – دمشق ، 1999 – 1419 , ط2
احمد مختار عمر ، دكتور	الصوت اللغوي . عالم الكتب القاهرة ، 1976
احمد مصطفي المراغي	تفسير المراغي شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ،
احمد مطلوب ، دكتور	فنون بلاغية ، البيان والبديع
استيفن اولمان	دور الكلمة في اللغة . ترجمة د. كمال بشر . مكتبة الشباب ،القاهر ، 1962
اشواق محمد النجار	دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية ، دار دجلة ، عمان ، ط1 ، 2006 ،
المؤدب ، القاسم بن محمد سعيد	دقائق التصريف . تحقيق : د . احمد ناجي القيسي واخرين ، مطبعة المجمع العلمي العرقي ، بغداد ، 1407 – 1987
الاخفش الاوسط (سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى 215 هـ.	معاني القران . تحقيق : فائز فارس دار البشير ، دار الامل ، ط3 1401 - 1981
الازهري، ابو منصور	معاني القراءات
الاستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن	شرح كافية ابن الحاجب . تحقيق : د . اميل بديع يعقوب ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419 – 1998
الاشموني ، ابو الحسين علي بن محمد ت 929 هـ	شرح الاشموني . تحقيق : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد . المكتبة الازهرية والقاهرة
الاعشي ، ميمون بن قيس	ديوان الاعشي الكبير . تحقيق : د . محمد حسين المطبعة النموزجية ، القاهرة
الامام الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد ت 505 هـ	المستصفي في علم الاصول ، وبهامشه فواتح الرحمن بشرح مسلم الثبوت للشيخ محب الله بن عبد الشكر ، بيروت ، الكتب العلمية ، ط2 1403

المؤلف	الكتاب
الانباري ، ابو البركات عبد الرحمن بن ابي سعيد	اسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقي ، دمشق 1957
الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم	المذكر والمؤنث ، تحقيق : طارق الجنابي بغداد وزرة الاوقاف – احياء التراث الاسلامي 1988
الانباري ، ابو محمد القاسم بن بشار	شرح الانباري للمفضليات ، تحقيق : لايل بيروت 1920
البحتري ، ابو عباد الوليد بن عبيد	ديوان البحتري ، تحقيق : الصيرفي ، ط1 دار المصارف مصر
البنا الدمياطي	اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الاربعة عشر القسطنطينية ، 1285هـ
التفتازاني سعد الدين	المطول علي التلخيص ، مطبعة احمد كامل ، استنبول ، 1330
التنوخي(أبو عبد الله زين الدين(محمد بن محمد بن محمد بن عمرو، أبو عبد الله زين الدين التنوخي	الاقصي القريب . مطبعة دار السعادة القاهرة .
الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر	الحيوان . تحقيق : فوزي عطوي ، بيروت 1982 ،ط1 . - البيان والتبين . تحقيق : عبد السلام هارون دار الفكر للطباعة
الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي ت 471 هـ	دلائل الاعجاز . تعليق : احمد محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط2 ، 1410 – 1989
الجوهري ، ابو نصر	الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، 1956 م
الحسن البوسي	زهرة الاكم في الامثال والحكم ، تحقيق : محمد حجي
الخليل بن احمد الفراهيدي	كتاب العين . تحقيق : د . ابراهيم السامرائي ، ود. مهدي المخزومي . دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق .
الرضي ، رضي الدين الاسترابادي	شرح الشافية لابن الحاجب ، تحقيق : محمد نور الحسن وزميليه ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1395 ه

الرماني ، ابو الحسن علي بن عيسي 384	النكت في اعجاز القران . ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران " تحقيق : محمد خلف الله .ود محمد زعلول سلام دار المعارف بمصر ط2 1387 - معاني حروف . تحقيق : عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط3 جدة ، 1404 – 1984 م
الزبيدي ، السيد مرتضي الحسين	تاج العروس من جواهر القاموس . تحقيق الدكتور : عبد العزيز مطر . مطبعة الحكومة الكويتية ، 1970 م
الزجاج ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد ت 311 هـ	معاني القران واعرابه ، تحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، بيروت ، علم الكتب ، ط1 1408
الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق النهاوندي البغدادي ت 340 هـ	الايضاح في علل النحو ، تحقيق : الدكتور : مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، ط4 ، 1402 - اللامات . تحقيق : د . مازن المبارك ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1389 ، 1969 م - حروف المعاني
الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله	البرهان في علوم القران . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، 1988
الزمخشري ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر بن احمد الخوازمي 467 – 538	اساس البل اغة، ط1 ، 1979 ، دار صادر - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ - المفصل في علم العربية . دار الجيل،بيروت
الزوزني ، ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين	شرح المعلقات السبعة . مطبعة الدار العلمية بغداد ، ومطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، 1959
السكاكي ، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي	مفتاح العلوم ، ط1 بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1953 ، ط1

السهيلي ، ابو القاسم	**نتائج الفكر . تحقيق: الدكتور : محمد ابراهيم البنا ، جامعة قاريونس ، ليبيا 1978**
السيد الخليل ، دكتور	**دراسات في القران الكريم ، دار المعارف القاهرة ، 1972**
السيد عبد السميع، دكتور	**دور الاشارة في التوضيح والبيان في ضوء الحديث النبوي . مجلة الدراسات الاسلامية والعربية ، العدد ، 24 ، شوال 1423 ، ديسمبر : 2002 ، الامارات العربية المتحدة دبي**
السيد عبد السميع، دكتور	**النظم القراني في تفسير القرطبي** .دراسة اسلوبية .مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية،دولة الامارات العربية المتحدة، دبى، العدد:21، 1422-2..1م
السيوطي ، الحافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر محمد الخضري ت911 هـ	**الاتقان في علوم القران ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 م** **- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد السلام هارون وزميله ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1394 هـ -الاشباه والنظائر ، تحقيق : فايز ترحيني . دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1404 هـ** **- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها :تحقيق.محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى،بيروت،منشورات المكتبة العصرية،1986م** **- الاتقان في علوم القران ، بيروت ، دار الفكر 1368 ، 1949** **- ما زكره الكوفييون من الادغام** **-**
الشاطبي ، ابو اسحق	**الموافقات في اصول الاحكام . تعليق : محمد الخضر حسين ، تصحيح محمد**

	منير ، المطبعة السلفية ، مصر 1341
الشريف الجرجاني	التعريفات . تحقيق : ابراهيم الابياري دار البيان للتراث .
الشيخ عبد الرحمن الكعك	اصول التفسير وقواعده ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 1986 م
الصادق محمد ادم	البعد البلاغي والدلالي للترخص في قرينة المطابقة عند امن اللبس مخطوطة ، مكتبة السودان ، رسالة ماجستير ،
العسكري ، ابو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل	الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . جمهرة الامثال ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1408 -1988
العكبري ، ابو البقاء عبد الله بن الحسين	التبيان في اعراب القران ، تحقيق : علي البجاوي دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1987 م
العلوي ، يحي بن حمزة	الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز . دار الكتب العلمية ، بيروت .
الفارابي ، ابو نصر محمد بن محمد بن طرفان	كتاب الموسيقي الكبير
الفارسي ، ابو علي الحسن بن احمد	شرح الابيات المشكلة للاعراب . تحقيق : حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، دار العلوم والثقافة ، ط1 ، 1987 م
الفرزدق بن غالب	ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، 1960 م
الفيروز ابادي	القاموس المحيط ، مصطفي البابي الحلبي ، 1371
القاضي عبد الجابر الاسترابادي	المغني في ابواب التوحيد والعدل تحقيق : امين الخولي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1380 ، 1960
القرطبي ، ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري	الجامع لاحكام القران ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1360 ، 1941 - - تفسير القرطبي . ط ، دار احياء التراث العربي بيروت

المازني	كتاب الحروف
المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد	- المقتضب . تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب ، بيروت - الكامل في اللغة والادب . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة المصرية ، ط1 1420 – 1999
المتنبئ ، احمد بن الحسين	ديوان المتنبئ ، دار صادر ، ط1 بيروت
المرادي الحسين بن قاسم	الجني الداني في حروف المعاني . تحقيق : د . فخر الدين قباوة واخرين ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، 1403 ، 1983 ، ط2
المرعشي،محمد بن بكر الملقب بساجقلى زاده،ت 1150هـ	جهد المقل،دراسة وتعليق:د.سالم قدورى الحمد،دار عمار ط ،1422،1 – 2001م،عمان ، الاردن
الميداني . ابي الفضل احمد بن محمد	مجمع الامثال . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسي البابي الحلبي القاهرة ، 1978 - نزهة الطرق في علم الصرف . تحقيق : لجنة احياء التراث العربي ، ط1 ، دار الافاق الجديدة ، بيروت 1401 – 1961 م
النابلسى، عبد الغنى	كفاية المستفيد .
النحاس ، ابو جعفر احمد بن محمد	اعراب القران ، تحقيق : زهيرغازى زاهد ، عالم الكتاب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ط3 ، 1988 م 1401هـ
النمل كراع ، ابي الحسن علي بن الحسن الصنائي ت 310 ه	النجد في اللغة العربية ةالاعلام ، تحقيق ، احمد مختار عمر ، وضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب القاهرة 1396 ه
التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت 1745 م)	كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق : لطفي عبد البديع وزملائه ، القاهرة المؤسسة

امرئ القيس	ديوانه ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، 1958
باكيزة رفيق حلمي	صيغ الجموع في اللغة العربية . مطبعة الاديب البغدادية ، 1972 م
برجستراسر	التطور النحوي للغة العربية . اخراج وتعليق د . رمضان عبد التواب ، مطبعة المجد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1402 – 1982
بيار غيرو	علم الدلالة . ترجمة : انطوان ابو زيد ، ط1 ، بيروت ، 1986
تمام حسان، دكتور	- اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط 1977 ، القاهرة - مناهج البحث في اللغة . الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 1400 ه ، القاهرة ، 1955 م
جرجيس عيسي الاسمر	قاموس الاعراب . دار الملايين ، بيروت ، ط7 1979
جمال الدين بن مالك	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . تدقيق محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي القاهرة ، 1982
جوزيف ميشال شريم ، دكتور	الدراسات الاسلوبية . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1
جون لانيز	اللغة والمعني والسياق
حامد صلاح خلف الربيعي ، دكتور	مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء ، منشورات جامعة ام القري ، 1416 -، 1996 م
حسام الدين النعيمي ، دكتور	ابحاث في اصوات العربية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 1998 م
حلمي خليل ، دكتور	العربية والغموض . دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 1988 ،ط1

خديجة الحديثي، دكتورة	ابنية الصرف في كتاب سيبويه . منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط1 ، 1385 – 1965 م
خليل ابراهيم العطية	في البحث الصوتي عند العرب . منشورات دار الجاحظ. سلسلة الموسوعة الصغيرة ، بغداد ، العراق ، 1983
خليل عمايرة ، دكتور	في التحليل اللغوي .
محمد ابو موسي ، دكتور	دلالات التراكيب ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1399
داود عبدة	ابحاث في اللغة العربية . مكتبة لبنان بيروت ، 1973
رشيد بالحبيب ، دكتور	اثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعني ، مجلة اللسان العربي ، العدد : 47 ربيع اول 1420 ، يونيو 1999 م
رمزي البعلبكي	معجم المصطحات اللغوية . دار الملايين ، ط1 ، بيروت
رمضان عبد التواب ، دكتور	فصول في فقه العربية . مكتبة الخانجي القاهرة
زين كامل الخويسكي	لسانيات من اللسانيات . دار المعرفة الجامعية 1997
سعد مصلوح ، دكتور	الدراسات الاحصائية للاسلوب ، دار الفكر بيروت
سليمان القضاة	الحال فضلة . مجلة ابحاث اليرموك . منشورات جامعة اليرموك ، المجد السابع ، العدد الاول ، 1989 م
سمية عبد المحسن ، دكتورة	ابنية المصدر في الشعر الجاهلي . مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ، ط1 ، 1404 – 1984 م
سميح ابو مغلي ، دكتور	في فقه اللغة وقضايا العربية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1407 1987 م
سمير شريف استبته ، دكتور	اللسانيات والمجال والوظيفة والمنهج . عالم الكتب الحديثة ، الاردن ، 1425 –

	2005 م
سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي 148 – 180هـ	الكتاب . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1408 – 1988 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة
شكري عياد ، دكتور	اتجاهات البحث الاسلوبي
صلاح فضل ، دكتور	علم الاسلوب مبادئه واجراءاته النادى الثقافى الادبى،جدة،ط1408،3هـ-1988م
عباس حسن	النحو الوافي ، القاهرة ، ط5 ، 1975 م
عبد الخالق عضيمة	دراسات لاسلوب القران الكريم ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1392 ه
عبد الدائم الازهري	الطرازات المعلمة .
عبد الرحمن ايوب ، دكتور	دراسات نقدية في النحو العربي . مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع ، الكويت
عبد الرحمن طه	البحث اللساني السيمائي ، الرباط كلية الادارة والعلوم الانسانية ، ط 1984 م
عبد الصبور شاهين ، دكتور	اثر القراءات في الاصوات والنحو العربي . مكتبة الخانجي ، 1408 -1987
عبد العال سالم مكرم	تدريبات نحوية ولغوية في ظلال النصوص اللغوية والادبية . عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1422 – 2002
عبد الفتاح عثمان ، دكتور	دراسات في المعاني والبديع . مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1983
عبد القادر المهيدي	ابن جني وبلاغة العربية . حولية الجامعة التونسية . العدد : 40 ، 1996 م
عبد القادر عبد الجليل, دكتور	الاسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ، ط1 2002 1422

	-علم اللسانيات الحديثة . دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان , الاردن ، ط1 2002 . 1422 ه -علم الصرف الصوتي . ازمنة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1998 ، الاردن ، عمان
عبد القادر محمد حسن جبل	في علم الدلالة ، دراسة تطبيقية في شرح الانباري للمفضليات ، دار المعرفة الجامعية ، 1997 م
عبد الكريم مجاهد ، دكتور	الدلالة اللغوية عند العرب . دار الضياء للنشر والتوزيع ، الاردن ، عمان ، مركز العبدلي التجاري .
عبد المتعال الصعيدي	بغية الايضاح لتلخيص المفتاح ، مكتبة الاداب ، ومطبعتها بالجماميز ط4
عبد المجيد عابدين، دكتور	المدخل الي دراسة النحو العربي ، ط1 1951 ، مطبعة الشبكشي ، القاهرة .
عبد الوهاب بن محمد القرطبي	الموضح. تقديم وتحقيق:د.غانم قدورى الحمد،دار عمار,ط1421،1-2000،عمان ، الاردن.
عبده الراجحي ، دكتور	النحو العربي والدرس الحديث . مطبعة دار نشر الثقافة ، 1977
عبده بدوي ، دكتور	من قضايا الادب واللغة ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، 1401 – 1981 م
عدنان بن ذريل	اللغة والبلاغة . منشورات اتحاد الكتاب العرب .
عصام نور الدين ، دكتور	الفعل والزمن . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1404 ، 1984 م
علي محمد الضباع	شرح الشاطبية .
غانم قدوري الحمد	معاني الابنية في العربية ، بغداد ط1 1401 – 1981

فاضل صالح السامرائي ، دكتور	اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، المطبعة العالمية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1397 – 1977 م
فاضل مصطفي الساقي ، دكتور	البحث النحوى عند الاصوليين . منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية . سلسلة درسات ، دار الرشيد للنشر 1980 م
فاطمة محمد محجوب ، دكتورة	دراسات في علم اللغة ، دار النهضة العربية القاهرة
فريد عوض حيدر ، دكتور	علم الدلالة ، دراسة نظرية تطبيقية
كريم زكي حسام الدين ، دكتور	- التحليل الدلالي اجراءاته ومناهجه . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة - الاشارات الجسمية ودورها في التواصل . مكتبة الانجلو المصرية ، ط 1985
كمال محمد بشر ، دكتور	-علم اللغة الاجتماعي . دار غريب ، ط3 القاهرة - التفكير اللغوي بين القديم والحديث القاهرة ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، 1989 م - علم اللغة العام – الاصوات ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000 م
لبيد بن ربيعة	ديوانه ، تحقيق : احسان عباس ، وزارة الارشاد والانباء ، الكويت ، 1962 م
ماريوباي	اسس علم اللغة . ترجمة د. احمد مختار عمر . عالم الكتب
مازن المبارك ، دكتور	البلاغة وتذوق النص الادبي ،مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية.دولة الامارات العربية المتحدة ، العدد العاشر 1415 -1995 - اصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1377 ، 1958

المؤلف	المرجع
محمد ماهر	ابن قيم اللغوي الاسكندرية .
محمد احمد خضير دكتور	الاعراب والمعني . مكتبة الانجلو المصرية ، 2001 - التركيب والدلالة والسياق ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 2005
محمد الانطاكي	الوجيز في فقه اللغة . مكتبة دار الشرف ، 1389 ه بيروت ط3
محمد الشاطر احمد محمد ، دكتور	الموجز في نشاة النحو ، القاهرة ، 1983
محمد بن ادريس الشافعي	الرسالة . تحقيق : احمد محمد شاكر ، ط1 ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، 1358 ، 1940
محمد حسن عبد العزيز ، دكتور	مدخل الي علم اللغة . كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، مكتبة الشباب ، 1992
محمد حماسة عبد اللطيف ، دكتور	- الجملة في الشعر العربي ، مطبوعات الخانجي 1990 - النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي ، القاهرة ، 1403 هـ
محمد زكي العشماوي ، دكتور	قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان 1404 – 1984
محمد سليمان ياقوت ، دكتور	الصرف التعليمي ، والتطبيق في القران الكريم . مكتبة المنار الاسلامية ، الكويت ، ط1 ، 1420 – 1999
محمد صلاح الدين مصطفي بكر ، دكتور	النحو الوصفي من خلال القران . دار غريب للطباعة ، القاهرة ، 1986
محمد عبد المطلب ، دكتور	البلاغة والاسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984
محمد فؤاد عبد الباقي	المعجم المفهرس لالفاظ القران ، استانبول المكتبة الاسلامية ، 1984
محمد محمد داود ، دكتور	العربية وعلم اللغة الحديث . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،

	1423 – 2002 م - القران الكريم وتفاعل المعاني . دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1423 – 2002
محمد مندور ، دكتور	النقد النهجي عند العرب . ط . لجنة التاليف والنشر القاهرة 1994
محمد نديم فاضل ، دكتور	التضمين النحوي في القران الكريم . مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة المجلد الاول ، ط1
محمود السعران ، دكتور	علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي ، 1992 القاهرة ، 1412 ه
محمود حلمي خليل ، دكتور	دراسة معجمية حول المصطلح اللساني ، وقاموس اللسانيات ، وقاموس اللسانيات . مجلة اللسان العربي مجلد ، 1987
محمود عكاشة ، دكتور	التحليل اللغوي في ضوء علم اللغة ، دار النشر للجامعات ، ط1 ، 1426 – 2005
محمود فهمي حجازي ، دكتور	علم اللغة العربية – مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية . دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة
مشتاق عباس معن ، دكتور	التوظيف البلاغي لعلم الاصوات ، قراءة في وظيفة التداخل بين حقول المعرفة ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية . جامعة قطر ، العدد الخامس عشر ، 2003
مصطفي النحاس ، دكتور	المعني النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث . في قضايا الادب واللغة ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، اعداد دكتور : عبده بدوي ، 1401 -1981 من قضايا اللغة ، الكويت ، جامعة الكويت ، ط1 ، 1415 – 1995-
مصطفي احمد قنبرا	السياق ودوره في تحليل النصوص ، مجلة الرافد ، دارئرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، العدد : 83 ، جمادي الاولي ، 1425 ه ، يو 2004

مصطفي القلابيني	جامع الدروس العربية . دار الكتب العلمية بيروت
مصطفي النحاس ، دكتور	مدخل الي دراسة الصرف العربي علي ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة . مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1 ، 1981
مصطفي جمال الدين	البحث النحوي عند الاصوليين ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية . دار الرشيد للنشر 1980 م
مصطفي لطفي	اللغة في اطارها الاجتماعي
مكي ،أبي محمد	الرعاية ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، عمان 1404هـ
مكي بن ابي طالب	مشكل اعراب القران . تحقيق : حاتم الضامن وزارة الاعلام ، بغداد ، 1975
مهدي اسعد عرار، دكتور	- الدرس اللغوي الاجتماعي عند الامام الغزالي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المجلد ، 78 ، - ظاهرة اللبس في العربية ، جدل التواصل والتفاصل . دار وائل للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2003 م
ميشال زكريا ، دكتور	الالسنية التوليدية والتحولية وقواعد اللغة العربية . النظرية الالسنية . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1402 – 1982
نصر ابو زيد ، دكتور	قراءة في ضوء الاسلوبية . مجلة فصول المجلد الخامس ، العدد الاول ، 1984
نهاد الموسي	نظرية النحو العربي
نور زاد حسن احمد ، دكتور	السياق الاسلوبي واثره في استبدال وجوه العطف في القران الكريم . مجلة كلية اللسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد : 22 1999
نيدا	نحو علم الترجمة ، ترجمة ماجد النجار

هند حسين طه ، دكتورة	الاسلوب دراسة نصية اسلوبية . مجلة اداب المستنصرية ، ع 18 ، 19 ، 1412 – 1990
يحي بن حمزة العلوي ابن علي ابراهيم العلوي 669 – 749 ه	الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم وحقائق الاعجاز . مطبعة المقتطق . مصر ، 1332
يوسف احمد المطوع ، دكتور	الموسوعة النحوية والصرفية . الكويت ط1 ، 1404 – 1984